THE BOOK WAS DRENCHED

كتاب

وقايع تليماك

قد نقّحهُ وضبطهُ المعلم شاهين عطية

طُبِعَ

بنفقة جرجي حنا غرزوزي مدير المطبعة اللبنانية

ولطف الله الزهار صاحب المكتبة الوطنية

ويباع في مكتبتهِ بسوق ابي النصر

طبع في بيروت بالمطبعة اللبنانية سـ ١٨٨٥




وقائع تليماك

ديباجة الكتاب

تليماكُ هو ابن عولس احد شجعان سالف الازمان ومشاهير ملوك اليونان الذين حاصروا مدينة تروادة وكانت هذه المدينة حصينةً جدًّا منيعةً ذات قلاع رفيعةٍ وسببُ محاصرتهــا انهُ كان باريس بن بريام ملك تروادة عشق هيلانة بنت ملك اسبرطة زوجة مينيلاس المسينيّ وسلبها منهُ قسرًا واخذها الى بلادهِ فتصدّى الملوك المتعاهدون والامرآء اليونانيون للانتقام لمينيلاس من باريس الغاصب وقصدوا تخريب تروادة مدينة بريام ومن كبار الملوك الذين كانت لهم اليد الطولى في هذه المحاصرة عولسُ والد تليماك صاحب الوقائع المذكورة ملكُ جزيرة طياكي فانهُ سافر الى حرب مدينة تروادة وبعد خرابها مكث هائمًا مدة عشر سنوات لم يتيسر لهُ العود الى وطنهِ لان الرياح رمت بهِ الى سواحل الروم ايلي ثم سافر في البحر فقذفتهُ الرياح الى افريقية فوقع في ايدي البرابرة ثم تخلص منهم بحيلهِ وحكمتهِ وسار في البحر مؤمّلاً العود الى طياكي دار ملكهِ فعبثت

بِهِ يد الدهر النذَّار فقاسى ما قاسى من اخطار البحر حتى وقع في جزيرة اوجيجيا وفيها كاليبسه الشهيرة المعدودة عند اليونان في الازمنة الخرافية من الربّات المدبّرات والعقول العُلويات ملكةً متصرفة في جزيرتها لها بالمنيبات علم وخبرة فلما دخل عليها عولس احبتهُ حبًّا زائدًا فعشقتهُ وشُغفت بِهِ ورغبت ان يقيم معها الى الابد ولا زالت تتوغل في هواه وهو يبادر في انجاز ما نواه حتى أقلع عن حبها وركب سفينة كانت قد صنعتها لهُ وسافر من جزيرتها على غير رضى منها وكانت اذ ذاك الريح مناسبة فغاب عنها سريعًا وفي اثناء ذلك خرج ابنهُ تليماك من طيا كي يصحبهُ الحكيم منظور فجرى ما جرى لهُ من الحوادث الآتي ذكرها مما كانت غرابتها باعثة للحبر النحرير فينيلون الفرنساوي الشهير على نظمها في سلك الاختراعات وادخالها في مضمار المبتدعات وتفصيلها الى مقالات وهي (وان كانت لا تخلو من الخرافات القديمة عند اليونان) قد اشتهرت بين الامم والملل وترجمت الى سائر اللغات لما اشتملت عليهِ من المعاني الحسنة مما هو نصائح الملوك والحكام ومواعظ لتحسين سلوك عامة الناس تارة بالتصريح والتوضيح وطورًا بالرمز والتلويح فلله درّه حيث قال وابدع في افتتاح المقال

المقالة الاولى

كانت كاليبسه بعد سفر عوليس لا تستطيع صبراً على فراقهِ بل تكابد اهوال العشق والغرام متحسرةً عليهِ حتى كرهت البقاء والتخليد وتمنّت الموت لو سُمح لها وبعد ان كانت جزيرتها ترقص من اصوات الالحان ونغمات العيدان خلت من ذلك وتبدلها سرورها بالاحزان . وجواريها الحسان الخادمات لجنابها لزمن السكوت . وصارت تتماشى وحدها احياناً في تلك الرياض الزاهرة والغياض الزاهية الباهرة الدائمة الازهار المتموجة بالنسيم اللطيف الذي يمر عليها . واحياناً تذهب الى شواطئ جزيرتها التي هي من اجمل المتنزهات التي تجلب السرور وكان كل ذلك لا يخفف احزانها ثم صارت تقضي اكثر اوقاتها واقفةً على البرّ شاخصة نحو الجهة التي خرجت منها سفينة محبوبها وخفيت عنها ذاتهُ

وبينما هي على تلك الحالة الكئيبة اذ لمحت اجزاء سفينة غريبة غرقت عن قريب تسبح على وجه الماء ثم لمحت عن بعدٍ رجلين عائمين على خشبة قادمين نحو جزيرتها احدهما شيخٌ والآخر شابٌ ظريف المنظر شبيه عوليس وعليهِ سمةُ لطفهِ وشهامتهُ

قدّهِ وطولُ قوامهِ فعرفت هذه الملكة ان هذا الشابّ هو ابن عولس واما معرفة الشيخ فقد خفيتْ عنها الان ارباب الروحانيات اولوا تفاوُت في الدرجات فالاعلى درجة يحجب الادنى عن معرفة كنههِ وعينهِ وصاحب تليماك وهو مدبّر الحكمة لعلوّ درجتهِ اخفى عن كاليبسه الوقوف على حقيقة امره

ففرحت كاليبسه فرحًا عظيمًا من وقوع هذا الغرق الذي جلب اليها ابنَ حبيبها عولس وادخلهُ في جزيرتها فدنت منهُ وكتمت أنها تعرفهُ فاظهرت التجاهل وقالت كيف تجاسرت ايها الشابُ ووثبت على جزيرتي الا تعلم انهُ لا يدخل احدٌ في مملكتي ويترك سدًى وكانت تخفي سرورها الباطنيّ عنهُ بالتخويف والتهديد ولكن كان يظهر اثر السرور على وجهها فاجابها تليماك بقولهِ ايتها الملكة ارفقي بحالة ولد يبحث عن ابيهِ عرضةً للاخطار والامواج والعواصف التي كسّرت سفينتهُ على شواطئ جزيرتك بعد ان قاسى ما قاسى من الاهوال وقذفتهُ المقادير الى امام حضرتك فقالت لهُ من هو ابوك الذي تسال عنهُ وتستقصي اثرهُ قال لها ابي يدعى عولس شهيرًا بهذا الاسم من الذين حاصروا مدينة تروادة مدة طويلة حتى تغلبوا عليها وقهروا اهلها وصيتهُ شاع عند جميع اليونان وذكر شجاعتهِ ملأ

البلاد المشرقيّة والان هو هائمٌ في خضمّات البحار يكابد المشاق وكلما دنا من وطنهِ تناءى عنهُ وجفاه ولما طالت غيبتهُ وآيست انا والدتي بينلوبه من الاجتماع بهِ خرجت هائمًا اتطلّبهُ مخاطرًا بنفسي لا تعرَّف اين هو فارثي لحالتنا السئية ايتها الملكة السعيدة وان كنتِ تعلمين عنهُ خبرًا او اطلعت لهُ على اثر فمنّي علينا بذلك واشفي غليل قلوبنا . فعجبت كاليبسه من عقل هذا الشاب وفصاحتهِ وحماستهِ في المقال وسماحتهِ فاطالت اليهِ النظر وحدَّقت بهِ البصر ولزمت الصبر برهة ثم قالت لهُ يا تليماك اني ساخبرك بما وقع لابيك فاتَّبعني الان لمنزلي لتاخذَ لنفسك الراحة وتصير عندي كالولد فاتسلى بك في وحدتي ووحشتي وتحصل انت على الهناء وتبلغ مني ما تتمنى

فلما ذهبت ذهب خلفها تليماك وحولها الجواري الحسان وهي بينهنَّ تميسُ وتختطر وتليماك يتأمَّلُ في محاسنها ويتعجب من ملابسها الارجوانية وحللها البهية ومن جدائل شعرها المرسلة على اردافها وكان يروقهُ حسن عيونها المراض الصحيحة ورقة حواشي ذاتها البديعة واما منطور فكان يرمقها بطرف خفيٍّ

فلما وصل الى باب الغار الذي كانت تقيم فيهِ راى بهِ مع بساطتهِ كلما يروق الناظر ويسرُّ الخاطر وكان هذا الغار منحوتًا

في الصخور نحتًا محكماً على شكل قبةٍ عظيمةٍ مرصوفًا بالحصى والاصداف رصفًا مهندمًا مفروشًا بفراش من دوالي العنب المنشورة في جميع جهاتهِ وبين الماء الزلال تجري برياضها البنفسجية وفي بستانها من جميع انواع الزهور الجديدة المتضوعة روائحها الزكية وفي بعض الجهات تجد الاشجار الكبيرة موسوقة بثمار كرَويَّه ذهبية ولا يسمع فيها الا مناغاتُ الطيور وتغريد البلابل وغناء الشحرور وخريرُ عيون المياه النازلة من اعالي الجبال كانها انغام خلاخل في سوق الاشجار وكان غار هذه الملكة على رابيةٍ مطلةٍ على البحر ينظر منهُ الرائي كلما شاق وراق

فلما فرغ تلماك من رؤية ما أَرتهُ اياه كاليبسه من المناظر الطبيعية الخالية من التصنُّع قالت لهُ عليك بالراحة ليزول عنك العناء ثم اخلع اثوابك المبتلَّه والبس ما هو اجمل منها وبعدُ اعود اليك واقصُّ حكاية ابيك عليك بما تتشوَّق اليهِ ويرتاح فؤادك من الوقوف عليهِ فادخلتهُ هو ومنطور الى غار قريبٍ من غارها وهو محلُّ سرّها لايدنو منهُ احد الا خادماتها اللواتي كنَّ قد اوقدن بهِ عود الصندل وتركن ما يلزم لهما من الثياب فرأى تلماك ان كاليبسه اعدَّت لهُ قميصًا من الصوف الابيض الناصع وقفطانًا احمر مقصبًا فاخذ يتأمَّلُ ذلك تامل الفرح

المسرور كالشبان الذين لا يقدِرون العواقب فنظر اليهِ منطور شزرًا وشرع يوبخهُ على ذلك قائلاً اهكذا يسوغ لابن عولس البطل ان يشغل بطفيف الاشياء يابنيّ تفكّر في حفظ ناموس ابيك وهزّم جيش هموم الدهر عنك فالشاب الذي يهوى زينة الملبس يكون كالانثى ليس اهلاً للفخر فما الفخر الاّ لصناديد الرجال الذين تحسن لديهم مكابدة المتاعب ويدوسون الحظوظ والمفرّحات تحت اقدامهم فتنفّس تليماك الصعداء وقال الهلاك ولا وصف الرخاوة للرجال والموت ولا تسلطن الشهوة على قلوب الابطال حاشا ان تسلطن على فؤاد ابن عولس صفات الجبن والرخاوة ولكن من باب اللطف الخفيّ وبدون توقّع أُسعفنا بعد الغرق والهلاك بهذه الذات الانيسة فتلقتنا بالتاهيل والترحاب اوَليس هذا من باب الفرج . فقال لهُ منطور احذر من ان يكون ذلك شرًّا من باب الخير فان هذه التلطّفات ربّما تكون عاقبتها الضرر لان مصيبة الغرق والهلاك اهون من هتك العِرْض وفقد الشرف فاحذر ياتليماك لنفسك ولا تصغِ لكلام كالبسه المبني على التملّق والنفاق فان السمّ في الدسم والثعبان يختفي تحت الزهور الناعمة بل اقبل ما اهاديك من النصائح فتسلم من الشرور والنوائب ثم بعد هذه المحاورة رجعا

الى مقام كاليبسه حيث كانت تترقب حضورها لتجدد لها الحظ والسرور فاحضرت جواريها اطعمة شهية شيرمنا نق فيها من لحوم طير الصيد وانعام التنفس ومن أفخر المشروبات باباريق من فضة واكواب من ذهب ومن جميع انواع الفاكهة فلما شرعوا في تناول الطعام وتعاطي المدام حضر اربعُ جوارٍ يضربن بالعيدان وينشدن الاغاني الحماسيه ثم تخلصن منها الى الغراميات الغزلية ثم الى الخمريات ثم الى المسابقات والشجاعة ثم اخذن يغنين في حروب تروادة وذكر وقائع عولس وبالغن في وصفهِ بكل صفة وكانت احدى الجواري الاربع المسماة لقطوسة قد فاقت على سائرهن بضرب العود وحسن الصوت والنغم

فلما سمع تلماك ذكرابيهِ سال دمعهُ على خديهِ فلمحت كاليبسه ان ذلك منعهُ عن التلذذ بالطعام فاشارت الى الجارية بتغيير المدام وانشاد ما يناقض المنام

فلما فرغوا من اكل الطعام وشرب المدام دنت كاليبسه من تلماك وقالت لهُ يا ابن عولس الشهير قد عرفت كيف صنعت معك وانا ربّةٌ خالدة فاعلم انهُ لا يدخل جزيرتي احدٌ من الانس الا عوقب اشدّ العقاب حيث تجاسر وهتك حرمتي ولولا حبي اياك وتدلّهي بهواك ما كان عذرُ نزولك مقبولاً عندي

ولا كان يُقبل لاحدٍ غيرك وانما قبلت عذر ابيك من قبلُ لمثل
ذلك ولكن لسوءِ حظهِ ما عرف ان يتمتع بملذاتي اذ انني حجزتهُ
عندي مدةً طويلةً ولو اراد ان يعيش معي هنا عيشةَ الهنا لعاش
سعيداً ولكن تولعهُ بالعود الى وطنهِ الحقير بعثهُ على رفض الاقامة
عندي ولم يعُد الى طياكي فعدمها وعدمتهُ الى الابد لانهُ استبدَّ
برايهِ فتركني وسافر فاخذتْ لي الثار منهُ الزوابعُ والرياحُ حيث
تلاعبتْ بسفينتهِ العواصف وابتلعتها الامواج فاعتبر بما جرى
لهُ ولا تطمع بعد ذلك بلقائهِ واياك ان تظنَّ انك ستكونُ له خلفاً
على سرير ملكهِ في جزيرة طياكي بل تسلَّ عنهُ بمن تحسن ارشادك
مثلي وتعتني بتدبير امرك واني اسلمك زمام مملكتي فيصيرُ الحلُّ
والعقدُ بين يديك ثم لكي تؤكّد صحة ما قالتهُ في حق عولس من
انها كانت تريد اسعادهُ حكت عما حصل لهُ من الاخطار في
اسفاره وعن دخولهِ في جزاير السَحَرة والاشرار وقالت انها هي
كانتْ السبب في كل ذلك وان ملك البحر ساعدَها على ايقاعهِ
في المهالك وانهُ مات غريقاً في لجج البحار وضربت صفحاً عن الاخبار
بانهُ لم يزل سالماً في جزيرة كرفو

وكان تليماك اولاً قد اغترَّ باكرامها لهُ من اول وهلة وفرح
بترحيبها بهِ فلما حكت لهُ هذه الحكاية عرف الدسيسة وتذكر

ما قالهُ لهُ منطور فاجابها باختصار قائلاً يا ربة الجزيرة اقبلي عذري لانهُ لا يلوح ببالي الان سوى الحزن على ابي وعسى ان اقدر في المستقبل على القيام بواجبات ما تذكرين فاقتصرت حينئذٍ عن ان تحثهُ على ما تريد واظهرت أنها شاركتهُ باحزانهِ وانها رثت لحالهِ ثم سالتهُ لكي تجذب قلبهُ عن كيفية غرق مركبهِ وكيف قرُب من هذا الشاطىء فاجابها شرح قصتي طويلٌ وليس تحت ذكره طائلٌ فقالت لا بُدَّ من ذلك والحَّتْ عليهِ فلما لم يجد سبيلاً للخلاف قال

قد سرت من جزيرة طيا كي لاسأَل الملوك الذين رجعوا من تروادة عن والدي وكان بعد سفره لتروادة كثر عشَّاق امي وطالبوها وكلٌ يرغب منها الوصال وهي انفتْ امرأةً ترغب عن الرجال بعد ابي فلما سرتُ تعجب عشاقها من ارتحالي وكنت اخفيت ذلك عنهم خوفًا من غدرهم وخيانتهم ولما قابلتُ بعض الملوك في جزيرة الروم ولم يفدني احدٌ عن والدي سئمتْ نفسي التردد وعزمت على السفر الى شيشليا (صقلية) حيث كنت قد سمعت ان الرياح قذفتهُ الى تلك السواحل فصدَّني منطور عن السفر الى هناك وقال ان في ذلك خطرًا عظيماً لانهُ يوجد جبابرة ياكلون الادميين وايضًا مراكب التروادييين هناك وهم

اعداء اليونان ولا سيما اباك واشار عليّ بالرجوع الى طيا كي قائلا لعل اباك يكون ساعده القدر ورجع اليها وان كان قد سبق بموته القضاء وحرم من العود الى الوطن فعليك ان تذهب لاخذ ثاره وتخليص امك من حبائل عشاقها واظهر حسن تدبيرك وتعرّف جميع اليونان أنك تستحق التملك على تخت ابيك لكن وا اسفاه لم أصغِ لما قالهُ لي ولا تدبَّرتهُ بل تبست هواء نفسي وعزمت على ما جال في خاطري فتبيني لما يعلم ما يوجد من الخطر عليَّ فجزاني الله نظير مخالفتي اياه بما لا مزيد عليهِ لعلي أتعظ واعتبر ولا اعود لمخالفتهِ

ففي اثناء تكلُّم تلماك بهذا الكلام كانت كاليبسه شاخصة بنظور متحيرة في امرٍ تلوح منهُ خوارق العادات وحيازة صفات علويَّات ولكن لاتستطيع تمييز تصورها فخافت من هيبتهِ واحترست من اظهار الحيرة والارتياب فقالت لتلماك زدني من حكايةِ حالك فقال سرنا من طيا كي وبقيت الريح مدةً مناسبة السفر الى صقلية ثم حصل نوءٌ شديدٌ وضباب عظيم وغيم كثيف احاط بنا حتى غابت السماء عن اعيننا فاظلم الافق وهاجت العواصف الا انهُ من ضياء البرق لمحنا سفنًا امامنا محاطةً بالخطر مثل سفينتنا فعلمنا انها سفن الملك ابنة صاحب تروادة عدونا

الاكبر فكان خوفنا منهُ اشدَّ من خوف الغرق فعرفت حينئذٍ
سفاهة رأيي بعدم سماعي ارشادات منطور واستبدادي بالشروع
في السفر بدون تجريب وثقتي بنفسي واما منطور فكان مظهرًا
السكون والثبات والتجلد ولوائح الفرج تبدو على وجههِ فاشتدَّ
بذلك جاشي واطمأنَّ قلبي واعطى الوصايا اللازمة للملاحين
في حفظ السفينة وشجعهم وقواهم فقلت ليتني لم اخالفك في هذا
السفر أَوَ ليس هذا من شقائي وغروري فتبسم وقال لا الومك
الان على ما جرى حيث اعترفت بخطائك فعسى ان تتهذب
اخلاقك وتعلم قدر نفسك ولكن اخشى انك بعد فوات الخطر
تنسى هذا ولا تعمل الا برائك وتقول هو الصواب والان ينبغي
ان تتلقى الخطر بالصبر وتنتظر الفرج كما هو شان ابيك فرفق
هذا الصاحب بي وشجاعتهُ بهذه الخطوب وقعتا عندي موقع
الانجاب والتعجب من ذلك حسن سلوكهِ في خلاصنا من سفن
اهل ترادة وذلك انهُ لما بدا الضياء وبانت السماء وصار يخشى
من وقوف الترواديين على خبرنا لاننا صرنا بالقرب منهم راى
احدى سفنهم التي ابعدتها الرياح عنهم قليلاً وكانت تشبه سفينتنا
الا ان مؤخرها كان متوَّجًا باكاليل الازهار فقلَّدها بالكلية
وحمل راية تحاكي راية الترواديين وعلقها على سفينتنا وامر

الملاحين ان يطاطئوا رؤوسهم وكان كذلك وفي هذه الحالة سرنا في خلال سفنهم مدة طويلة ثم تأخرنا عنهم قليلاً ولما طردتهم الريح الى بر افريقية اجتهدنا فرسينا على شاطئ قريب من صقلية ولما وصلنا الى هناك وقعنا في مصيبة اعظم لاننا وجدنا سفناً اخرى تروادية من اعداء اليونان ثم وجدنا ملكاً في الساحل يقال له اقسطوس العجوز كان قد فرَّ من ترواده وجاء لهذا الساحل لعله يستولي عليه فاوَّل ما نزلنا الى البر ظنَّ اصحابه اننا من عصاة الجزيرة وقصدنا الهجوم عليهم او اننا غرباء وقصدنا الاستيلاء على هذا الساحل فاحرقوا سفينتنا واماتوا رفقاءنا حريقاً وغرقاً واخذونا مقيدين بالسلاسل والاغلال لبين يدي ملكهم ليعرف حقيقة حالنا وما يأمر به يجري فاحضرونا اولاً امام ذاك الملك فقابلنا بوجه عبوس وسألنا من اي قوم انتم وما سبب مجيئكم الى هنا فاجابهُ منطور قد جئنا ايها الملك من سواحل ايطاليا وبلادنا ليست ببعيدة من تلك المحال وبهذا تجنبنا ذكر اليونان واما هو فلم يزد على ذلك بل امر بارسالنا الى غابةٍ قريبةٍ من هناك لنكون اسرى نرعى المواشي مع عبيده

فكانت هذه الحالة عندي انظم من الموت فصحت باعلى صوتي اقتلنا ايها الملك فان القتل عندي اهون من الاسر

والهوان واعلم اني انا تليماك بن عولس ملك طيا كي المشهور جئت ابحث عن ابي في البحار لعلي اقف له على خبر

فما فرغت من هذه الكلمات الا وصاح الجمع لا بدَّ من قتل ابن عولس الجبَّار الذي دمر مدينة تروادة بتدبيره فقال الملك يا ابن عولس لا اقدر الان على حقن دمكما لان اهل تروادة يرغبون قتلكما نظير ما صنعهُ معهم ابوك فعند ذلك طلب احد مشايخ العساكر ان يذبحنا قربانًا على قبر احد فحول الرجال المسمى انخيس بن اينة ملك تروادة وقال ايها الملك ان فعلت هذا تكتسب رضى اينة وتصير احب الناس اليهِ

فصدَّق الجمع على هذا القرار وقادونا الى قبر هذا البطل ونصبوا هناك محرابًا واوقدوا نارًا واحضروا السيف لقطع رقابنا والبسونا تيجان الزهور علامة ذلك حينئذٍ التفت منطور نحو الملك وقال لهُ ايها الملك ان كنت لا تشفق على هذا الشاب الذي لا دخل لهُ في حرب تروادة فاشفق على نفسك وافعل ما فيهِ المصلحة لبقاء ملكك فانني منبئك بما هو آتٍ عليك فقال لهُ ماذا اجابهُ انهُ قبل مضي ثلاثة ايام يهجم عليك من الجبال العالية اقوام متبربرة يقصدون خراب بلادك والاستيلاء على ملكك فتدارك امرك واجمع رعاياك تحت السلاح وادخل

مواشيك المدينة واستعد لملاقاة العدو وبعد مضي هذه المدة
أن كان ما قلتهُ لك كاذبًا فمر بذبحنا والا فلا ينبغي سلب حياة
من هو سبب حياتك .

فتعجب الملك من مقالهِ وتوسمهُ فوجدهُ على جانبٍ عظيم
من الدراية وقال ابقي الان تقديم القربان الى نهاية الاجل
وامر بالتاهب فوقع الخوف في المدينة وارتفع ضجيج الشيوخ والنساء
وبكاء الاطفال وكان كلٌ يحبُّ ان يرى هذا الحكيم الغريب
واما المدَّعُون من اهل المدينة فقالوا انهُ دجَّال تفوه بهذا الخزعبلات
لحقن دمهِ ولكن قبل مضي الاجل شوهد على رؤوس الجبال
المطلّة على المدينة جموع لايخفى عددها من القبائل الهيمرية
المتبربرة وخلافها من القبائل المتوحشة فكلٌّ من كذَّب ما قالهُ
منطور وترك ماشيتهُ خارج المدينة خسرها فحينئذٍ قال الملك
لمنطور قد نسيت أنكم من اليونان وصارت العداوة التي بيننا
محبةً صادقةً واقتضت الحكمة الربانية ارسالكما الينا لانقاذنا من
الهلاك فالمامول منكما كما اعتمانا بالتدبير مساعدتنا على غلبة
الاعداء .

حينئذٍ ظهرت الشجاعه على وجه منطور ولبس درعًا وكنانهً
وتقلد سيفًا ورمحًا ورتب عساكر الملك احسن ترتيبٍ واستلم

قيادة الجيش وسار وهو بغاية الانتظام وكان الملك لشيخوخته قد تاخر عنهُ مع انهُ شديد الباس فصار يقفو اثره بالشجاعة فطعن منطور صفوفَ الاعداء وفتكَ بهم فتكًا ذريعًا فولّوا هاربين متعجّبين من هذه الفعلة لانهم ظنّوا انهم يأخُذون المدينةَ على حين غفلةٍ وكنت انا قد طعنتُ برمحي ابن ملك هؤلاء الاعداء الذي نازلني في القتال واحتقرني بالنزال لكونه اطول منّي واخذتُ سلبَهُ غنيمةً وذهبتُ الى اقسطوسَ بعد ان شتت منطور شملَ الاعداء فبهذهِ النصرةِ وقع حبُّ منطور في قلوب جميعِ الرجالِ وقالوا لا شكَّ انَّهُ من رجال الغيبِ فشكر اقسطوسُ فضلَهُ واعترفَ لهُ بالمنّةِ وقال لنا من باب النصيحةِ أخشى وصولَ سفن الملك إينةَ فإنها منتظرةٌ بساحلِ صقليةَ فالأَمل ان ترحلا من هُنا فأُرسلَ معنا شخصًا ليصحبنا بالعودِ الى وطننا وأُثقلنا من الهدايا ولكن أبى ان يُعطينا من طرفهِ رئيسًا وملاحين خوفًا عليهم في الطريق من اليونان وانما أرفقنا بتجّارٍ من اهلِ صور قائلاً إنَّ هؤلاء يتجرُون مع جميع الأُممِ والمللِ فلا خوفَ عليهم من احدٍ وانهم بعد ما يوصلونكم الى طيا كي يعودون بالسفينة الينا هذا ما كانَ من احتراسات اقسطوس ولكنَّ المقاديرَ التي لا تجري دائمًا على وفقِ المُراد أتاحت لنا اخطارًا أُخرى لا

تخطر على قلب احد

المقالة الثانية

ثم إنَّ الصوريين قد أظهروا العصيانَ لِرهمز مَلِك مصر الذي كان قد تغلَّب على مملكتهم وأبوا دفع الخراج المقرَّرِ عليهم لغرورِهم بأموالهم واستحكام مدينتهم الحصينة بموقعها في وسط البحر وساعدوا اخاه بالعساكر ليقتلهُ في وليمةِ موسمٍ عامةٍ فعزمَ على قهرهم وتوقيف تجارتهم وأرسل سفنًا تبحث عن سفنهم في البحار فقابلتنا عمارة سفنٍ مصرية حيث غابت عن أعيننا جبالُ صقلية فعرفها من معنا من الصوريين وقصد اجتنابها خوفًا من شرِّها ولكن كانت قلاعُ سفنهم أجودَ من قلاعنا تجري بمساعدة الرياح وملاحوهم اكثر فصادمونا واخذونا الى مِصرْ أسارى

فافهمتهم انَّا لسنا من الصوريين فلم يجدِ ذلك نفعًا ولا أصغوا الى كلامي وانَّما جال في فكرهم أنَّنا مماليك تجارةٍ يتجرُ فيها الصوريون فأخذونا وساروا بنا حتى لمحنا مياه البحر الملح يخالطها البياضُ بامتزاجها بماء النيل وشاهدنا حينئذٍ سواحل برِّ مصر

المثرية ثمَّ وصلنا الى جزيرة المنار القريبة من مدينة نو (الاسكندرية) فنزلنا النيل وسرنا حتى وصلنا الى مدينة منف فسرحنا ابصارنا بمشاهدة ارض مِصر الخَصِبة فوجدنا فيها ما يقلُّ عنهُ الوصف من المدن العظيمة المتينةِ العمران والمزارع العديدة الكثيرة الغلاَّت والمراعي المملوءَة من الماشيةَ والانعام والرعاةُ يغنون على صوت المزامير والعيدان

فقال منطور ما اسعد الأُمَّة التي يحكمها ملكٌ عاقلٌ وسلطانٌ عادلٌ فانها تعيش في الرخاءِ وتكون سعيدةً مرتاحةً تحتَ دوامُ ملكهِ اذ هو سببُ الراحة يا تلماك اذا ساعدتك المقاديرُ وتوليت على مُلك أبيك فاحكم هكذا . . . فقلتُ لمنطور وآ اسفاه من اين الحصولُ على الملكِ وانا هُنا اسيرٌ لا استطيع العود الى بلادي ولا ارجو رؤيتها بعيني وكنتُ آن تكلّمي معهُ اتنهّدُ واتنفّسُ الصعداء فقال كيف هذا الست ابن ابيك أتهزّمك نكباتُ الدهر حالاً وتقلّلُ أملك . لا بُدَّ من ان تعود الى وطنك وتشاهد اباك في عزّهِ

فلمَّا وصلنا الى مدينة منف امرَ محافظها بسفرنا الى مدينة طيوه (قوص) حيث الملكُ رهمز مقيمٌ بهــا لنتمثَّلَ بين يديهِ ويسألُنا بنفسهِ عن حالنا ويقف على حقيقةِ امرنا لأنَّهُ حاقدٌ

على حكومة صور فسافرنا حتى وصلنا الى قوص المذكورة التي بها دار السلطنة الرهمزيّـة الشاهقةُ البنيان وهي مدينةٌ عظيمةٌ السعة نظيفةٌ بها الضبطُ والربطُ وفيها الفنونُ والصنائعُ والامنُ اسواقها متسعةٌ فسيحةٌ مزينةٌ بالسبُلِ والسياقـات وهيا كلها مبنيةٌ من الرخام بناءً بسيطًا جميلاً وقصرُ الملك يشبهُ مدينةً خاليًا من الزخرفةِ والزينةِ الاّ ان تكون اعمدة المرمر واهرامًا ومسلاتٍ ضخمةً عديمة النظير

فقال الحرّاس الذين حفظونا للملك إنّنا وجدنا هذين الرجلين في سفينةٍ صوريةٍ وقد احضرناهما الى بين يديك وكانت عادة هذا الملك أَنّهُ في كل يوم لهُ ساعاتٌ مخصوصة يتلقى فيها شكاياتِ الرعيةِ ونصائح الناصحين فلا يحتقر احدًا ولا يحجب احدًا عنهُ بل راى انهُ إنّما جُعِلَ ملكًا لمصالح رعاياه الذين هم بمنزلةِ عيالِهِ . واسعادهم جلُّ ما يتمناه ويتلقى الاغراب والاجانب باللطف والوداعة ويدنيهم اليهِ ليتعرّف منهم ما ينتفع بِهِ ويعرف اخلاقهم وطبائعهم وبما هو عند الأُمم البعيدة من الحِكَم والمعارف وبما أَنَّ الملك يتشوّق لرؤية مثلنا امرنا بالحضور عندهُ وكان على سريرٍ من العاج وبيدهِ قضيبُ الملك من الذهب الخالص وكان هذا الملك قد طعن بالسن الاّ انهُ

لطيف المزاج مع الابهة التامة يقضي بالعدل والانصاف بين
كلّ الناس حاوي جميع الصفات الحميدة فلا يُلام على شيء
مدة حياته الاَّ على كونه وثق كثيرًا باحد رعاياه وارخى له
الزّمام وسيأتي الكلام عليه عند الاقتضاء . فلما وقع بصره
عليَّ اخذته الرأفة كأنَّهُ رثى لحالي فسالني من انا واين وطني
فاجبته ايها الملك الاعظم لاتخفاك محاصرة ترواده مدة عشر
سنوات وكان من جملة الملوك اليونانيين والدي عولس الذي
اعان على تدميرها بتدبيره ورجع ولم يتيسر له العود الى
جزيرة طياكي وحتى الآن لم يزل هائمًا في لجج البحار فخرجت ابحث
عنهُ وبالقضاء وقعت في الاسر فأُريد من كرمك ان تردني على
الوالد والوطن ابقاك الله لاولادك . وكفاك نكبات الزمان
فلا زال الملك يرمقني بعين الرحمة والرأفة ولكن اراد ان
يحقَّق صدق مقالي فارسلنا الى احد رؤسائه وامره ان يسال
الذين اخذوا سفينتنا هل نحن يونان او من اهل صور فان كنا
من اهل صور يُضاعف عقابنا نظير كوننا صوريين وكوننا
كذبنا على الذات الملوكيَّه وان كنا يونانيين يصنع معنا المعروف
ويُرسلنا الى بلادنا حبًا بامة اليونان ولكن بقدر ما كان في
الملك من علوّ الهمة وشرف النفس كان في هذا الموكَّل بتحقيق

قضايانا من الخِسة والدناءة وكان اسمهُ مطوفيس فسالنا واراد ان يُوقعنا في ورطه النفله ولما راى ان منطور يحسن الاجابة رمقهُ شزرًا وفرّق بيننا وابعد كلاً منا عن صاحبه

فهذا الافتراق كان عندي من اكبر المصائب وقد ظن المأمور انهُ بهذا يوقعنا في ورطة اختلاف المجاوبة وانهُ يُغويني بالتملُّق فلقرُّ بما كتمهُ منطور عنهُ وبالجملة ما كان غرضهُ الوقوف على حقيقة امرنا بل التحيُّل على وجود طريقة لمآربهِ حتى يقول للملك اننا من امة صور ليجعلنا ارقاء لهُ لا للملك ومع اننا اظهرنا البراءة والتزكية فقد وجد طريقةً في التدليس على الملك واخفى الحق باثبات ضده لديهِ

فارسلني مطوفيس الى الواحات الى جبال بصحارى تلك الجهات لارعى الماشية مع عبيدهِ

فلما وصل تلماك لهذه العبارة سألتهُ كاليبسه ماذا فعلت حينئذٍ فانك فضّلتَ في صقلية القتل على الاستعباد

أجاب تلماكُ رايتُ الخطب كل يوم يزيد وما كنت مخيَّرًا بين القتل والاستعباد حتى اختار وانما اكرهت على الرق وقد افهمني منطور فيما بعد انهُ بيع للبلاد السودانية وسافر اليها مع الذي اشتراهُ فاحسن مثواه وقراه

فوصلتُ الى الصحراء الموحشة فوجدت فيها كلأً ومرعى للماشية في جبالها المتوعرة ووديانها العميقة ولم اجد احداً من الناس سوى الرُعاة المتوحشين فكنت أُمضي الليالى بالبكاء على مصابي ومدة النهار ارعى الماشية ماشياً وراءها خوفاً من زعيم الرُعاة الجبَّار المسمى بوطيس فكان يخشى عليَّ الهلاك من هذا اللعين فاشتدَّ عليَّ الالم ذات يومٍ حتى نسيت الماشية وانستُ النوم فنمت على العشب بقرب كهف هنالك متوقعاً الموت حيث عجزت عن القيام بهذه الوظيفة واذ تراءى لي انَّ الجبل يهتزُّ ويتزلزل وسمعت من الكهفِ هاتفاً جهوري الصوت يقول ياابن الحكيم غولس كن كابيك معتصما بالصبر عند المصيبة فان أَسعد الملوك قلما يصبر ويكون اهلاً لتحمُّل الهم والقهر فالرخاوة تورثُ التلف والفساد والفخر يورث الطيش والعمى عن الرشاد فما اسعدك ان غلبت الدهر وتحملت المشاق فلا بدَّ ان تفوز بالعود الى طياكي فاذا تسلَّطتَ على العباد تذكر انك كنت هنا ضعيفاً مسكيناً مثل رعاياك واياك ان لا ترحمهم اياك فهذه المواعظ والحكَم انتقشت في جناني كأَنَّها منحةٌ من الرحمن وجدَّدت في قلبي الفرح والثبات فلما سمعتهُ لبيت بالقيام وجثوت على ركبتيَّ ورفعتُ اكفَّ الضراعة الى عالم الخفيات

فشعرت في نفسي كأني بحالة غير الاولى وكأن الحكمة انارت عقلي وجذبت الي قلوب الرعاة الذين معي حتى احبني جميعهم وصاروا يسعون لي بالخير لا سيما بوطيس الجبار فانهُ بعد ان كان في بدء الامر يسومني ثقل الاحمال صار لا يحتمل أن يرى في عيني القذى .

ثم تمنيت لتسليتي على وحدتي في تلك البرية كتابًا اطالعهُ لاني كنت محزونًا لفقد القراءة التي بها يغتذي الروح التعليم وغبطت الذين يريضون عقولهم بالدراسة ويذوقون لذة العلم فاذا رماهم الدهر في اي مكانٍ صاحبتهم المعارف وطالعوا الكتب كانهم يسامرونها لتسلية الاحزان

فبينما كنت متفكرًا في هذه المعاني توغلت في اجمةٍ كثيفةٍ ولحت على حين غفلة شيخًا قد طعن في السن وبيده كتاب وهو أصلع شعر الناصية مستخشن الباقي مهابٌ ذو لحية يعلوها المشيب مسترخيةٍ على صدره طويل القامة ذو حشمة ووقار لون بدنهِ كلون بدن الشبّان حادُّ البصر صحيح النظر لين الصوت رخيمُ المنطق لم ارَ مثلهُ قط يسمى طرموسيسريس وهو كاهن هيكل أبولون اي هيكل الشمس مدبّر الادبيات والاشعار والكتاب الذي بيدهِ مجموعُ مدائح الهيّات وقصائد

صمدانيات فدنا مني دنوُّ الحبيب وشرعنا في الحديث فقصَّ عليَّ اخبار السالفين كأنهُ كان حاضراً معهم وكان يسلك في حديثهِ مسلك الانبساط والمسرَّات ويحب ملاطفة الشبان اهل اللطف والوفاق

فتعلق قلبهُ بمحبتي وأعارني كتبًا لتسليتي وصار يدعوني يا ولدي وانا اناديهِ يا أبي وشكوت اليهِ فراق منظور وقلت لهُ ان الحكمة ارسلتك اليَّ شفقةً على حالي لتكون لي عونًا وسندًا وكان لهذا الشيخ في فن الشعر والالحان قدمٌ راسخة فاذا ضرب العود باناملهِ حدّقت اليهِ الوحوش الكواسر مستأنسة ورقصت على نغماتهِ الغيلان طربًا فصار يكرر عليَّ النصيحة بالصبر والجلد وقال إن الدهر ياخذ بنصرة ابيك عولس و بنصرتك تأسَّ يا ولدي باسر ابولون مفيض الاداب شمس المعارف النغمية واقتد بامثال ذلك وانفع الرعاة وعلمهم فن الادب والالحان وانت مسجونٌ في هذه الاوطان وحكى قصتهُ المستنبطة من الخرافات التي هي عبارةٌ عن رموزٍ واشارات

فبعد ان اتمها اعطاني مزمارًا رخيم الصوت يُرجع الصدأ في الجبال فبهذا انجذبتْ اليَّ جميعُ الرُّعاة المجاورةُ وكان صوتي حسنًا ونغمي مستحسنًا فاخذني الطرب وغنيتُ لطائف

الموجودات حولي فكنا نغني مدَّة النهار وجزءًا من الليل مجتمعين حتى كأَن نسي الراعي مأواهُ ومرعاهُ فكادت هذه البرية لن تكون خالية عن الوحشة وكثر فيها الاحتفالُ لتقريب القربان بهيكل ابولون

فبهذا اشتهرتُ بين الناس وزادت شهرتي قضية ما في ذكرها من بأْسٍ وهي انهُ ذات يوم هجم على الغنم التي كنت ارعاها اسدٌ ضارٍ الجأَهُ الجوع الشديد الى شن الغارة عليها ولم يكن معي سوى سوطٍ فهجمت عليهِ هجومًا فائق الحدّ فنفش لِبدهُ وكشّر عن انيابهِ وانشب اظفارهُ وفتح فاهُ فجذبتهُ والقيتهُ طريحًا على التراب فقام وعاد الى ما كان عليهِ فحاولتهُ ثلاث مرارٍ وهو ينتصب ويزأَر ثمَّ ضغطتهُ بين ذراعيَّ ضغطةً عنيفة فمات قتيلًا فاشار عليَّ الرعاة ان البس جلدهُ فلبيتُ دعواهم

فشاع خبر هذه الواقعة وتحسين حال البرّية في مصر حتى طرق مسامع الملك فاستدعاني فحضرت الى بين يديهِ وعرضت امري عليهِ فعرف ان مطوفيس تحيّل عليّ حتى استعبدني فحكم عليهِ بالسجن قيد حياتهِ وسلبهُ جميع اموالهِ

ثم تلطّف بي كل التلطُّف وعزم على ارسالي الى جزيرة طياكي وان يرسل معي عمارة سفن وعساكر لخلاص والدي فلما

حضرت السفن وصممنا على السفر تعجبت من تقلبات الدهر ووقع في خاطري انهُ لا بدّ من عود ابي الى ملكهِ واجتماعي بمنطور وأَخَّرت سفري عدة ايام لاستنشاق الاخبار عنهما ففي اثناء ذلك مات الملك بغتةً فاوقعني موتهُ في الحزن ولم اجد الى المسير سبيلاً

فوقع الجزع عند الناس وتأَسف عليهِ الجميع وكلٌّ ظن انهُ فقد المحب الاكبر والرئيس الاعظم والمدبّر الذي لم يخلفهُ الزمان ومما زاد الناس حسرةً على فقدهِ عدمُ لياقة ولدهِ بوخوريس للملك لانهُ كان عديم المروءة والانسانية ولاسيما في حق الاغراب ويكره العلوم والمعارف والاداب ويبعد عن مقام الشرف والفخار لانهُ تربَّى في حجر الرخاوة والفتور واعتاد على التكبُّر والفجور لا يتبع الاّ هواهُ وبلوغ مآربهِ وكان اهل مصر يكرهونهُ كرهًا بليغًا

اما انا فقد قطعت الرجاء من العود الى طياكي ومكثت في برجٍ على ميناء ابي قير اذ كنت قد عزمت على المسير منهُ في ايام الملك المتوفَّى ولكن مطوفيس تحيل بعد موت الملك وتولية ابنهِ وخرج من السجن وحبسني في هذا البرج لينتقم مني اذ كنت السبب في سجنهِ فاستولت عليّ الهموم وصرت اتأسف على حالتي

وارصد امواج البحر واُشاهد تكسُّر السفن على تلك الصخور ولا اُبالي بغرق الخلائق بل كنت احسدهم على حالهم

فبينما انا في مثل ذلك لمحتُ ماء البحر قد تغطّى بسفن عظيمة الصواري تجري في البحر حسب مشتهاها وسمعت اللغط من كلّ جانب ونظرت فرقة من اهل مصر استولى عليها الخوف مشهرة للسلاح قصد المدافعة واُخرى يظهر منها انها تتلقى السفن بالترحاب فاستبان لي ان هذه السفن بعضها صوريَّة وبعضها قبرصية وان المصريين منقسمون الى فيئتين اذ إن بوخوريس اوقع في الرعايا الفتنة والشقاق من جرى ظلمهِ واضرم نيران الحروب الداخلية والعدوان الاهلية

فدعا المصريون للاستعانة على بعضهم الاجانب واعانوهم على النزول الى البرّ فقاتلوا الفئة التي قائدها الملك وقد شاهدتهُ مجتهدًا في القتال ليتأسى بهِ حزبهُ وبقي مدةً يقاوم الاعداء المتكاثرة ويصادم بشجاعتهِ جموعهم الوافرة حتى ثقلت عليهِ الاحمال وشاهد هلاكهُ بعينهِ فطعنهُ احدُ ابطال الصوريين بالرمح في صدرهِ خرج يلمع من ظهرهِ فوقع تحت ارجل الخيل يهوي الى حتفهِ فبادرهُ قبرصيٌّ فجزَّ ناصيتهُ وقبضها من شعرها بيدهِ واخذها فرجةً للعالمين وعلامةً على النصر المبين

المقالة الثالثة

كان تليماك يحكي وكاليبسه مُصغية لكلامهِ مُتعجبة من اعترافهِ بالمثالب التي رمتهُ بها العجلة والطيش وعدم التدبر في العواقب وعدم اطاعتهِ لمنطور وقد ادركت منهُ علوّ النفس والاتصاف بالخصال الشريفة · فقالت زدني ايها الحبيب كيف ارتحلت من مصر واجتمعت بصاحبك منطور · فقال لها إن أمناء الملك المتوفي واصدقاءهُ هم الفئة الضعيفة فبموتهِ سلّموا الى السواد الاعظم وقلّدوا المُلك طرموطيس فتعاهدوتحالف مع اهل صور وقبرص وانعقد الصلح وخرجوا بعد هذا من البلد فاطلق الملك الاسارى من الصوريين وخرجت من البرج وسافرت معهم من الديار المصرية فاخذ نور الرجاء يلمع في قلبي وطابت الريح وأُسعِفنا على المسير وغاب ساحل مصر عن عيوننا فداخلني الفرح والسرور · الّا انهُ لم يكن لي معرفة باحد ممن معي ولكن رئيس السفينة المسمى نربال سالني عن اسمي وعن بلدي قائلاً من اية مدينةٍ انت من مدن برّ الشام · فقلت لهُ لست شاميًّا ولكن قبض عليَّ المصريون وانا في سفينة صورية فمكثت اسيرًا في ديار مصر مندرجًا في زمرة الصوريين

وتحملت المشاقَّ وذقت العذاب مدةً مديدةً ظنًّا باني من هذه الامة فقال لي اذًا من اي بلدٍ انت من البلدين فقلت لهُ انا تلماك بن عولس ملك جزيرة طياكي ببلاد اليونان الذي اشتهر في واقعة تروادة وحكيت لهُ عن سبب اسفاري وكلّ ما جرى لي من الحوادث

فتعجب نربال من حديثي وامعن النظر فيَّ فكانني أَعجبتهُ وتوسم فيَّ انني متميّزٌ بخَلْقي وخُلْقي وهو في الحقيقة صافي السريرة كريم النفس فرثى لحالي وترفق معي بالخطاب وتلطف ولاح لي انهُ منحةٌ من الباري لانقاذي من الخطر

فقال تلماك لا ترتب فيما اسرُّك بهِ كما انّي لا أَرتابُ في انك لا تفشيهِ وحيث انهُ يظهر على وجهك الغم والكآبة فلا يسوغ بوجهٍ من الوجوه ان أُدلّس عليك واشتبه في امرك اذ انت من اهل الامانة فانا آمن من خيانتك وغدرك واظنُّ ان المولى الهمني محبتك كابني فانصحك نصيحة اكيدة فاقبلها مني ولا اسالك عليها اجرًا الاّ ان تسمعها وتجعلها بيني وبينك سرًّا فقلت لهُ طب نفسًا ولا تخف اني أُبيح بالسر فهو في صندوق الفواد المغلَق ولو كنتُ حديثَ السنّ الاّ اني كبرتُ في حفظ الاسرار واعتدتُ على كتمانها . فقال كيف كبرت في حفظ الاسرار فأَودُّ ان

تخبرني فاجبتهُ قائلاً

لما سافر ابي الى غزوة تروادة اخذني الى حجرهِ وضمني بين ذراعيهِ وكنتُ لا اعي ذلك وانما قيل لي ذلك بعد تمييزي ممن اعتمد عليهِ انهُ بعد ان قبَّلني تقبيل الوداع تلفَّظ بهذه الكلمات المنقولة عنهُ وقد حفظتها ولم أُفرّط فيها . يا بنيَّ اذا كنت من اهل السفاهة والفساد والميل عن سبل الرشاد اسأَلُ المولى ان لا يكون بيني وبينك اجتماع وان ينقطع عمرك في زهوة شبابك وان يسلط عليك الاعداء يقطفون زاهي زهرة حياتك . ثم قال لمن حضر من المحبّين وانتم ايها الاحباب الصادقون قد تركتُ بينكم هذا الطفل الذي هو اعزُّ ما عندي فاودُّ ان تتعهدوا تربية طفوليتهِ بما يفيد واذا بقيتم على حفظ الوداد جنبوهُ تملق المتملقين ونفاق المنافقين وعوّدوهُ ان يغلب هوى نفسهِ وقوّموهُ وقت لينهِ كالغصن الطريّ وابذلوا الهمة في تعليمهِ طريق الانصاف وان يكون حسن السيرة والسريرة امينًا على الاسرار ليجتني ثمرتها لان الكذوب لا يعدُّ من الرجال والعاجز عن صون السرّ ليس اهلاً للولاية .

وقد ذكرت ان هذه الكلمات ما قيلت غير مرةٍ ودخلت في صميم فؤادي ولا تزال في مرآة فكري

واصدقاء والدي عودوني من عهد الصغر على حفظ اسرارهم فكانوا يخبروني سرًّا في ذلك الوقت جميع المضارّ التي تحصل لهم من المتطلبين زواج والدتي في غيبة ابي اذ تعرضوا لذلك وابوا بالخيبة

فبمشاركتي معهم في الاطلاع على الاسرار وتجربتهم لي المرات العديدة عدُّوني من ذلك الوقت من العقلاء الكبار ونظموني في سلك المؤتمنين على الاسرار وساروا يتذاكرون معي في اسرار الحكومة واقرار المجلس بابعاد الراغبين في زواج والدتي والاستيلاء على مملكة ابي وكنتُ فرحًا باستئماني هذا حتى ظننت اني صرت رجلاً كامل الرجولية فما سلكت ابدًا مسلك الخيانة ولا تفوهت بسرّ انسان بل حافظت على حفظ لساني . وطالما اراد المتطلبون ان يرودوني بتجسس الاخبار واستكشاف بعض الاسرار ظنًّا منهم ان الصغير اذا رأى شيئًا مبهمًا او سمعهُ لا يقدر على امساك لسانهِ فكان جوابي عن سؤالهم جواب المجيب بما لا كذب فيهِ مبهمًا عليهم الامر السري من حيث لا يشعرون

فلما سمع نربال هذه الكلمات قال لا يخفاك ايها الشابُّ ان الصور بين اشدّ الناس شوكة يخشي صولتهم من جاورهم من الامم سفنهم لا تحصى وعساكرهم لا تعد وتجارتهم تبلغ بوغاز اسكندر

الأكبر. والملك سيزستريس الكبير ما غلبهم الأَّ يسيرًا في البرّ بعساكره التي فتح بها جميع البلاد المشرقية وما قرّرهُ علينا مرتبًا لم نستدم على دفعهِ لاننا رأينا انفسنا اقوى واغنى من ان نطيق الرّق ودفع الخراج للأُمَّه المصريَّه ففعلنا ما فعلنا ما به خرجنا من ورطة الرّق . وموت هذا الملك الكبير قطع اتمام الحرب كما رايت. ومع ذلك لا نزال نحن ارقاء عبيدًا لملكٍ ظالمٍ عنيد جبَّار اسمهُ بوغماليون . فاحذر يا تليماك من الوقوع في قبضتهِ فانهُ سفكَ دم صهرهِ على اختهِ ديدون وهو صيخس فاغتاظت من اخيها وقصدت الانتقام منهُ ففرَّت من صور واخذت معها عدَّة سفنٍ وتبعها من يرغب في الحرية والاستقامة واسست في سواحل افريقية مدينةً ظريفةً دعتها قرطاجنة . وحرصُ هذا الملك وطمعهُ في تحصيل المال بخسَ بهِ في اعين رعاياهُ وحملهم على بغضهِ فعندهُ الذنبُ الكبيرُ لواحدٍ من اهل صور كونه ذا مال واملاك فالحرص جعل هذا الملك لا يأتمن احدًا بل يتهم كل انسان بالسوءِ ويعامل اولي الرشد بالجبر والفساد واكبر الذنوب عندهُ سلوكُ الاستقامة والصلاح لانهُ يظنُّ ان الاخيار لا يطيقون الجور ولا يتحملون ظهور الفواحش وبالتدريج رُزق اموالًا كثيرةً وحُرم الانفاق منها يخاف على نفسه حتى من خيالهِ

ويكاد ان يكون محجوبًا عن الناس يحبُّ الوحدة في قصره فيمكث حزينًا كئيبًا فلا يتقرب اليهِ ولا احبابهُ خوفًا من ان يرتاب منهم ولهُ دائمًا عسسٌ وحرسٌ وعلى داره العساكر بايديهم السيوف مسلولةٌ مشهورةٌ متوغلاً داخل قصره المحتوي على ثلاثين غرفة وكلُّ واحدةٍ لها بابٌ من الحديد وستة اقفال ولا يعلم احدٌ في أيَّتها ينام . لا يعرف الهنا ولا يذوق طعم الراحة ولا يتلذذ بالتودد والتحبُّب حاوي جميع الصفات المذمومة وتارك الاوصاف الحميدة فاحذر يا تليماك من ان تفهمهُ انك ابن عولس فانهُ اذا علم ذلك يقتضي حرصهُ وطمعهُ ان يبقيك في السجن حتى اذا حضر ابوك الى مملكتهِ يفديك بعظائم الاموال

فلما وصلنا الى صور ووجدت صحة ما قالهُ نربال عملت بموجب وصيتهِ ولكن قبل ان ارى هذا الملك المسكين ما كنتُ اتصوَّرُ انهُ في هذه الدرجة . فلما رايتهُ على هذه الحالة قلت هذا هو انسان يتطلب السعادة فذهب الى تحصيلها بالمال والجاه فملك جميع ما يروم ويشتهي ومع ذلك اوقعهُ المال والجاه في المسكنة واول ما جنى عليهِ ما اجتهد فيهِ فلو كان راعيًا للماشية كما كنت قُبيل ذلك لكان سعيدًا مثلي حين كنت هناك فكان يتمتع بمسرات الخلاء والفلوات فلا تلومهُ النفس اللوامة ولا

يخشى من كل ما هو آتٍ

فهذا ما حكمت بهِ على هذا الملك عن ظهر غيبٍ بمجرد تصوُّر احوالهِ دون مشاهدة ذاتهِ لانهُ لا يراه احدٌ وهو ينظر الانسان من بعد ومع ذلك حصونهُ وابراجهُ محروسة ليلاً ونهارًا وكنوزه معهُ كالمرصودة وابوابهُ مقفلة مسدودة فقلت في نفسي شتان بين هذا الملك المحجوب عن العيون وبين رهمز ملك مصر فانهُ كان الطف انسان ليس عليهِ حاجب يمنع التقرب اليهِ اذ كان لا يخشى شيئًا ولا يفعل ما يخشى من عواقبهِ واما هذا فيخشى من كل شيءٍ ومن كل شيءٍ يخشى عليهِ

ثم ان بوغماليون امر باعادة عساكر قبرص الى جزيرتهم فانتهز الفرصة نربال بتخلية سبيلي وادخلني في زمرة القبرصيين خوفًا من ان يظهر خبري

فاختلطت باهل قبرص وتخلصتُ مما كنت اخشاهُ من الخوف من علم الملك بي وكان نربال يخاف من ان يطلع احدٌ على حالي ويخبر الملك فيذيقهُ العذاب الاليم ويقتلنا وليس لنا سندٌ فكان يَودُّ المبادرة بالرحيل ولكن اختلاف الرياح اقعدنا زمنًا طويلاً فانتهزت الفرصة لاستعراف امة الصوريين الشهيرة فاعجبني موقع المدينة الحسن التي هي في جزيرةٍ وسط البحر

والساحل المجاور لها منتزه خصب كثير الفواكه به المدن العديدة والقرى المتكاثرة ومزاج قطره لطيف ذو اعتدال موقي من الرياح الحارة وهذه الاراضي بسفح جبل لبنان المشهور بطيب الهواء والماء الزلال

• وبالقرب من هذا الساحل تلك المدينة الظريفة التي تاتي اليها التجار افواجًا من الاقطار المعمورة وتجارها اعظم تجار الدنيا تجارة واجزلهم ربحًا ويظن الداخل اليها انها مدينة عامرة ومركز لتجارة الدنيا غير مختصة بامة دون اخرى وكل اهل هذه المدينة مشغول بالاخذ والعطاء لا تفتر همتهم بكثرة الاموال عن استدامة التكسب فنفوسهم لا تسأم من الاجتهاد في التجارة فتجد بهذه المدينة من جميع بضائع الدنيا اذ اهلها يتجرون الى ما وراء بوغاز فارس ودخلوا البحر المحيط وسواحل البحر القلزمي ويبحثون عن الجزائر المجهولة ويجلبون منها الذهب واصناف البخور والحيوانات ورجال صور اصحاب مروءة وحماسة اولو قناعة وتدبير واقتصاد وبشاشة وترحيب بالاغراب لا تدخل بينهم الشحناء والشقاق والحسد ذوو اقدام على الاعمال يكرهون البطالة والفضول ويحبون الفخر وشرف النفس لهم الخبرة في ابتداع السفن وهم اول من اطاعتهم الامواج وامتثل لسفنهم البحر العجاج

من اصحاب خالية حسبما حكتهُ التواريخ القديمة قبل اسفار اليونان كاسفار طيفيس والارغونوطية المدوحة في الاعصار الجاهلية ثم بعد هذا التامل التفتُ الى ربال لاسالهُ عن الصوريين كيف صاروا اصحاب تجارة الدنيا وحازوا الثروة والغنى فقال ذلك نصب عينيك وامره محقق لديك مما رأيته من الصوريين واما اذا وقع معاذ الله بينهم الحسد او حدثت فيهم الرخاوة باتباع اللذات وفتور الهمّة والتكاسل واحتقر كبارهم الاقتصاد والكد او هجروا اكرام ارباب الفنون بهذه المدينة او اهانوا الاغراب بالخيانة والمعاملات او غيّروا اصول التجارة بالاحتكار او اهملوا معامل الصنائع او تركوا البشاشة والترحيب لمن بينهُ وبينهم معاملة فشوكتهم القوية التي تعجب منها تسقط عن قريب

ثمّ قلت لهُ اخبرني عن الطرق التي تحصل بها يوماً في طياكي التجارة الرابحة قال هي ان تتلقى الاجانب بالاكرام والسهولة واجعل لهم الميناء مامونةً من المخاوف واعطهم الحرية في العمل ولا تتبع الطمع والكبرياء وعوّد رعيتك على حفظ الامانة والصدق وعاقب مرتكب الغش والتدليس في التجارة

ثم سالتهُ كيف حازت مملكة صور القوة البحرية والسفن

العديدة · فقال ان في بلادنا غابات جبل لبنان يحصل منها
خشب المراكب فلا يخرج منها شيء لغير هذا الخصوص ولا
يقطع شيء الاّ عند حاجة المصلحة الملكية وعندنا مهرة الصنّاع
وارباب الهندسة · فقلت كيف امكن الحصول على مثل هولاء
الصناع فقال تعلّموا وتقدّموا بتداوُل الايام فمتى اكرمتْ الحكومة
بالمكافأة الحسنة من برع في الفنون والصنائع حصلت المنافسة
حتى تبلغ الفنون الى درجة الكمال في اقرب وقت لانهُ في مملكتنا
هذه يكرم من ينجح في العلوم والفنون التي لها دخل في البحرية
والرياضية ويجزل عطاء الربان والنجار البارع والنوتي والانفار
البحرية وهولاء يعطى لهم الماكولات الطيبة واذا مرض احدهم
يُباشر تعهده بالعلاج واذا غابوا فلا بدّ من تعهد نسائهم واطفالهم
واذا ماتوا يعطى من بيت المال شيء لجبر العيال ولهذا ترى
الناس يتقاطرون من كل جهة لهذه الخدمة طوعاً واختياراً
ويكثر المتطلبون لهذه الوظيفة رغبة في خدمة البحار فالاباء
يرغبون في استخدام اولادهم في هذه الخدمة ويعودونهم في سنّ
الحداثة على مبادىء البحرية فترى ان المملكة تحصل على الرجال
بدون اكراه بل بالمكافاة وحسن الترتيب والانتباه

ثم بعد هذه المحاورات ذهبت مع نربال للتفرج على مخازن

المهمات والمعامل المختصة بالصنائع المتعلقة بعمارة السفن والمراكب فصرت اسالهُ اسئلة دقيقة عن تفاصيل هذه المادّة وهو يجاوب فكنت حريصًا على تقييد وكتابة ما تعلمتهُ في هذه الفرصة مخافة النسيان . ولكن نربال كان يرغب في مبادرتي الى السفر خوفًا من ان يطلع عليَّ جواسيس هذا الملك المتفرقين في المدينة وكانت الرياح لا تساعد فبينما نحن نتفرج على الميناء اذ حضر الينا من طرف الملك مندوبٌ بطلبي فقال لنربال بلغ الملك من احد روساء السفن التي جاءت من مصر انك استصحبت معك رجلا غريبًا وادخل نفسهُ في العساكر القبرصية والملك يريد القبض عليهِ ليعرف من اي بلد هو فابحث عنهُ واحضرهُ حالاً لبين يديهِ والاً وقعت في العذاب الاليم . وكنت انا حينئذٍ بعيدًا اتأمَّلُ في بناء سفينة جديدة فتحير نربال وداخلهُ الفزع وقال لهُ لا بُدَّ من البحث عن هذا الغريب واحضارهِ لبين يدي مولاي فلما ذهب الرسول جاء نحوي واخبرني عن الخطر الذي كنَّا نظن بهِ وقال الملك تردَّد في كونك قبرصيًّا وامر بالقبض عليك وهدَّدني بالقتل ان لم احضرك فما عاد يمكني الان اذهب بك الى قصره فاذا سئلت فلا ترتبك ولا تقل الا من جزيرة قبرص من مدينة اماطنطة ابن مصور تمثال الزهرة فاقول لهُ انا

ايضاً كنت اعرف اباك لعلهُ لا يدقق في القضية فيخلي سبيلك على احسن حال فاني لا اجد مخلصاً لي ولك الا هذه المقالة

فقلت لهُ دع هذا الكلام وخلّ المقادير تاخذ حدّها قد صنعت معي معروفاً فلا اكون سبباً في هلاكك من طرف هذا الملك واما الكذب فلا اتلفظ بهِ ولا اعتدت عليهِ فقال الكذب يباح في مثل هذا لانهُ لا يضرُّ باحدٍ من الناس بل ينقذ اثنين من القتل فقلت لهُ حسب الكذب مذمةً كونهُ كذباً لا يليق بانسان يخاف مقام ربهِ فان الصدق انجى وبهِ رضى الاله فلا تشرْ عليَّ بشيء لا يليق مني ولا منك فاذا اوسعتنا رحمة المولى انقذتنا من العذاب وان كان القدر قد سبق بهلاكنا كانت وفاتنا على حب الصدق اولى

فبينما نحن في هذا الحديث وفد علينا مندوبٌ آخر من حاشية الملك مرسل من طرف اسطاربة وهي أمراة بديعة الجمال شقيقة الهلال جمعت بين الملاحة والعقل ذات بشاشة وطلاقة محيّاً ربةُ تملُّقٍ ومواساة وتحيل ومع إتصافها بهذه الصفات واستكمالها لجميع طرائق الجذب التي تسلب بها العقول كانت قاسيةً غادرة بليغة الخبث والمكر تداري بالظاهر وتسلك في ذلك سبيل الزور والبهتان تشبثت بجذب قلب الملك فعلق بها

واستولت على فؤاده بما فيها من الجمال فلما اشتدّ عشقهُ وشغف بها هجر زوجتهُ وصار لا يفتكر الا في ارضائها ولكن كان حبها عليهِ مشومًا حيث كان قلبهُ مغرمًا بها وقلبها لا يهواه تتظاهر لهُ بالحب وتتمنى هلاكهُ

وقد كان حينئذٍ في مدينة صور شابٌ روميٌ من اناضولي اسمهُ مالاخون ذو حسن بديع يختلس الالباب يشبه النساء في التكسر والرخاوة غرقًا في بحر اللذات الذميمة وكان دابهُ الاهتمام بما يزين بهِ جسمهُ ويجمّل بهِ حالهُ فرأتهُ اسطاربة ذات يوم فاخذ بمجامع قلبها وهامت بهِ وجدًا وسرى حبهُ في لبها وكان يكرهها لتعلق قلبهِ بامراة غيرها وايضًا خاف ان يعلم الملك بذلك فيغار وينتقم منهُ وقد انست منهُ الكراهة والنفور فحقدت عليهِ ودبرت لهُ حيلةً وهي ان تدخل على الملك وتقول ان مالاخون هو الاجنبيُ صاحب نربال

فلما ارسل الملك وراء نربال دخلت على الملك وافهمتهُ بما ارادت من الحيلة ورشت اخصاءهُ حتى لا يخبروهُ بتدليسها وبما ان هؤلاء الخاصة يخشون بأسها لبّوا دعوتها والملك اعتمد قولها فثبت عندهُ ان مالاخون هو صاحب نربال الذي حضر معهُ من مصر فارسل وراءهُ فحضر فضرب عليهِ السجن

وصُرف النظر عني

ثم ان اسطاربة خافت من نربال ان يخبر الملك بحقيقة الخبر ويفشي سرّها وغشّها فارسلت اليهِ تقول لهُ ان اسطاربة تنهاك عن ان تعلم الملك عن حقيقة صاحبك الغريب فلا تطلب منك الا السكوت عن هذا الامر وهي تدبّر لك طريقة يحصل لك بها عند الملك الحظوة والاقبال وانما باشر حالاً بترحيل صاحبك مع القبرصيين الراحلين من هذه الديار ففرح نربال بخلاصي وخلاص نفسهِ ووعد الرسول بالسكوت فذهب اليها قريرا العين فشكرنا للمولى الذي نجانا بالصدق وصُرِف عنا غضب الملك الجبار بالكذب الصادر من السنة الاشرار

فبينما نحن في هذه المحاورات طابت الريح وخرجت السفن القبرصية فقال نربال اخرج يا ولدي قد اراد الله لك السلامة فارجو من الله ان ياخذ بيدك ويوصلك سالمًا غانمًا الى بلدك وتتمتع برؤية والديك ويحسن لك خواتم العواقب

واملي انهُ متى تم لك ذلك لا يبرح اسم نربال من بالك بل ادِم بيننا علائق المحبة وهذا فراق بيني وبينك

فلما سمعتُ هذا الخطاب بكيت ولم أُبدِ جوابًا بل قضينا سنّة الوداع مع السكوت فسافرتُ ومكثَ على الساحل وكلانا

يحدق بصاحبهِ النظر حتى خفيت الاشباح عن البصر

المقالة الرابعة

اذ كانت كاليبسه لم تزل باهتة متحيرةً مسرورة من هذه القصة المعربة عن حال تلماك قالت لهُ خذ لنفسك الراحة وتمتع بلذيذ المنام بعد التعب فلا خوف عليك هنا بل كل شيء يوافق مزاجك وفي غدٍ نصطبح من رحيق كلامك ونشنف المسمع بحديث حوادثك التي لا نلوم عليها غير الدهر فان اباك لم يصل في العقل الى هذه الدرجة ولا ساواك في الشجاعة والصفات كلاّ ولا اخيلوس هازم هقطور وقاتلهُ ولا طيسوس الذي نزل الدرك الاسفل وخرج منهُ سالمًا وإغتالت السباع غوائلهُ واين منك علقيدس الذي اراح الدنيا من الغيلان واذاهم فهؤلاء كلهم لم يساووك في الجهد والقوة وعسى ان يغشاك نعاس يقصّرُ بالنوم ليلتك الطويلة عليَّ فانهُ لا صبر لي على ان لا اراك معي حليف سمرٍ وظريف محدِّث يشنّفُ المسامع باطرب الاخبار فاذهب ايُّها الحبيب مع صاحبك العاقل الذي تفضل بهِ عليك مولاك وادخلا ذاك الغار المنفرد عسى ان

يفيض فياض النوم ومدبّر النعاس على جفنيك لطائف السنة حتى تذوق طعم الراحة وترى في منامك ولذيذ احلامك ما تقرُّ بهِ عيناك

ثم سارت بتلماك حتى ادخلتهُ الغار وكان مثل غارها في النزاهة الخُلوية وفي احدى جوانبهِ عين ماءٍ نابعة يسمع لهُ خريرٌ ودويٌّ لطيف لجلب المنام ولذيذ الاحلام وكانت جواريها قد جهزن فراشين على بساط الاعشاب في غاية اللطف واللين وهما عبارة عن جلدين كبيرين احدهما جلد اسد أُعدَّ لتلماك والاخر جلد دب لمنطور

فقبل ان تكتحل عينا تلماك غماضاً قال لهُ منطور ان تلذذك بحكاية قصتك جرَّك الى الحديث الطويل فقد شنَّفت مسامع كاليبسه بذكر واقعة حالك وخطر حوادثك وما صنعتهُ من التدبير والشجاعة حتى ملأَت قلبها هيباً ولا بُدَّ أَن تحتال عليك وتسعى بأسرك واستعبادك في هذه الجزيرة وتحرمك الخروج منها كيف لا وقد سحرت لبها ببثِّ قصتك مسهباً وسلكت سبيل التفاخر حتى افضي بك الى التهور ولم تتبصر في العواقب وبعد ما كان قصدها ان تقصَّ عليك ما جرى لابيك الجأَتك الى بيان ما تشتهيهِ فقلت ما قلت وخرجت عن حد المعقول

فهذه حالة النساء اللاعبات بالعقول المائلات الى العشق والغرام . فمتى اراك متلبساً بالعقل والحكمة لا تتفوه بالتفاخر الباطل ولا تمدح بما فعلت من عظائم الامور وتسكت عما فيه مدحك بدون فائدة . نعم الناس يستحسنون كمال عقلك لحداثة سنّك واذا صدر منك مالا يليق لا يلومونك واما انا فلا اقدر ان لا الومك اذا حصل منك ما لا يليق من القول والفعل اذ لا احدٌ يعرفك حق المعرفة غيري فيوقظك من سنة الغفلة لتسلك بافعالك اقوم مسلك فانت الان بعيدٌ من حكمة الوالد والفرق بينكما عظيم

فقال تليماك كيف اقدر ان لا اقصّ على كاليبسه حكاية حالي فقال منطور كان عليك ان تحكي لها ذلك لكن بما فيه اشارةٌ الى الشفقة ليعطف قلبها اليك وتتصدق عليك بالخلاص بان تقول انك كنت تارة في الافاق هائماً سائحاً وطوراً اسير رقٍّ في صقلية وعبداً في مصر راعياً الماشية فلو حكيت ذلك بمجرد هذه الرواية لكان كافياً وما عدا ذلك فلا منفعة منهُ الا ايقاد قلبها بنيران الغرام فعسى ان يحفظك الله من التعلُّق بها لنخلص من هنا والسلام

فقال تليماك خافضاً جناح الذل مظهراً الاسف .

ماذا اصنع . فقال منطور لا باس بتميم الحديث كما بدأت بهِ لان الكتمان يثير غضبها فقص عليها غداً ما انعم عليك المولى من الفضائل وتجنب من الان فصاعداً في حديثك ذكر ما يجلب لك المدح . فتلقى تلماك هذه النصيحة بالقبول ثم تهيأ للنوم

فاول ما نشرت الشمس اشعتها على سطح الغبراء وسمع منطور ربة الجزيرة تعطي جواريها من الغابات امراً ونهياً ايقظ تلماك قائلاً له قم بنا نذهب الى هذه الربة المدبرة لكن لا تأمن غوايتها كن ذا بصيرة فلا يغرنك لين كلامها ولا تدعها تفتح مغلق قلبك بمفاتيح العشق والغرام لان الاطراء بالمدح ذم فانها البارحة فضلتك على والدك الشجاع العاقل المفضل على اخيلوس وطيسوس وهرقول المخلد ذكرهم . أما هذا من باب المغالاة فهل تحقق عندك حسن صداقتها وصدق مقالتها الا تعلم انها لا تمدحك الا لظنها بك انك خفيف العقل تحب المدح بازيد مما هو فيك

ثم ذهبا الى المحل الذي فيهِ كاليبسه ينتظران قدومها فلما راتهما اتت متبسمة واظهرت لهما الفرح لاخفاء ما في قلبها من الخوف والحيرة لعلمها ان تلماك لا بد ان يهرب ذات يوم من جزيرتها كما هرب ابوه امتثالاً لارشادات منطور وآرائهِ .

فقالت لهُ ادنُ مني ايها العزيز لاني باشتياق الى سمع كلامك العذب حيث بتُّ هذه الليلة احلم بسفرك من سواحل الشام ومسيرك الى مصر وما جرى لك من الاخطار فجلسوا على تلك الرياض المعشوشبة المزينة بالاشجار البنفسجية مظلّلين باوراقها الحاجبة عين الشمس

فاخذت كاليبسه ترمق تليماك رمق المحب الهائم وتلاحظ حركة منطور بغضب اذ كان ينظر الى تليماك شزرًا واما الجواري الحسان اللاعبات بالعقول الساحرات الالباب فكنَّ حليفات صمتٍ وسكون صاغيات محدقاتٍ بهِ لرؤيتهِ وسماع حديثهِ وهو يغضي الطرف حياءً ويغضهُ من الخجل فاخذ بعنان الحديث وشرع في التحديث فقال

وبينما ساعدتنا نسمات الرياح اللطيفة وامتلات القلوع هواءً موافقًا وخفيت عنا سواحل صور . صرت مع الصوريين لا اعرف اخلاقهم فعزمت ان أُقيم حليف صمت واتامل ما يصدر من الحركات والسكون ولا اسال عن شيءٍ البتة لعلي افوز باعتبار الجميع ففي اثناء ذلك اخذتني سِنةُ كرًى وغفلت الحواس عن اولئك القوم فنمت نوم راحةٍ وسكر القلب بلذيذ المنام برهةً .فرايت بنتةَ الزهرة كأنَّها تجوب السحاب بعجلة مسحوبة

بحمامتين يطيران بها وأنها تريد السقوط علينا غير خائفة. حائزةً
غاية البهاء والجمال متسربلة بزهو الشبوبية وما حوت من اللطف
والرشاقة يذكرنا بخروجها من زبَد البحر حيث خطفت بصر
المشتري بانوارها اللامعة فسقطت علينا سقوط الطائر ووقعت
بجانبي وتبسمت ووضعت يدها على كتفي ودعتني باسمي فسمعت
منها هذا الخطاب العذب ايها الشاب اليوناني انت الان داخل
تحت سلطتي قريبًا من جزيرتي التي فيها المسرَّات والالعاب
والملاهي فمتى وصلتَ الى هناك فاطلق البخور في محرابي وانا افتح
فؤادك للامل بالنعيم الدائم واحذر من ان تعصى لي حكمًا وانا
قاضية الجمال وربة الدلال وحكمي انفذ الاحكام وما اريد الاَّ
الوصال منك وبلوغ المرام

ثم لمحت معها ابنها قوبيدون الوليد قاضي المحبة لهُ جناحان
صغيران يخفق بهما حول امهِ ومع انهُ يلوح على وجههِ التودد
والتلطف وفرح الولدان فانسان عينهِ بحدتهِ كالسنان وهو
ينظر اليَّ ويضحك ولكن يظهر من ضحكهِ الغدر ولا يؤمن من
المكر فهو ساحرٌ متهكم وجبَّارٌ متحكم فاخرج من كنانتهِ الذهبية
نبلاً وسهمًا واراد ان يفوّق قوسهُ نحوي ويصيب المرمى لولا ان
اغاثتني ربة التدبير معيضة الحكمة فسترتني بدرعها وكفتني

شرّهُ · ووجه مفيضة الحكمة يعني طلعة عطارد المطارد قاضي
الغرام ليس فيهِ جمال برخاوة ولا ذبول ناتج من قضاء الشهوات
واللذات كما في وجه الزهرة بل جمال تلك الطلعة بسيط على
اصل الفطرة خالٍ من التصنع رائق المزاج وعلى وجهها صورة
الجد والقوة والشرف وعظم الشوكة فلذلك لم يؤثر سهم الوليد
سلطان الغرام في درع الحكمة شيئاً بل سقط على الارض فغضب
الوليد وتنفَّس الصعداء وغرق في بحر الخجل وطُرِدَ عني حيث
قالت لهُ مفيضة الحكمة اذهب غير هذا المذهب اذ لا قوة لك
الاَّ على النفوس الجبانة الخليَّة من الحكمة والفضائل والشرف ·
فلما سمع الوليد هذه الكلمات خفق في الجوّ وعادت الزهرة الى
جبل اولمبيا مجمع المدبرين ومجلس الارباب المقتدرين فكنت
ارى عجلتها تجري في السحاب بالحمامتين حتى بعدت عني وغربت
عن بصري · فتخيَّل لي اني كنت قد اويت الى جنة نعيم ورايت
فيها منطور وهو يخاطبني ويقول اخرُج من هذه الارض الظالم
اهلها واهجر هذه الجزيرة الكثيرة الفساد التي يخشى على الطهارة
والعفاف من غوايتها · فأَوَّلُ ما وقع نظري عليهِ اردت ان
اعانقهُ واضمّهُ ضمَّ المشتاق ولكن شعرتَ بان قدميَّ فقدتا الحركة
وركبتيَّ لا اشعر بهما ويديَّ لا تقدران على الضمّ والعناق فبينما

انا احاول ذلك انتبهت من السِنة واستيقظت من النوم فقلت هذه رؤيا لا اضغاث احلام ورايت اني صرت شجاعًا على غلبة الشهوات ولكن لا اركن الى نفسي من الميل الى الغانيات القبرصيَّات واتخاذي الرؤيا ان منظور سكن اللحود واقام مع الاخيار في جنات النعيم مزَّق احشائي فاستولت عليَّ هذه الفكرة وهمت عيناي

فسألني من بالسفينة ما سببُ البكاء والنحيب فقلت لهُ ان الدمع جهدُ المُقِلّ وحيلة مقلةِ المسكين الغريب الهائم في الاقطار القاطع الرجاء من العود الى الاوطان واما اهل السفينة من القبرصيين فانهم عكفوا على اللهو واللعب والملاحون تركوا المجاذيف وناموا لتعوُّدهم على الكسل والربَّان الذي كان لابسًا اكليلاً من الازهار اهمل الدفَّة واعتاض عنها بالقبض على قارورة خمر لا زال يشرب منها حتى خامر عقلهُ الاسكار والركاب والعساكر انكبُّوا على النَهَلِ والعلَلِ بالاباريق والاكواب فكلهم غاب عقلهُ وصار مشغولاً بالاغاني والاشعار الخمرية والمقاطع الغزلية والغرامية يفعلون ما تنفر منهُ الطباع اتباعًا لهوى السكر فبينما هم غافلون عن اخطار البحر واهوالهِ هبّت العواصف وثارت الزوابع فكدرت السماء وتعكَّر الماء وقطَّعت الرياح السلاسل

والجبال ودوت في الشرائع ذوي الرعد القاصف ولطمت الامواج جوانب الفلك السيَّار فصار يعلو ويغور ولحنا قبالتنا صخوراً تلطم وجهها الامواج وتنكسر عليها فيسمع لها صرَّة وهادٌ يستلزمان الرهَب والهرب فلما رايت ذلك تذكرت ما سمعتهُ قبلاً من منطوران الجُبناء والمنكبين علي اللذات تقعد بهم الهمة وقت الخطر ويستولي عليهم الخوف اذ رايتُ كلاً من القبرصيين ينوح نوح الثواكل ويبكي بكاء الايتام ويندب حال نفسهِ وفقد حياتهِ وينذرُ النذورَ لمعبودهِ ولا يعتقدهُ قادراً على خلاصهِ فكنت لا ارى شخصاً ممن معي مالكًا عقلهُ ليعطي اوامر للملاحين لتسيير السفن فرايت من الواجب عليَّ ان اسعى بخلاص نفسي وخلاص ابناء جنسي من الغرق فوضعت يديَّ على الدفة لان الربَّان كان غارقًا في بحر السكر لا يعرف الخطر ولا يسال ما الخبر وقوَّيتُ جاش من في المركب وامنتهم من الخوف وامرتهم بتنزيل القلوع وان يجذفوا بالمجاذيف مع القوة والشدة وخلصنا من الخطر . فكانَّما كان هذا الخلاص لمن في المركب اضغاث احلام وصار كلٌّ ينظر اليَّ ويتامل كيف كان الخلاص على يديَّ

ثم وصلنا الى جزيرة قبرص في فصل الربيع المختص بالزهرة التي تزداد فيهِ حسنًا ونضرةً وفي هذا الفصل يزعم اهل قبرص

ان هذه المدبرة تفيض على الموجودات وتمنح الحيوانات الشهوانية حرارة المادة التوليدية كما تفيض على الازهار والاشجار ايناع الاثمار . . . فلما دخلنا الجزيرة تنسمت منها نسماتٍ لطيفةً مالوفةً يهمد بها البدن ويداخلهُ الكسل ولكن تجلب اليهِ نوع انتعاش وسرور ووجدت الخلاء خصبًا بالطبع ولكنهُ قليل الحرث ضعيف العمران لان اهلها يحبُّون الراحة ويكرهون المشقَّة فهم اعداء الكد والاشغال وقد رايت في جميع جهاتها النساء والبنات يتبرَّجن بالزينة . ويخرجن الى المنتزهات ويتغنين بالاشعار الغزليَّة المختصَّة بالزهرة ويزُرن هيكلها قصد التقرب منها وتلوح على محيَّاهنَّ الصباحة والملاحة ولكن عن تصنُّعٍ وتكليف فلا تجد عندهنَّ اللطافة الخلقية البسيطة ولا الحياء المألوف الذي بهِ يكمل الجمال وتألفهُ النفوس فيلحظن الشبان بطرف ناعس ليجبن العشَّاق ويجلبن الطلاب فجميع ماشاهدتهُ منهنَّ زخرف باطلٌ تنفر منهُ الطباع وتأباهُ النفوس ولذا كنت اجد نفسي تعافهنَّ اذا آنست منهنَّ البشاشة واقابلهنَّ عابسًا

ثم ذهبت مع بعض الذاهبين الى زيارة هيكلٍ من هياكل الزهرة العديدة المسمى قوطيرة فلما دخلتهُ وجدتهُ مصنوعًا من المرمر وهو ايوان واحدٌ بديع الشكل متسلسلاً بالاعمدة الضخمة

المرتفعة بنظام الصناعة وفوق الافريز منقوش على جميع الجهات حوادث الزهرة وعلى بابهِ تتزاحم الخلائق دائمًا للزيارة وتقريب القربان

واما ذبح مايقدَّم من القرابين واحراق ذهنهِ للاستضاءة واراقة دمهِ داخل محراب الزهرة فممنوع خلافًا لهيا كل غيرها وانما يُهدون الى امام المحراب الذبائح التي يريدون تقريبها ولا يقبل الا من كان فتيًّا ابيض اللون ناصعهُ خاليًا من العيوب ويكسون هَدْيَ القربان حلةً من الارجوان المطرَّز بالنضار ويذهّبون قرنيهِ بالذهب ويزينونها بازهار ذات رائحة ذكية ثم يبعثون بها الى محل بعيد لتذبح ويا كلها كهنة الهيكل وخدَمَهُ

ويتقرَّب ايضًا الى الزهرة بالاشربة العطريَّة والخمر الذكيَّة والكهنة يلبسون الثياب الواسعة المرفلة الناصعة البياض والنطاقات الذهبية ويديمون اطلاق البخور واحراق العود والندّ والعنبر على محراب اللذات · وجميع اعمدة الهيكل مزينة بالتيجان والطيلسانات · والآنية المستعملة للقربان مصنوعة من الذهب الخالص وحول الهيكل بستانٌ منذورٌ للزهرة · ولا يقدّم الهدايا الى الكهنة الا المُلاح الولدان الملاح والبنات البارعات في الجمال وهولاء الولدان والبنات يوقدون نيران المحراب وبعد الوضاءة

التامة فتند العفاف والصيانة مما يدنّس هذا المعبد العظيم الشان

ففي اول الامر كان طبعي يعاف ما رأيتهُ بهذه الجهات ونفسي تنفر من اخلاق اهلها ثم تدرَّجت الى اطالة النظر في ما اشاهدهُ من العوائد القبيحة وصرت ما ابصرهُ من الخلل لاتنفر منهُ نفسي ومال قلبي الى وفاق ما هم عليهِ اصحابي الذين آلفتهم هناك حيث انهم صاروا يسخرون بي على صيانتي وملازمتي العفة ويهزأون بما اتصفتُ بهِ من الحياء ومسك زمام النفس عن اللذات حتى كنت أُضحوكةً لهم ينصبون الاشراك لاقتناصي وينبّهون طباعي لاجتراح المنكرات فكنت احسّ بنفسي اني ضعفت عن مقاومة الملاهي والشهوات الحيوانية وكانني فقدت الشجاعة واضعت ما تهذَّبتهُ منذ الصغر وما كنت قد صممت على المحافظة عليهِ من الصلاح صار نسيًا منسيًا وصار عندي سلوك سبيل الاستقامة مما يوجب الخجل فكنت كالسابح في بحر عميق القرار تتلاعب بهِ الامواج وهو يدافع عن نفسهِ قصد الخلاص الى أن تلاشت قواه وكان العمق ماواه فاظلم بصري وعميَ قلبي وضاع صوابي ورشدي وغوى عقلي . وتذكُّر مآثر والدي ما عاد ينفعني . والرؤيا التى كنت رايتها في حق منطور بانهُ مات وسكن النعيم انفذت ما عندي من الهمة والقوة والبستني ثياب

الفتور واخمدت نار شجاعتي ودبَّ في عروق بدني دم الخبال وارتاح لذلك جسمي وتاقت نفسي للتملُّق ومالت الى الفرح واللذات وسرى فيها حبُّ المدح ومع ذلك كان لم يزل عندي بعض رسومٍ لدابي القديم فكنت اتأسف على ما مضى واسكب الدمع دمًا فقلت لنفسي ما اصعب الشبوبية اذ هي عُرضة للبلايا وغرض لسهام الدهر ليتني كنت عريًا من جلبابها متمتعًا بوقار المشيب منحني الظهر حتى لا اصير هدفًا لاخطارها فالموت خير من ركوب مطايا الخزي

فما فرغت من مخاطبتي نفسي الا وخفَّ عني الحزن والهم وداخل قلبي الندم ثم غرقت في بحر الملامة على نفسي وتعكر فكري فهمت في البستان المنذور واخذت اطوف فيه كالظبي المصاب بسهم الصياد الشارد في الاجم والغابات قصد نسياني نفسي والامي

وانا في هذه الحالة لمحت من بعدٍ تحت ظل شجرة خيال منطور ولكنهُ نحيل الجسم كئيب فصحت هل انت منطور ام خيالهُ. فما اظن الا انك خيالهُ لان منطور صار مع زمرة الارواح السعيدة في دار الخلد . فان كنت منطور اجبني لاسمع كلامك لانهُ جلُّ قصدي . ثم هرعت نحوهُ لاعرف احوالهُ وهو ينتظرني لا يبرح

من مكانهِ فوصلتُ اليهِ وصافحتهُ وقلبي لا يصدق بملاقاتهِ وكنت اظنُّ انها رؤيا فقبضت عليهِ لا اطلقهُ خوفًا من انهُ متى انفلت مني مضى عني فعند ذلك فاضت دموعي وعانقتهُ باهتًا متحيرًا لا اقدر ان افوه ببنت شفةٍ وهو يلحظني بعين الرافة والحنو

ثم قلت لهُ اين غبت وتركتني غرضًا للاخطار . ماذا اصنع بعدك . وهل استطيع فراقك فلم يجبني ولا وجَّه اليَّ خطابًا الا انهُ قال الفرار الفرار والبدار البدار الى الخروج من هذه الديار المصاب اهلها بوباء اللذات والشهوات والفواحش وجميع المنكرات الذي يسري الى من اتى اليها سريان الدم في العروق اهرب منها ولا تتاخر حذرًا من العدوى

فلما سمعت ذلك كانما انقشعت عن عينيَّ سحابة وتبينت حقائق الاشياء ونشأ في قلبي الفرح المشوب بالقوة والشجاعة وذهبت فرحة المسرَّات الدنية التي سرت قبيل ذلك سمياتها في جوارحي ففاضت دموع السرور واستعذبت البكاء بالعين القريرة برؤية الخل الوفي

فقال منطور اني مفارقك ومرتحلٌ هذه الساعة اذ لا استطيع المكث اكثر من ذلك . فقلت الى اين تذهب ولا اصحبك وقد تعلقتُ باذيالهِ فقال مه لا جدوى لك في القبض عليَّ والتعلّق

بي وانما ابثُّ لك قصتي وشرع يوجّه خطابهُ نحوي قائلاً اعلم انهُ لما فرَّق بيننا في مصر مطوفيس المامور باعني لتجَّار من عرب السودان يتجرون بالرقيق فسافروا بي الى دمشق الشام اذ كان قد اوصاهم انسان يدعى حزابيل على شراء غلام يونانيّ ليتعلم منهُ اخلاق الامَّة اليونانيَّة وعلومهـــا فلاجل كسب المال قصدوا التجارة بي و باعوني لهُ ... فاشتراني بالاموال الجزيلة واقتبس من معارفي عوائد اليونان ثم اشتاق الى السفر الى جزيرة كريد ليقرأ شرائع مينوس القانوني المملوءة من الحكمة فسافرنا وفي اثناء سفرنا اكرهتنا الريح على ان نرسي هنا وننتظر اعتدالها وفي هذه المدة زار معبد الزهرة وقرّب القربان وخرج من الهيكل وهو الان قادمٌ وقد اعتدلت الريح وملأَت الشراع فالوداع الوداع فان العبد الذي يخاف الاله يبذل الجهد في خدمة مولاه ولو كنت ما لكَ نفسي لبذلتها في خدمتك ولكن لا تنسى مجهودات ابيك و بكاء امك على فراقكما

فقلت لهُ لا امكّنك من الذهاب وابقى هنا ساعةً فالموت افضل من بقائي هنا بعد سفرك . فهل سيّدك الشاميّ لا يرقّ لي و يرحمني وهل يريد ان يفرقني عنك قهرًا وجبرًا فليختر احد شيئين اما ان يقبلني فاسير معك واما ان يقتلني فاسير الى القبر

فكيف تحثني على الهرب من هذه الجزيرة ولا تريد ان اسافر معك فقصدي ان اخاطب حزابيل لعلهُ يرثي لحالي ويعطف على شبابي فيرخّص لي بالسفر معك واكون لهُ عبدًا ثانيًا

فما فرغتُ من هذه الكلمات الاَّ ونادى حزابيل منطور للسفر فتمثلتُ بين يديهِ جاثيًا على ركبتيَّ خافضًا جناح الذل فتعجب حين رآني على هذه الصورة المؤذنة بالمذلَّة لا سيما انهُ لا يعرفني حتى اخضع لهُ هذا الخضوع فقال لي ما تريد ايها الانسان قلت اريد الحياة منك بالسفر مع مملوكك منطور فاني متى فارقتهُ متُّ لا محالة وانا تليماك بن عولس اعقل ملوك اليونان الذين دمَّروا مدينـــة ترواده واحسنهم تدبيرًا وما ذكرت لك نسبي قصد التفاخر وانما ارجو ان يكون سببًا للشفقة عليَّ لانني معذور اذ بحثتُ عن ابي في البحار والبرور وكان معي هذا الرجل الصالح كوالدي فخانني الزمان بفراقهِ وجعلهُ عبدًا لك فاقبلني مثلهُ في الرّق لأتمتع برؤياهُ فان صحَّ انك تهوى العدل وتحبُّ السفر الى كريد لدراسة شرائع مينوس فلا يقسُ قلبك عليَّ وانظر الى ثُجل ملكٍ آل امرهُ الى طلب الرّق ليكون مع صاحبهِ فيا ايها السيد الاكرم اني آثرت الموت في صقلية على الاسترقاق . واما الان فاني ادخل تحت الولاء طوعًا واختيارًا

فان لم تبلغني المراد وفرقتني من هذا الصاحب فليحكم بيننا في الاخرة مينوس الذي انت جادٌّ في طلب ما اشترعهُ من الشرائع والقوانين والحكم وهو خير حكم

فكنت اتكلم وحزابيل ينظر اليَّ بعين الرضى ويقابلني بوجهٍ طلقٍ فلما فرغتُ مدَّ يدهُ ورفعني وقال لا اجهل عولس ولا خصالهُ الحميدة وطالما حدَّثني منطور بفخرهِ الذي احرزهُ بين اليونان فلا باس بسفرك معنا يا ابن عولس ولتكن كولدٍ لي وانا اكون لك كوالد الى ان يجمع المولى شملك بوالديك ولو فرضنا انني لا أُراعي خاطرك بالنظر الى فخر والدك والى ما قاسيتهُ من نكبات الدهر فالمحبة التي بيني وبين منطور مالك عنانك توجبني على ان اصحبك معي في سفري واهتمَّ بشانك نعم اني اشتريت منطور واتخذتهُ مملوكًا ولكنهُ الان عندي اعزُّ خليل واجلُّ سميرٍ صادقٍ في ودّهِ وما اعطيتهُ من الثمن اكتسبتُ بهِ خير صديق وجدت عندهُ الحكمة والاداب والخصال الحميدة فلهُ عليَّ الفضل والمنَّة لما علَّمنيهِ من حسن الاخلاق وتحسين الخُلق والميل الى ما تقتضيهِ المحامد فمن هذا الوقت قد حررتهُ وانت ايضًا تسير معي على الحرية ولا اطلب منكما الا الرضى والمحبة كما هي شروط الرفاق

حينئذٍ تحوَّل حزني فرحًا وارتاحت نفسي واملت بالعود الى وطني وتسليتُ بوجداني انسانًا يحبني بمجرد حبهِ الآداب وقد استكملت مسراتي باجتماعي مع منطور فتقدم حزابيل نحو الفُرضه وتبعناهُ ودخلنا السفينة وكان الهواء موافقًا فسرنا حتى غابت عنا جزيرة قبرص حينئذٍ سالني حزابيل عما يتعلق باخلاق اهل الجزيرة فافدتهُ بدلالة التضمُّن ان الشبوبية فيها على خطر وان ما جرى لي من محاربتي النفس وغلبتي عليها لا يخطر على قلب بشر فرقَّ لي واستعظم ما جرى معي وصاح ايا زهرة الجمال مفيضة الملاحة وبديعة الشكل قد جرَّبتُ سلطتك على قلبي وحكمكِ على لبي وسطوة قاضي الغرام الذي هو ثمرة شجرتك النامية ووليد طلعتكِ البهية وقد احرقت العود والندَّ على محراب معبدك المشهور ولكن لا عتبَ عليَّ ولا لوم في اني استقبح ما عند اهل جزيرتك من الخلاعة والخنث وعدم الاستقامة وما يفعلونهُ في مواسمك من ارتكاب المنكرات المخلَّة بالحياء والادب

ثم تذاكر مع منطور فيما اختصت بهِ الذات العلية التي ابدعت جميع الكائنات وافاضت على العالمين الروح التي هي جوهر نورانيّ بسيط منبثٌ في الاجسام منبعثٌ شعاعهُ في العقول المنوَّرة بافاضة المعارف ومن حُرِم منهُ يقضي الحياة في ظلمةٍ

كالذي لا تطلع الشمس عليهِ يظنُّ انهُ عاقلٌ وهو جمادٌ غافلٌ عن حقائقِ الاشياء فاقد البصيرة واذا مات كأنهُ لم يكن قد شاهد شيئًا من الحقائق ونهاية الامر انهُ يتصوَّر اشياء مبهمةً ليست من باب الحقائق بل من قبل الوهم والخيال كدأب الذين يميلون الى الشهوات وتجذبهم جاذبيَّات الجمال الظاهر فلا يقال للرجال انَّهم ارباب حقيقة وكمال الاَّ اذا كانت عقولهم وقَّادةً يُرجع اليها في الحكم على الامور فالذات العليَّة المتصفة بصفة التدبير هي التي تلهمنا فعل الخير وتثيبنا عليهِ ولا ترضى منا الشرَّ وتؤاخذنا بهِ وهي التي اوجدت فينا العقل والحياة ومرجعنا اليها كالجدول والغدران تخرج من هذا البحر وترجع اليهِ وهذا تمام مذاكرتها

ولو كنتُ ما فهمتُ حقيقة هذه المذاكرة ولا اتقنتُ سرَّ حكمتها فقد ادركت انها احتوت على عقائد صحيحة فداخل قلبي حماسةٌ وشجاعة تصديقٍ وظهر لي ان الحقيقة ترجعُ الى تلك الكلمات ثمَّ استمرَّا يبحثان عن حقائق الالوهية على راي اليونان وفحول الرجال والشعراء المفلقين في ذلك الزمان وجرت المحادثة بذكر الطوفان والتواريخ الاوليَّة وذكر برزخ الارواح والبعث والنشور ودخول اهل السعادة في دار السعادة واهل الشقاء في دار الشقاء

وبينما نتحدث كلٌّ من منطور وحزابيل لمحنا سمك الدلفين المستور بالفلوس المشبهة الذهب تعلو الامواج وتغور من تلاعبهِ ثمَّ شاهدنا سمك الرنن يسمع لهُ صوت كصوت الطبل وحولهُ عربة عروس البحر يجرُّها حصانٌ بحريٌّ اشدّ بياضاً من الثلج يشقُّ المياه فيتركها اخاديد وكانت هذه العربة صدفة عظيمة عجيبة الشكل اشدَّ بياضاً من العاج وعجلاتها الذهبية تمرُّ على وجهِ المياه الراكدة مرَّ السحاب وحولها بنات البحر متوّجاتٍ باكاليل الازهار يسبحنَ حول العربة راخيات الشعور السود على المناكب والهواء يلعب بها من كلِّ ناحية وكأنَّ في احدى يديّ العروس قضيباً من الذهب لتسطو بهِ على الامواج وبيدها الاخرى وليدها الرضيع يمصُّ ثديها المتدلي على صدرها البديع ووجهها بشوش رائق ذو هيبة تهابهُ الرياح والزوابع والرنن يسحب خيل العربة بعنانٍ مذهّبٍ وكأنَّ فوق العربة قلعاً ارجوانياً تلعب بهِ النسمات اللطيفة وترى سلطان الرياح كأنهُ معلّقٌ بين الارض والسماء ورافع في الجوّ لواهُ ومنظرهُ منظر العجلان المتحيّر الحادّ الطبع ووجههُ متكدر من الغمّ والكآبة الغمامية صوتهُ هائل وشعر حاجبيهِ كثيف وعيناهُ يطير منهما الشرر قابضاً اعنة خيول الاهوية ويدفع بقوتهِ السحائب الغمامية

والحيتان اليونانية التي يحدث من ريح أنوفها المدّ والجذر الخارجة
من حصونها للتشريف بمقابلة عروس البحر البهية الطلعة

المقالة الخامسة

فبعد ان شاهدنا هذه العجائب البحرية ظهرت لنا على بعدٍ
جبال كريد في خلال السحاب وانما الامواج مانعة من كشفها ثمّ
بدأ لنا جبل أبدا الشامخ على سائر جبال الجزيرة كأنهُ غزالٌ
عظيمٌ في غابةٍ اسبل اغصان قرنية فوق رؤوس نتاجه وبعدُ
نظرنا على التدريج حقائق الشواطىء والبرور على شكلٍ مدرّج
ووجدنا هذه الجزيرة خصبة مزينة بالاشجار المثمرة معمورة بجدّ
اهلها خلافًا لجزيرة قبرص الخربة المهملة من الزراعة

وفي جميع هذه الديار قرًى متقنة ومدن ظريفة مشيدة
ولا تجد ارضًا في الخلاء الاَّ مزروعة متقنة خالية من الشوك
والنباتات الطفيلية التي تضرُّ بالمزروعات واستحسنا في غيطانها
اقاطيع البقر ترعى في رياض المراعي على صفحات الجداول وترتعي
الغنم على جوانب التلال وفي السهول زروع الحبوب مثرية
كثيرة الغلات وفي الجبال أشجار الكرم والاعناب موذنة بهدايا

خمرة ذهبية تُصبُّ في الاقداح

وحدثنا منطور انهُ حضر قبل هذه المرة الى هذه الجزيرة وانهُ يعرف احوالها فاخبرنا عما يعلمهُ من شأنها فقال انها من القديم شهيرة لاسيما بما فيها من المدن التي هي مئة مدينة يخرج قوت اهلها الكثيري العدد من اراضيها التي تزداد خصباً بزيادة حرثها واي بلد كثر اهلهُ واجتهدوا في الحرث كثر خصبهُ وصاروا على منوال واحد في الراحة فتراهم بمعزل عن التباغض والتحاسد لاستوائهم في الاقطاع بمحصولات الارض المباحة وتعيشهم من ثمرة الكدّ وعرق الجبين وهذه المعيشة كافية لان يحبّ بعضهم بعضاً فان الطمع والبخل في الناس هما اصل الشقاء والشقاق . وهذا مطمح نظر مينوس الذي هو اعظم ملك عقلاً وتدبيراً فكلّ ما تراهُ حسناً هو من ثمرات قوانينهِ ونتائج شرائعهِ التي سنّها وأيّدها وما رتبهُ لتأديب الغلمان وتهذيب الولدان يعود لصحة اجسامهم وعافية ابدانهم فيتمرنون اولاً على احكام تناوُل الماكولات بقدر الحاجة بدون تأنقٍ في المآكل ولا اكثار وعلى كثرة الكدّ والشغل ورياضة البدن لان اهل كريد يقولون ان الانهماك في الملاذّ سبب ارتخاء البدن وضعف العقل والاكثار علة فتور الهمة . ويعوّد دون الاولاد على سلوك سبل الاخلاق الحميدة واكتساب

الفخر في زمن الشبوبيّة ومن المزايا التي يتعلمها الصبيان ويعتاد
عليها الشبّان استسهال الموت في الحروب والاستهانة بالاخطار
في الخطوب واحتقار الامور الجسيمة والامور الدنيوية ويفرضون
وجودها كالعدم وعندهم ما يعاقب عليهِ المرء ثلاث مثالب
كفران النعم والتدليس والبخل · وإما الزينة والكسل فلا
وجود لها عندهم اذ الجميع منكبّون على الاشغال ولا قيمة للاموال
عندهم بل كلٌّ يكتفي في مقابلة شغلهِ وكدّهِ بالعيشة الرضية
والحياة الهنية حتى يتمتع بالراحة والهنا وانفسهم تعاف الاثاث
الثمين ونفيس المتاع ولا تألف الولائم العظيمة الفاخرة ولا
يزخرفون قصورهم ويقتصرون في الملابس على مشغولات الرفيع
من الصوف الجيد النعومة والملاسة وما كلهم مختصرة وموائدهم
مشيّدة على اصول القناعة فلا يشربون عليها الاَّ قليلاً من
الشراب وركنها الاعظم الخبز النظيف والفاكهة التي يقطفونها
بايديهم وألبان الماشية الجيّدة وربما يأتون بيسيرٍ من اللحوم خاليًا
من التوابل المقوّية الشهيّة محافظة على ابقاء الماشية للزراعة
وبيوتهم نظيفة مستوفية المرافق واللوازم خالية من كلّ زينة
وزخرفة اذ ذاك لا يوافق طباعهم والمباني الجيدة العظيمة غير
مجهولة عندهم وانما لا تكون الاَّ للمعابد والهياكل حتى لا يكون

بيت العابد كبيت المعبود . واعظم الخيرات عندهم التمتع بالصحة والعافية والقوة والشجاعة والصلح وانفاق العشائر والبطون بالنية الصافية وحرية الاهالي ويرغبون في كثرة الاشياء اللازمة وعن ما زاد عن الحاجة ويكرهون البطالة ويحبّون الشغل والكدّ والتنافس في مكارم الاخلاق وامتثال الاحكام ومخافة الله والسلام

فسالت منظور عن شوكة الحكومة وسلطة الملك فقال الملك هو صاحب النفوذ في الرعيّة يامر وينهي واحكام المملكة وقوانينها تجري عليه فهو مرخّص له في اجراء العمل الصالح وتنفيذ صالح المصالح واذا ساء الاعمال تغلّ يده فان الاهالي سلمتهُ الشرائع وديعةً بشرط ان يكون ابًا للرعايا وافتهما كانّ الشريعة استخدمت رجلاً واحدًا لراحة الكثيرين بتدبيره وعدالتهِ وجعلت الكثيرين يخدمون مع الاستعباد والطاعة رجلاً واحدًا لقضاء ما ربهِ . فالملك يحقّ لهُ على الرعية ما كان لازمًا لذاتهِ الملوكية إما بما فيهِ اعانةٌ على حمل اعباء المملكة او بما فيهِ احترامهُ وتوقيرهُ عند الاهالي الذين يخدمهم باجراء قوانينهم واحكامهم ليدفع عنهم التهلكة ومن حقوقهم عليهِ ان يكون اكثر منهم قناعةً وتدبيرًا واستقامةً وفخرًا ممدوحًا عدوّ الجبن

والهشاشة خلياً من الزينة والزخارف وأن يكون اكثر منهم مالاً وراحلةً . وعليهِ بالنسبة الى الخارج الذود عن الوطن وقيادة الجيش . وتجنيد الجنود والائتمان على الامارة . وبالنسبة الى الداخل الحكم بين الاهلين بالقوانين المرعية والقضاء بالاحكام الشرعيَّة لاصلاحهم وحسن استقامتهم وتدبير صلاحهم وايجاد الراحة والهنا في بلادهِ

ولم يرضَ مينوس أن تصير المملكة بعدهُ لاولادهِ وراثةً الاَّ بشرط ان يحكموا بموجب قوانينهِ وآدابهِ فكان يحبُّ رعاياهُ اكثرَ من اولادهِ بدليل وصاياهُ فبحسن تدبيرهِ صيَّر شوكةَ كريد قويةً وبعدا لتهِ محا فخر الفاتحين البلاد والمسخّرين العباد الذين ارادوا ان يجعلوا الاهالي وسيلةً لعظمتهم وتكبرهم وادواتٍ لمطامعهم واظهار شهرتهم ولذا ارباب الميثلوجيا نظموهُ في سلك الاولياء

فما انتهى منطور من حديثهِ الاَّ وصلنا الى الجزيرة فرأينا بها السردابَ الشهير الذي بناهُ المهندس ديدالس على نظام السرداب الكبير الذي في الديار المصرية فبينا نحن نتأمل في صفة هذا المبنى العجيب اذ راينا الناس تزدحم على الشاطىء قرب البحر كاسراب القطا فسألنا ما سببُ هذا الازدحام فحكى

لنا شخصٌ يدعى نوسيقراط عن ذلك وهذا نصُّ كلامهِ ·

قال ان ايدومينوس بن دوقاليون وحفيد مينوس كان قد ذهب كغيرهِ من ملوك اليونان الى محاصرة تروادة وبعد ما دمروها قصدا الرجوع بعساكره وسفنهِ الى جزيرة كريد ففاجأتهم العواصف حتى ظنوا انهم غارقون لا محالة وصار كلٌّ منهم يندب حالهُ ويتأسف على حياتهِ · فبسط ايدومينوس اكف الضراعة وتضرَّع الى عالم السرّ والنجوى ونذر لنبطون وليّ البحار على اعتقاد اليونان ومفيض التدبير على الامواج في عقائد تلك الازمان ما نذرهُ سرًّا وجهرًا قائلاً ايها المتولي الذي هو قطب دائرة السلطة البحرية المتصرّف بالامواج بسطوتهِ لبِّ دعوتي بالاجابة · فان وصلت الى جزيرة كريد رغمًا عن انف الزوابع لانحرنَّ لك قربانًا اوّل من اصادفهُ فيها فلما نجا من العواصف واوشك ان يصل الى الجزيرة شكر صنيع نبطون واثنى عليهِ · ثم ادرك حينئذٍ شؤم نذرهِ وندم على فعلهِ وشعر بنفسهِ انهُ فعل ما لا يليق لانهُ ربما كان اوّل قادم ابنهُ او صديقهُ وكان كذلك لانهُ حال وصولهِ وقع نظرهُ على ابنهِ فهالهُ الامر وداخلهُ الفزع وحاول ان يقع بصرهُ على آخر فما نفع فهجم الولد اليهِ واراد ان يعانقهُ ليطفئ نار شوقهِ فاعرض عنهُ فتعجب حين

رأى من والدهِ عدم الالتفات اليهِ وانِس منهُ الغمّ والكآبة وابصر الدمع على خديهِ كالمزن . فقال يا ابي ما سبب هذا الغم والاكتئاب أبعد هذه الغيبة الطويلة والعود الى بلادك تحزن . ولماذا لا تلتفت الى ولدك وفلذة كبدك . هل صنعتُ شيئًا استحق بهِ عدم الالتفات وان لا تراني بعينيك والاب مهمومٌ كئيب آخذ بالتنهّد والزفير ثم قال يا نبطون الا تقبل بدلاً عن هذا النذر . اعدني الى لجج البحار فاغرقَ وينتهي عمري المنحوس ويحيا ولدي المأنوس فيا ايها المتسلّط على البحار والملك الجبّار هذا دمي مباحًا لنجاة ولدي فما انتهى من هذا الكلام حتى جرّد حسامَهُ ليطعن بهِ نفسهُ ويفدي ولدهُ فمنعهُ الحاضرون

وكان حاضرًا حبرٌ من الاحبار العظام بحسن تأويل الامور اسمهُ صوفرنوس فنصح لهُ بقولهِ انهُ يصحُّ ان يقرَّبَ غير هذا القربان ويرضي نبطون بشرط ان تسمع نصيحتي وتفي بالنذر ولا تضمّ الى حرمةِ النذر حرمة الوفاء والانجاز فقرّب بدلاً منهُ مئة ثور بيض ناصعة واهرق دماءها على محراب نبطون المكلّل بالازهار وبخّرهُ بالروايح الذكية فتكون أدّيت الواجب ووفيت النذر

فسمع الملك كلام الحبر وهو خافض الرأس منحني الرقبة

لم يفه بكلمة وظهرت على وجهه لوائح الغضب والحدَّة وانكسف لونهُ وتغيرت هيئتهُ وارتعدت مفاصلهُ من الخوف وتأثر كلَّ التأثر . فقال لهُ ابنهُ يا ابي اني سميع مطيع ممتثلٌ لحكم الله واوفاء النذر ولا ارضى ان تقع في الحرام وتكون عُرضةً للانتقام فاذا ذُبحتُ قرباناً لمرضاة الاله ووقايتك من السخط والعذاب والجزاء والعقاب لا أُبالي فاضرب يا ابي عنقي ولا تخشَ من ان يكون ولدك ليس اهلاً لطاعتك فهو مقبلٌ على الموت لا يهاب القتل

حينئذٍ خرج ايدومينوس من الطور البشري وهاج وثارت حدةُ غضبهِ فاختلس غفلة الحاضرين وطعن احشاء ابنهِ بالسيف ثم جذبهُ من جوفهِ مخضباً بالدم الحارّ ليدخلهُ في احشاء نفسهِ فصدَّهُ الحاضرون عن ذلك . فغرق الولد في دمائهِ وغشي انسان عينهِ كدورةُ الموت وانطبقت عيناهُ وذبل شبه الآس في الرياض اذا قُطع ساقهُ ثم فقد الحياة . فهذا ما جرى لهذا الابن الذي حصدهُ منجل الموت وغصنُ شبابهِ نضرٌ فصار ابوهُ مما اعتراهُ من الخبل والغضب فاقد الشعور لا يعرف اين هو ولا كيف يفعل وسار نحو المدينة كالسكران وهو يسأل عن ولدهِ كلّ انسان

فرثى جميع الناس لحالِ ذاك الوليد وهالهم ما فعلهُ ابوهُ من الجهالة والغضب فصاح الجمع قد اذاقهُ هذا الفاجر كاس المنون فحنقوا عليهِ وحنوا على الابن واشتدَّ عندهم الخطب فاستلوا العصيّ والاحجار قصد التطاعن والتضارُب ووقع بينهم النزاع والشقاق واضرمت نار الفتنة ومع أنهم عقلاء واصحاب تدبير نسوا ما أَلِفوهُ وصاروا كانهم لا يعرفون حفيد مينوس ولا يكترثون بهِ حيث قتل ابنهُ من فوران الدم فاحبابُ هذا الملك لم يجدوا سبيلاً لخلاصهِ من ايدي الآخرين الاَّ انهم انزلوهُ في سفينةٍ وفرُّوا بهِ هاربين في طريق البحر فلما افاق وردَّ عقلهُ اليهِ شكرهم على نزعهِ من هذه الجزيرة التي سقاها من دماء نجلهِ فهداهم الهواء الى جهة ايطاليا وأَسَّسوا هناك مملكة جديدة في بلاد السلاَّنية

واما اهل كريد فشرعوا في انتخاب ملك يكون رئيساً عليهم بشرط ان يتمسك بقوانينهم ويعمل بموجبها فطريقة انتخابهم انهم اوَّلاً اجتمع اعيان اهل المئة المدينة وقرَّبوا القربان ثمَّ جمعوا جميع الحكماء والعقلاء المشهورين في جزيرتهم لامتحان من يصلح للملكه والرئاسة وطريقةُ الامتحان انهم جهزوا برجاسيين عموميين في ميدانٍ حافلٍ ليبرز فيهِ للمناضلة المتطلبون الملك من افاضل

الرجال ليُعطى قصب السبق وهو المملكة من يفوق اقرانهُ في حومة الميدان بالعقل والجسم لان القصد تولية ملك قويّ البنية والبدن ماهرٍ لا يخطئ سهمهُ الغرض يكون مزيّنًا بالحكمة ومكارم الاخلاق والآداب ويكون دأبهُ الاستقامة وقد التمسوا حضور الغرباء في هذا الامتحان عسى ان يكون بينهم من اجتمعت فيهِ هذه الشروط .. فبعد ان حكى لنا نوسقراط هذه القضية قال بادروا الى الحضور في هذه الجمعية البهيَّة وسابقوا مع اهل السباق فاذا فاز احدكم يصير ملك هذه البلاد

فذهبنا الى ميدان متّسعٍ جدًّا حولهُ غابةٌ متكاثفة الاشجار وفي وسط الميدان حوزة مجهزة لاهل المناضلة وحول الحوزة مدرَّجٌ عظيمٌ من الرياض والاعشاب جالس عليهِ ما لا يحصى من الخلائق فلما اقبلنا رحبوا بنا واكرمونا لان اهل كريد اكرم اهل الارض واخلصهم نيَّةً في حقِّ الغرباء فاجلسونا ودعونا للمناضلة والمبارزة والنزال فاعتذر منطور بكبر سنهِ وحزابيل بعدم صحتهِ واما انا فلا وجه لاعتذاري بل نظرت الى منطور متفرّسًا لعلَّهُ يشير اليَّ بالمبارزة فرأيت ذلك جلَّ مرغوبهِ فاجبتُ الدعوة بالقبول وتجرَّدت عن ثيابي للتدهين فصبّوا عليَّ كثير الزيت الحلو الرائق وغسلوا بهِ اعضاء بدني مراتٍ

ثم انتظمت في سلك المبارزين فسمعت صراخ الناس من كلّ جهة هذا ابن عولس حضر هنا ليحوز قصب السبق اذ كان جمٌ غفير من اهل كريد في طباكي فعرفوني اسمًا ورسمًا . فابتدأوا اولاً في المصارعة وكان شخصٌ من اهل رودس يبلغ من العمر خمسًا وثلاثين سنة قد فاق على الاقران لانهُ كان شابًا قويّ البنية شديد الاعصاب فلما جاءت نوبتي راى انني لست اهلاً للدخول معهُ لحداثة سنّي المؤذنة بالاحتقار ظنًّا منهُ انهُ اذا بارزني وغلبني لافخرَ لهُ ولولا اني راجعتهُ لتركني وانقلب فقبض كلٌّ منا قِرنَهُ وتعانقنا والتفّت الاكتاف بالاكتاف والساق بالساق وقامت الحرب على قدم وساق وبرزت الاعصاب والتوت الذراعان بعضها على بعض وتطارحنا على وجه البسيطة وكلٌّ منا يحاول رفع خصمهِ عن الارض ثم بعد الارتفاع هجم عليَّ على حين غفلة وحاول ان يدفعني من الجهة اليمنى الى اليسرى وبالعكس واذ ذاك دفعتهُ بالقوة والعنفوان فوقع مجندلاً على الارض وجذبني فوقهُ وحاول ان يقلبني فما ساعدتهُ قواهُ فمسكتهُ حتى عدم الحركة فصاح الناس انتصر ابن عولس .حينئذٍ ساعدتهُ على القيام لينظرهُ الحاضرون.

ثم رجعوا الى حرب المضاربة والملاكمة فكانت اصعب

واتعب وكان ابن احد الاغنياء من جزيرة شاموس قد اشتهر شهرة عظيمة في هذا اللعب الحربي وظهرت وقائعهُ فسلموا لهُ انهُ فائق الاقران لايحتاج الى الامتحان فطلبت الدخول معهُ لِئلّا احوز النصرَ فضربني اولاً على راسي ثم ثنّى بضربات شديدة على صدري غشيت منها وكدت ان اعدم التنفس لولا ان صوت منطور انعشني حيث ناداني قائلاً اتصير منلوبًا وانت ابن عولس فاحيا نفسي وتجددت قواي وتنحيت عن عدة ضربات ثم ضربني ضربة ظنَّ انها القاضية فخاب ظنّهُ وخانهُ ساعدهُ واخطأ سهمهُ حينئذٍ هجمت عليهِ اسرع من لمح البصر فادبرَ حين رفعت يدي لاسقط عليهِ بجدَّة واراد ان يخيبني بتدبيرهِ فمال الى جهة ثانية وفقد الموازنة فسهل عليَّ ان قلبتهُ في الميدان ثم مددت يدي لارفعهُ فانتصب بنفسهِ وقام معفرًا بالغبار والخزي ولم يجسر على الاستئناف فانتصرت عليهِ

وبعد ذلك رجعوا الى السباق بجريان العربات بالخيل فقسموها بالقرعة لياخذ من يجري في الميدان نصيبهُ منها فكان نصيبي عربة خفيفة العجلة وخيلها كثيرة العجلة فانتقلنا في الجولان وثار الغبار حتى غطّى الآفاق فتركت ارباب السباق يسيرون امامي واحدًا بعد واحد وكان اول من ساق شابٌّ من مدينة

مستترا في جزيرة مورة يدعى قرانطور ثمَّ تبعهُ شخص كريدي اسمهُ نولقطيط من ذوي قرابة ايدومينوس ثم آخر يدعى ايوماكس فهذا اطلق عنان خيل عربتهِ وسار سيرًا سريعًا حتى ارفضّت عرقًا وكانت حركة عجلتهِ سريعةً حتى يظنَّ انها ساكنة لا حركة لها مثل جناحي النسر الطائر في الهواء واما خيل عربتي فكانت منتعشةً تسير مطمئنةً مرتاحةً حافظة القوى فبهذا تركت ورائي من سار امامي واما نولقطيط فانهُ بالغ في حثّ خيلهِ حتى سقط جوادٌ منها على الارض وقطع الرجاء من تولي المملكة وكذا ايوماكس الذي اهتزت عربتهُ في الميدان اهتزازًا عظيمًا فسقط منها وساعدتهُ المقادير حتى تخلص بنفسهِ واما قرانطور فانهُ اغتاظ كل الغيظ حين دنوت منهُ فضاعف عزمهُ وصار يتضرَّع الى الالهة وينذر النذور ويحثّ خيلهُ خوفًا من ان اتوسط بينهُ وبين هدف الشوط فاسبقهُ الى الغرض لان خيلي كانت مرتاحةً فما اجداهُ ذلك نفعًا فخاطر حينئذٍ بان كسر عجلة عربتهِ بمصادمة الهدف قصدَ ان يكون بيني وبينهُ حجابٌ فبادرت حالاً بالدوران حتى لا اقع في ارتباك مثلهُ وبعد لحظة رآني في آخر الشوط بلغت الغرض قبلهُ فصاح الجمع غلب ايضًا ابن عولس حينئذٍ اخذنا اعيان الكريدلية وعقلاؤهم وهم من ارباب

الحلّ والعقد وساروا بنا الى غابةٍ من الغابات يتبركون بها ويقولون انها حرم التقديس بعيدة عن التدنيس وفيها شيوخ طعنوا في السنّ كان قد رتبهم مينوس امناء على القوانين والشرائع وهم قضاة الاهلين فادخلونا مجلسهم مع من كان يناضل ويناز ل وامتاز في الوقائع الامتحانية واحضروا الصحيفة التي دوّنت فيها شرائع مينوس وقوانينهُ بالتكريم والاجلال فداخلني نوعٌ من الاحترام والهيبة حين دنوت من هولاء الشيوخ الذين حازوا وقار الشيخوخة دون ان تشيخ عقولهم او تضعف فرأيتهم جالسين مع الترتيب والانتظام عليهم لباس السكينة والوقار شعورهم بيض وبعضهم اصلع مستنيرة وجوههم بنور الحكمة والعلم تلوح عليها علامة الجدّ ممزوجةً باللطف واللين يتانون بالكلام ولا يقولون الا ما صمّموا عليهِ واذا اختلفت آراؤهم يتلطفون بالمذاكرات حتى يقفوا على افضل الاراء بلا تشنيع ولا جدال حتى يظنّ انهم كلهم على رأيٍ واحدٍ وكلمة واحدة فاستحسنت احوالهم وتمنيت لو طلت مطالهم ببلوغي سنّ الشيخوخة فقام اكبر هولاء الشيوخ وفتح كتاب شرائع مينوس وكان موضوعاً في تابوت مصوغ من الذهب الاكسير معطّراً باطيب الروائح فقبّلوهُ ولثموهُ تبرّكاً واجلالاً وقال هذا كتاب الشرائع الكريم الذي

يرشد الناس الى سلوك سبيل الاستقامة لينالوا الخير والسعادة
والذين بايديهم الاحكام التي يكون بها فصل القضاء بين الناس
هم الذين يحكمون على انفسهم بها ويجعلونها الحاكمة عليهم فالشريعة
هي الحاكمة لا الانسان المتولي الحكم فهذا هو كلام هذا الحكيم ثم
عرض على المجلس ثلاث مسائل قصد الامتحان ليسبر بها عقولهم
وهذه المسائل هي محكّمة في نصّ كلام مينوس غير مشتبهٍ فيها
ولكن ابداها ليقابل حلّ غيرهِ بقولهِ الاولى
من خير الناس حريةً · فكلٌ اجاب بما اجاب فمنهم
من قال انهُ ملك لهُ على رعيتهِ سلطة وتصرف منتصر على اعدائهِ
وآخر قال انهُ رجل غنيٌ بالمال يبلغ بغناهُ ما يطلبهُ وغيرهُ قال
انهُ رجل لم يتزوج يسيح في البلاد فلا تحكمهُ شريعة من الشرائع
وبعضهم قال انهُ رجل مستوحش في الفلوات يغتذي من قنصهِ
بعيد عن الحكومة غنيٌ عن حاجات العمران فهو حرٌ مطلق
لا يحكمهُ انسان وزعم بعضهم ان اتمّ الناس حريةً عبدٌ معتوق
الرقبة عن قريب وحيث انهُ خارج من ورطة الرق والاستعباد
يذوق حلاوة الحرية اكثر من غيرهِ وآخرون من ارباب الرأي
قالوا ان اعظم الناس حريةً رجل ذاق طعم الممات وانقطعت
علائقهُ عن الناس فلا يحكم عليهِ ولا يخشى من احد · فلما جاءت

توبني لم تصعب عليَّ الاجابة اذ تذكرت في هذه القضية ما كان يقولهُ منطور فاجبت ان اشدَّ الناس تمتعًا بالحرّية من يستطيع ان يكون حرًّا في الرق نفسهِ وفي العبودية المحققة ففي اي مكان واي زمان واي حال يكون حرًّا مطلق الحرية بشرط مخافة الاله واقول مجملاً ومفصّلاً ان الانسان ذا الحرية المطلقة هو المجرَّد عن كل خوف من المخلوقات وعن ميل النفس الى اللذات والشهوات يعصى نفسهُ ويطيع مولاهُ ولا يفعل شيئًا قبل وزنهِ بميزان العقل فتبسم الشيوخ وصار ينظر بعضهم بعضًا نظر تعجب حيث وافق جوابي ما نصهُ مينوس في الكتاب

الثانية وهي من اشقى الناس فاجاب كلٌّ وفقَ عقلهِ فمنهم من قال المجرد من المال والعافية ومنهتك المرض واخر قال المحروم من الاحباب والاصحاب والاصدقاء. وقال البعض من رُزق اولادًا أَنِقَّة اضاعوا حقوقهُ واخفوا ذكرهُ . ثم حضر حكيم من جزيرة لسبوس من جزائر اليونان وتصدّى للاجابة فقال من يظنُّ في نفسهِ انهُ اشقى الناس لانهُ يقاسي المصاعب ويحمل النوائب ويصعب مصابهُ ويزيد بالجزع والقلق فهذا يصير اشقى الناس

فهلّلت الجمعية عند سماع هذه الكلمات ونهللت وقالوا انهُ

انتصر وحاز قصب السبق ولكن سالوني ما ارى وهل انا معتقد او منتقد فاجبت بناء على ما نعلمتهُ من منطور من الحكم ٠اشقى الناس ملك وَلِيَ الامر وحكم وظنّ انهُ ملك زمام السعادة والعزّ حيث تولى ليصيّر رعاياهُ اشقياء اذلاَّء فهو شقيٌّ مرتين لانهُ من عمي بصيرتهِ وجهلهِ يجهل شقاءهُ فلما اجبت بهذا الجواب اقرَّ ارباب الجمعية اني انتصرت على الحكيم اللسبوسي بهذه الحكمة وقال الشيخ ان جوابي طابق جواب مينوس

الثالثة هي ملكان احدها فاتحٌ منتصرٌ في الحرب ذو خبرة وتدبير فيها والاخر لا تجربة لهُ في الحرب وانما هو خبيرٌ بحسن السياسة وادارة المملكة وقت السلم فمن منها الافضل فاجاب الجمهور ان الملك المنتصر في الحرب افضل مبرهنًا أَن لا افضل لمن يحسن السياسة آن السلم ولا يحسن الذبَّ عن الوطن عند هجوم العدوّ لانهُ اذا انتصرت الاعداء عليهِ وملكت بلادهُ استعبدت أُمتهُ وربما صيَّرتهُ عبدًا وقال الآخرون ان الملك الحسن التدبير في سياسة المملكة الداخلية المحبّ السلم هو للرعية افضل لانهُ يخشى عاقبة الحرب فيجتنبها بحسن تدبيرهِ فردَّهُ الاخرون بقولهم ان الملك المنتصر في الحرب يجتهد في فخر أُمّتهِ كما يجتهد في فخرهِ فيجعل لهم سطوة وقوَّة واما الملك الذي

لايعرف الاّ امور السلم فتمكث امتهُ في الجُبن والفتور فاقدة الشهامة والفتوة . فلما سُئلت عن مذهبي في هذه المسئلة اجبت ان الملك الذي لايحسن التدبير الا في خصوص المصلحة الحربية ولا يقدر على الارادة الملكية وارشاد رعاياهُ هو نصف ملك فاذا قابلنا ملكاً لهُ خبرة بامر الحرب بملكٍ عاقلٍ لا يعرف الحرب ويقدر ان يقيمها بواسطة امرائهِ ويستعين بمن يدبر امرها عوضاً عنهُ يكون هذا افضل فان الملك الذي يصرف همتهُ في امور الحرب ويحاول دائمًا اتساع ملكهِ وتأبيد فخرهِ وعلو شانهِ يورث رعاياهُ الفقر . فما هي منفعة الرعية التي يسترعي ملكها اممًا اجنبيةالا الشقاوةمن الحروب الطويلة التي يعقبها الاختلال والمضرات وانحلال عقدة النظام الاَ ترى كيف انحل نظام عقدة اليونان الذين تغلبوا على تروادة وضعفت عندهم القوانين والاحكام وتوقف حال الزراعة والصناعة بعد ان حُرمتهم بلادهم مدة عشر سنين فاحسن ملك في الدنيا يضطر مدة افتتاح الحرب مع غيره ارتكاب الضرر فيعطي الرخصة التي لا تعطى وقت السلم ويستخدم الاشرار ويعتبرهم فكم من صاحب شرٍ وفسادٍ يعاقبُ زمن السلم ويكافأ على شرهِ وجسارتهِ زمن الحرب

ومن المجرب انهُ لا توجد أمَّةٌ ذاتُ ملك يحبُّ الحروب والفتن الا وتذوق العذاب الاليم من طمعهِ في توسيع ملكهِ فانهُ اذا أُولعَ بالنصر والفتوح وانتصر فنصرهُ يضرُّ برعاياهُ ضررًا يضاهي ضرر المغلوبين فمَثلُ الملك الذي لا يميل الى السلم وتحسين حال الرعية واذاقتها طعم الراحة بانتهاء الحرب مثلُ رجلٍ يحمي ارضهُ من جارهِ ويغصبُ ارض ذاك الجار ظلمًا وعدوانًا غير مراعٍ حقَّ الجوار ولكن لا يحرثها ولا يغرسها بل كأنهُ خُلق لتخريبها وتدميرها لا لتدبيرها وتعميرها

واما الملك الذي يحبُّ السلم فانهُ وان كان لا يصلح للفتوحات ولا فُطر على تكدير راحة الامَّة وابدال سعادتها بالشقاء وجعلها آلةً للغلبة على أمم لا حق لهُ بادخالهم تحت طاعتهِ بل كان اهلاً للتدبير الحسن في زمن السلم بكون ذا صفاتٍ حسنةٍ تعود على أُمتهِ بالراحة والامن والتحفُّظ من العدوّ كأن يكون منصفًا ليّن العريكة موفقًا في احوالهِ يحبّ الراحة لمن في جوارهِ لا يفعل ما يعكّر الصلح بينهُ وبينهم ولو كان ذا شوكة اكثر منهم بل يفي بالعهد ويُراعي شروط المحبة والوداد فبهذه يحبهُ محالفوهُ ومجاوروهُ ولا يسترِيبون بهِ في حالٍ بل يأتمنونهُ واذا وجد دولةٌ من الدول المجاورة تحبُّ التشامخ عليهِ فسائر الملوك المجاورة ايضًا تخشى من

تلك الدولة المتكبرة الطامعة فتتحد مع هذا الملك الحسن السلوك الجانح الى السلم اذ لا خوف عندهم منهُ وتنصرهُ من تعدّي تلك الدولة العاتية وربما صار باستقامتهِ ووفائهِ وانصافهِ حكمًا بين الملوك الذين في جوارهِ عند المشاحنة لخلوّهِ من التعصُّبات . فالملك الحربيّ مكروهٌ لدى جميع الملوك الذين في جوارهِ والسلميّ بمنزلة الاب للجميع وهذه الفخر مزيّة يحوزها بالنسبة الى الخارج والبلاد الاجنبية

واما بالنسبة الى الداخل والحكم في الرعية فمزيتهُ احسن وأَقوى وذلك لان اصل المسئلة ان يحسن التدبير زمن السلم ومعناهُ انهُ يدبّر المملكة حسب اصول الاحكام والقوانين والشرائع المستحسنة العادلة ويجنّب بلادهُ الزخرفة والتبرّجات القليلة الجدوى ويزيل الرخاوة والبطالة وما يسبّب الفساد والرذائل والفنونَ القليلة النفع ويشغل الرعايا بالفنون النافعة اللازمة للمعيشة لاسيما فن الزراعة والفلاحة لتكثر المحصولات وتعمّ الخيرات لانهُ متى اعتادت الرعية على الكدّ والجد في الاشغال والاقتصاد في المعيشة البسيطة وعلى حسن الاخلاق والزهد في الزينة ومواد الاحتفال يسهل عليها الكسب بدون مشقّة من محصولات اراضيها فبهذا تعمر البلاد ويكثر اهلها كثرة بليغة

وفي وقت قريب تجد في المملكة عدد الاهالي لا يحصى متصفين بالصحة والعافية أقوياء اشداء يكرهون الانهماك باللذات يحبون الفضائل والمحامد يستسهلون الموت عند الاقتضاء على فقد الحرية التي اذاقهم طعمها الملك الحسن التدبير يصادمون العدوّ اذا اراد فتح بلادهم بقوتهم الطبيعية وشجاعتهم الغريزية لاسيما ان الملك الجانح الى السلم معانٌ من طرف الالوهية لا يذلُّ ولا يهان ومع هذا كلهِ ينتج ان الملك السلمي غير مستوفٍ الشروط لعدم قيامهِ بواجبٍ جسيم من واجبات المملكة وهو فنّ الحرب ولكن اقول انهُ خيرٌ وافضل من الملك المنتصر اذا كان فاقد الاوصاف التي تدور عليها رحى المملكة حيث ان نصّ الكلام لا يوافق الاّ للحرب والآخر لاحسن تدبير الحرب وانما هو خبير في حسن السياسة وادارة المملكة . ثمَّ لمحتُ في الجمعيّة جمًّا غفيرًا ينكر هذا المذهب لان جُلَّ الناس يعجبهم الرونق والابهّة الظاهرة في المملكة كالنصر والفتوحات وذكر الضرب والطعن والنهب والسلب فيفضلون تلك على الامور النافعة كالهدوّ والراحة والضبط وتربية الاهالي ونشر المعارف والآداب ولكن اعلن الضبّاط لارباب الجمعيّة انني وافقت مينوس في هذه القضيّة ثمَّ نادى رئيس الجمعية باعلى صوتهِ الآن رأَيت صحة ما اخبرت

بهِ الكهانة قبل ذلك مما هو معلوم في اقطار هذه الجزيرة. وذلك ان مينوس سأل كاهن هيكل الشمس عن مدة حكم ذريتهِ بموجب قوانينهِ واحكامهِ فاجابهُ يزول حكم بنيك بدخول شخص اجنبيّ الى هذه الجزيرة يحكم فيها بهذه القوانين والاحكام فكنا نخشى ان يفتحها بعض الملوك الغرباء ولكن ما حصل للملك ايدومينوس من المصيبة وامتاز بهِ ابن عولس من الحكمة والتدبُّر افهمنا معنى بشير الكهانة . فلنبادر ونضع تاج الملك على راس اجلّ انسان سخرتهُ لنا الحكمة الالهية ليكون علينا افضل مالك ...

المقالة السادسة

ثمَّ خرج الشيوخ من الغابة المقدَّسة واخذ الرئيس بيدي وقال للاهالي الذين كانوا ينتظرون قرار الجمعية اني قد حزتُ قصب السبق وفزتُ بالجائزة فضجَّ الجمع وهلَّلوا وتهلَّلوا وسُمعت الاصوات من كل ناحية قد تولى علينا ملكًا ابن عولس الذي اشبه بفضلهِ مينوس فعند ما سمعت ذلك اشرت الى الجمع ان اسمعوا كلامي لتعرفوا فسرَّني منطور في اذني بقولهِ هل تهجر

وطنك وتنسى الوالدة التي تنتظرك ليلاً ونهاراً وهل تنسى
سولس الذي قُدِّر لهُ العود الى وطنهِ فحصل الصمت في المجمع
لاستماع ما عسى ان يكون فقمت حينئذٍ خطيباً وقلت يا اهل
كريد ارباب الشهرة والفضل اني لا استحق ان اكون ملكاً عليكم
بما ذكرتموهُ فان كلام الكهانة الذي ذكر يدلُّ على ان حكم ذريّة
مينوس ينتهي متى دخل عندكم غريب يركن احكامهُ فقلتم ليس
القصد الاّ انا والحال انهُ ليس كذلك حيث لم يَقُل بحكم بنفسهِ .
فاظنُّ ان الغريب الذي نصَّ الكاهن على حضورهِ هو انا
وقد حضرت وفهمت حقائق معنى الكلام ورجائي ان ما قررتهُ
وبيّنتهُ واوّلتهُ هو الذي يجعل الاحكام تجري بواسطة من تختارونهُ
ملكاً عليكم اذ امر انتخابهِ منوطٌ بكم واما انا فاختار وطني جزيرة
طباكي الحقيرة على المدائن المائة التي في هذه الجزيرة فاقبلوا عذري
حيث المقادير اعدتني لشيء آخر واما دخولي معكم في الميدان
فليس القصد منهُ احراز المنصب بل الاعتبار والمحبة من نحوكم
لكي ترثوا لحالي وتعيدوني بحسن سعيكم وعنايتكم الى وطني فاني
أُوثر الخدمة تحت طاعة والدي وامتثال امرهِ ونهيهِ وان تراني
والدتي وتشفي غليلها من طلعتي على توليتي ممالك الدنيا
باجمعها

فيا ايها الكريديون قد اطلعتكم على ما في ضميري واني لنعمتكم غير جاحد وهانذا تاركٌ لكم جزيرتكم غير شاكٍ بل شاكرٌ لجميل صنيعكم الذي لا يفنى الاّ بفراغ الاجل .... فما فرغت من هذا الكلام الاّ تواترت في الجمعية المقالات وكثر الحديث بين الناس فصار بعضهم يقول هذا ملك في صورة انسان وبعضهم يقول اني رايتهُ في بعض البلدان وآخر يدعي انهُ يعرفني حق المعرفة وآخرون ينادون لا بدَّ من اكراههِ على الملك لانهُ مستوفٍ الصفات فاحببتُ اعادة التكلم فاسترعيت السمع وقلت

يا ايها الكريديون لا تواخذوني في ان ابثَّ اليكم بعض ما في ضميري وابدي لكم رايي في هذا المقام الخطير وهو أنكم اعقل جميع الأُمم والعقل على ما يلوح لي يقتضي شدَّة الحزم لتدارك الخلل فكيف فاتكم هذا الامر فلا ينبغي لكم ان تنتخبوا المملكة من يحسن البحث والتدقيق في كتب الاصول والاحكام بل انتخبوا رجلاً يحسن المواظبة على اجرائها مع الاتقان والإحكام. فبناءً عليهِ لا تنتخبوا من غلب الاقران في ميدان الفصاحة والشجاعة وهو مغلوبٌ بنفسهِ نظيري بل ابحثوا عن رجلٍ تكون الشرائع مرسومة في لوح قلبهِ قد اشتغل بها مدة حياتهِ فيكون الباعث

على انتخابهِ عملهُ بما يعلم لا بمجرد علمهِ

فاستحسن الشيوخ مضمون هذا الكلام وقالوا حيث انقطع املنا من توليتك علينا ملكًا فلا اقلّ من ان تساعدنا بمعرفتك على انتخاب من يصلح لاجراء اصول احكامنا فقلت لهم اعرف رجلاً قد اخذت عنهُ جميع ما سمعتموهُ مني واستحسنتموهُ واشرت الى منظور فاحدقت بهِ عيون الاعيان بعد ان قبضوهُ باليد لينظرهُ الجمع: وحكيت لهم عن تربيتهِ لي من الصغر وكيف خلصني من الاخطار التي احاقت بي حيث لم اسمع من رايهِ وقد كانوا اهملوهُ اولاً ولم يكترثوا بهِ لعدم اعتنائهِ باللباس ولتواضعهِ وسكوتهِ ولكن بمجرد ما تاملوهُ حقّ التأمل رأوا على وجههِ دلائل الكمال ووجدوا فيهِ حدّة البصر وقوة البصيرة فسألوهُ ليوافق الخبر ويطابق النظر فتعجبوا منهُ غاية العجب وعزموا ان يقلّدوهُ الملك فامتنع من القبول من اول وهلةٍ وقال انا أُفضّل العيش كالاحاد على ابّهة الملك ... فزاد عجب الحاضرين وقالوا صف لنا من نختارهُ لدرة تاج هذا العقد الثمين فاجابهم انتخبوا رجلاً تعرفونهُ كل العرفان بحيث يلزم ان يحكمكم ألا تعلمون ان الذي يتطلّب الملك قلّ ان يفهم حمل اعبائهِ وانما يتطلّبهُ لانفاذ غرضهِ وشفاء شهيّة مرضهِ واما انتم فعليكم ان تتطلبوا رجلاً

خليًا عن الاغراض

فاندهل اهل كريد حيث رفض اثنان من الغرباء قبول التولية عليهم وكثيرون منهم يطلبونها فقالوا لبعضهم هل حضر احدٌ مع هذين الى الجزيرة فقال نوسقراط الذي رافقهم من الساحل الى الميدان قد حضر معهما من قبرص حزابيل ولما عرفوا ان منطور كان عبدًا وعتقهُ ورمقهُ بعين التلطف لحكمتهِ وحسن سلوكهِ وجعلهُ مشيرهُ واتخذهُ خليلهِ وسميرهُ تعجبوا من انهُ كيف كان رقيقًا وراضيًا بهِ والآن لا يرضى ان يكون ملكًا عليهم وعرفوا ان حزابيل جاء من الشام ليطّلع ويطالع ما دوّنهُ مينوس من الاصول والاحكام اذ كان قلبهُ مولعًا بالحكمة والعلوم النافعة

فقال الشيوخ لحزابيل لا نجسر ان نرجوك ان تكون ملكًا علينا علمًا منا بانك على نهج منطور وسننهِ تحتقر النوع البشري كل الاحتقار اذ لا نفع منهُ فلا ترضى أن تتكلف بالتدبير ولا تتقلد هذا المنصب الحقير بالنسبة لتقشفك فقال حزابيل لا تظنوا يا اهل كريد اني احتقر الناس فهذا بعيدٌ عني فاني سيد من يعرف في الحكومة قيمة الاخوان ويسعى في سعادتهم وتحسين حالهم ولكن هذه الخدمة كثيرة التعب والخطر قلّ من

يُسعدهُ الدهر فيها واما رونقها الملوكي فهو باطلٌ وزائل فلا
يحبهُ الأمن يحبُّ الزخرفة والمجد . والعمر قصير . وانا قد
حضرت من البلاد الشامية لا تعلم هجر الامور الباطلة واعتاد
على ترك المطامع والابهة ولم اجئ هنا قصد الوصول الى ما تركتهُ
فالسلام مني عليكم سلام مودّعٍ لا يفتكر الاَّ ان يعود الى حالة
الراحة في بلادهِ يغذّي بالحكمة عقلهُ ويؤمل بحسن الاستقامة
حسن العافية فان هذا الامل في هذه الشيخوخة يحتاج المراقبة
واذا لم اقطع الامل من هذه الحياة الدنيا ولزمني ان اتمنى ما اشتهيهِ
تمنّيت الاَّ افترق عن هذين الشخصين

فالتفت الاهالي الى منطور وابتهلوا اليهِ وقالوا لهُ انك
اكثر الناس حكمةً وعقلاً وتدبيرا فقل لنا من ذا يكون لهُ
الملك علينا ومن هو احقُّ بالملك واجراء اصول مينوس فلا
تبرح من هنا حتى تبيِّن لنا ذلك . فقال لهم يا قوم بينما كنتُ
مع الناس اتأمل في هذه المعالم وقع نظري على رجل يسلك
سبيل التودّة لا يحبّ الدخول مع العموم فيما هو معلوم عندكم
وهو شيخٌ كبير السنّ قتيُّ القوة فسألت عنهُ فقيل لي انهُ يدعى
ارستوميدس ثمَّ حضر اليهِ شخصٌ يقول لهُ ان ولديك ممن
يبارز في الميدان فلم يظهر عليهِ اثر الفرح والسرور بل قال

ان احدهما لا اشتهي لهُ اخطار المملكة ولو كان مشهوراً بالفضل والاخر لا ارضى ان يحكم ابدًا لاني احبُّ الوطن فلا اهلية بهذا الولد الذي لا أُس في فلاحهِ فلما سمعت منهُ ذلك فهمت انهُ يحبُّ احد ولديهِ لاستقامتهِ ويشفق عليهِ ويريد لهُ حسن العاقبة ولا يريد مدح الاخر ما دام خليًا من الاستقامة ثم اردت ان اعرف كنه هذا الشيخ وكيف مضى عمرهُ فاجابني احد اهالي هذه البلاد بقولهِ انه كان في زمرة العسكرية طويلاً وحارب وجاهد حقّ الجهاد ولكن استقامة قلبهِ جعلتهُ غير مقبول عند ايدومينوس الملك فلم يصحبهُ معهُ في غزوة تروادة واقصاهُ عن مجلسهِ خوفًا من ان ينصح لهُ ولا يستطيع القبول وحقد عليهِ مذ رآهُ حاز الاعتبار والفخار ونسي ما سلف منهُ من الصداقة في الخدمة فابقاهُ هنا في الفقر والمسكنة عرضةً لازدراء اهل الخشونة الذين لا يحبُّون الا الاغنياء وهو راضٍ بفقرهِ وحالتهِ ساكنًا في محل معتزلٍ عن الجزيرة يزرع ارضًا لهُ بيدهِ وبيد احد ولديهِ الذي يبرُّهُ وذاك عليهِ شفوق قانعين بالشغل والعفاف والادب ينفق الا بما زاد عن الحاجة على من يمرض من مجاوريهِ ويشغل اهل الفتوَّة منهم ويحثهم على الكدِ ويعلمهم حسن الاخلاق والآداب وهو الآن الحكم فيهم كلٌّ يمتثل اليهِ وينقاد لرائهِ ولهُ ولدٌ ثانٍ

يبارزهُ بالمخالفة والعقوق ولا يحترمهُ فبعد ان نصح لهُ وشدَّدَ ولم يهتدِ طردهُ وأبعدهُ عنهُ فانهمك بالملاذّ والطماع

فهذا ما حكيَ لي يا ايها الكريدية في شان هذا الرجل وهمتهِ وانتم لا تخفى عليكم صحة هذا المقال وعدم صحتهِ فان صحَّ ان هذا الرجل موصوفٌ بتلك الاوصاف فالانتخاب بالعاب الميدان عدولٌ عن جادَّة الصواب فحيث انهُ يوجد بينكم رجلٌ تعرفونهُ ويعرفكم خبيرًا بفن الحرب اظهر الشجاعة والاقدام في الحروب وخذل العدوَّ وغلب الفقر وعرف نفع الزراعة للامَّة ولم يترك نفسهُ تلين لاولادهِ لينًا مذمومًا بل احبَّ الولد المتخلق بالاخلاق الحميدة وطرد الاخر الذي حاد عن سبيل الاستقامة ينبغي ان تولُّوهُ عليكم ان كان قصدكم ملكًا يعمل باصول مينوس واحكامهِ . . فصاح الجمع بفرح ما قلتهُ في ارستوميدس هو عين اليقين فطلبهُ الشيوخ فحضر مطمئنًا فاخبروهُ حينئذٍ ان القصد تقليدهُ الملك فاجاب انهُ يرضى ذلك بثلاثة شروط الاول انهُ يقبل الملك الى ميعاد سنتين فان اسعد الرعايا وعمَّر البلاد واجرى الاحكام المعوَّل عليها اكثر من ذي قبل استحق الابقاء والا فيخرج من حيث دخل الثاني ان يكون حرًّا مرخصًا لهُ ان يعيش عيشة الزهد والقناعة والا خلع نفسهُ عن

الملك الثالث ان لا يكون لاولادهِ رتبة في المملكة وبعد موتهِ يُعاملون على قدر معارفهم اسوة الاهالي

فلما سمع الجمع هذه الكلمات استحسنوها واخذ رئيس الشيوخ التاج ووضعهُ على راسهِ فتمَّ حينئذٍ الحبور وقُرّبت القرابين واتحفنا هذا الملك بهدايا ليست كهدايا الملوك النفيسة وانما هي مع بساطتها مقبولة فاتحف حزابيل بكتاب قوانين مينوس المكتوب بيدهِ للتبرُّك واعطاهُ مجموعًا متضمنًا جميع تواريخ كريد من أوَّل الزمن الى عمر الذهب يعني ايام الهنا السعد وارسل اليهِ بفواكه واثمار مختلفة لا توجد في بلاد الشام وساعده على اهبة السفر وجهَّزهُ ليسير سير السالم الغانم واما نحن فجهَّز لنا سفينة مستكملة الملاَّحين ووضع لنا فيها الملابس والمطاعم فهبت حينئذٍ ريح توافق السفر الى طياكي وتضاد سفر حزابيل فاضطر ان يمكث منتظرًا ريحًا توافقهُ وسافرنا نحن بعد اخذ خاطرهِ فودعنا وداع مفارقٍ لا يرجو في الدنيا الاجتماع قائلاً ان المولى حكمٌ عدلٌ يعلم اننا متحابون بالله فسيجمعنا في دار الخلد وما ودَّع الا ودمعهُ يجري كالماء ونحن نقابلهُ بالنحيب حتى وصلنا الى السفينة واما ارستوميدس الملك الجديد فقال انتما جعلتماني ملكًا فتذكرا انكما اوقعتماني في ورطة الخطر فابتهلا

الى ملك الملوك ان يرزقني الحكمة ويلهمني حسن التدبير وانا انضرع اليهِ ان يوصلكما الى الوطن ويريكما وجه عولس بخيرٍ وان يقرَّ اعينكما بمشاهدة الملكة بنيلوبس وانت يا تليماك قد اعطيتك سفينةً متينةً كثيرة الملاَّحين والجنود لكي يساعدوك على ما تريد واما انت يا منطور فبحكمتك لاتحتاج الى شيء ولم تكلفني الى شيء لخاصَّة نفسك فاذهبا مصحوبين بالسعادة والتوفيق واذكراني ولا تخرجاني من خاطركما واذا احتاج الطيا كيُّون الينا في اي وقت كان فاني مقيمٌ معكم على العهد الوثيق الى الممات وعانقنا عناق الوداع وافترقنا بعد الاجتماع

فسرنا حتى صار جبل ابدا الشامخ في مرآى اعيننا كالتل الصغير وغابت عنا سواحل المورة فهبت حينئذٍ ريحٌ سوداء عاصفة اغبرَّ بها وجهُ الجوِّ واظلم وثار غضب موج البحر معلنًا بالانتقام منَّا وصار النهار كالليل الاليل واقبل الموت على من كان في السفينة فقال لي منطور اتدري ما هو سبب هذه الريح التي ثارت علينا فقلت لا فقال ان نبطون مدبّر البحار هو الذي اثار هذه الرياح وسبب ذلك ان الزهرة حين قابلناها في جزيرة قبرص بالاحتقار ولم نبخّر هيكلها اغتاظت وشكتنا اليهِ والتمست منهُ الانتقام منَّا اخذًا بثارها وقالت لهُ ودموعها

تذرف من عينيها النجلاوين ايرضيك ايها السلطان ان يُترَك هذان الرجلان اللذان جحدا الجمال وكفرا بالحسن وانكرا فروض العشق وسنن الوصال وتهاونا بسلطتي سدًى فهل يوجد احدٌ من ارباب التصرُّف والتدبير الاَّ ويأخذ الجمال بمجامع قلبهِ وهذان شنّعا على ما يُفعل في جزيرتي وامسكا عنان ميلهما بسلوك الحكمة والاستقامة فاذكر اني جَبْلتُكَ تخلَّقتُ من زبَد مياه مملكتك البحرية وبادر الى اغراقهما لانني لا اقدر ان اراهما الاَّ أَليفي حزنٍ وغمّ فما اتمت كلامها حتى رفع نبطون الماء الى أعلى فضحكت الزهرة وظننتُ أَن غرقنا محقق . وهذا هو السبب الصحيح لهذه العواصف ثمَّ ان ربَّان السفينة داخلهُ الفزع وقال قد عجزت عن مقاومة هذه الرياح التي كادت ان تكسّر السفينة ثم خرجت ريحٌ اشدّ واقوى فملأَت الشراع وبعد برهةٍ لطمت السفينة صخور تلك الشعاب فانشقت ودخلها الماء فانغرزت فصرخ الملاحون ورفعوا اكفَّ الضراعة الى الواحد الجبّار . فعانقت حينئذٍ منطور وقلت لهُ قد حضر الموت فلنتصبَّر لان الله تعالى نجانا قبلاً من الاخطار الكثيرة فكأَنهُ اعدنا للموت هنا فلنمت اذ لا منفعة في حرب الامواج والموت لا مناص منهُ . ولا تسلية لي الا انني متُّ معك . فاجابني تشجع اذ الشجاعة

التامة لا يخلو صاحبها من الفائدة فلا يكفي ان تمكث تنتظر
الموت يوافيك بل اجتهد في اخذ اسباب الخلاص ثمَّ قال فلناخذ
لوحًا من الواح السفينة ونقوم بالعمل وحدنا واخذ فاسًا وفصل
صاريًا كان قد انكسر وبقي معلقًا قليلاً ورماهُ في الماء خارج
السفينة وسقط فوقهُ والموج يهيج ويموج ودعاني دعاءَ نجيٍّ
فاجبت بالقبول وسهَّل لي ان اردفهُ وقوَّى جاشي وكان منطور
في هذه الحالة كشجرة عظيمة تنسفها العواصف من كلِّ جانب
وهي قائمة لا تهتزُّ فتبعتهُ في الركوب على هذا الصاري وقد قويَ
قلبي وسرنا فوقهُ وساغ لنا الجلوس عليهِ ماسكين بهِ لا نرتاح
مطلقًا وكانت الامواج شديدة فتغمسنا في البحر فنشرب من
الماء المالح وينهكنا التعب بمجاربة الامواج ثمَّ نجتهد ان نتمكن من
الاستواء ثمَّ تاتينا موجة بعد اخرى ونحن لا نتحرك من محلنا خوفًا
من ان ينفلت وهو اخر شيءٍ لخلاصنا

وفي مدة هذه الحالة التعيسة كان منطور جالسًا مع الهدو
والسكون كما هو جالسٌ الان على بساط الرياض فقال لي هل
تعتقد يا تلماك ان روحك في قبضة الامواج وانها تفارقك
بدون ارادة الاله القدير الخالق الافعال والامواج فسمعت هذا
الكلام وتسليت ولكن لم اجبهُ وهكذا مضينا الليل نرتعد من

البرد والامواج تترامى بنا في ذلك البحر العجاج ثمَّ ابتدأَت الرياح في السكون وصار البحر كانسانٍ كان في حدَّة الغضب ثم اخذ يرضى فصار يتموّج تموُّجاً لطيفاً ثم انشق الفجر وظهر النور وغربت النجوم فلمحنا الارض على بعدٍ ولكن لم نلمح احداً ممن كان معنا بالسفينة والظاهر انهم أُغرقوا فلما دنونا من البرّ صارت تدفعنا الريح على حروف تلك الصخور التي كادت ان تهلكنا لولا اننا كنا نعرض لها طرف الصاري وكان منطور بحكمةٍ كما بحكم الربّان الماهر الدقة ويسيّرهُ تسييراً عجيباً فبهذا اكتفينا شرَّ هذه الصخور والشعاب ووجدنا ساحلاً لطيفاً فسلكنا سبيلَ السباحة والعوم حتى وصلنا على الرمال ومنها رأينا طلعة ذاتك البهيّة يا ايتها الملكة وحمدنا ترحيبك بنا عند دخولنا في هذه الجزيرة

المقالة السابعة

فلما فرغ تلماك من حديثهِ صارت عرائس الجزيرة اللاتي كنّ محدقاتٍ بهِ باهتاتٍ يشخصنَ فيهِ الابصار ويتغامزنَ ويقلنَ لبعضهنَّ ما بال هذين الرجلين معانين من طرف

الالوهية . هل سُمع بمثل قصتها في زمنٍ من الازمان فان ابن عوليس مع حداثة سنهِ قد فاق اباهُ فصاحةً وحكمةً وبسالةً فلو لم نعرفهُ لقلنا انهُ من الملائكة ولكنَّ الرجل الذي يصحبهُ ويتظاهر انهُ من الخاملين من امعن النظر فيهِ وجدهُ بمعزل عن البشر

وكانت كاليبسه تسمع هذا الحديث وهي مكدَّرة البال تكديرًا خفيًّا لا تروم اظهارهُ ولكن قد أُعلِنَ ما في ضميرها وانكشفت سريرتها بانتقال نظرها من منطور الى تليماك وطلبها من تليماك اعادة قصتهِ ثم اعراضها عن سماعها . الى ان قامت على حين غفلة وذهبت بتليماك الى غابة من الاشجار الذكيّة لتسألهُ بما احتجبَ عن عقلها من معرفة حقيقة منطور وهل هو من الملائكة او من البشر فلم يمكن لتليماك ان يجيبها عن هذا السؤَال حقيقةً لان الحكمة لم تظهر لهُ هذا السرّ لشبوبيتهِ وعدم خبرتهِ الوقائع فبقيَ مكنونًا في ذات منطور لم يطَّلع عليهِ تليماك لانهُ لو عرف ان الحكمة الربانيَّة تصحبهُ وترعاهُ وانهُ معانٌ ومساعدٌ لاستسهل العوارض والنوائب ولم يكترث بالمصائب ولا تبصَّر في العواقب بل كان يعرف ان منطور هو منطور المعهود فكل ما دبرتهُ كاليبسه من الحيل والاستكشاف عن حقيقة منطور

لم يجدِ نفعاً . . وكلّ عرائس الجزيرة احتفلن بمنطور وسالنهُ عن سفرهِ الى بلاد السودان وما جرى لهُ فيها وعن حالة الشام وما رأى فيها ومنهنَّ من سالتهُ عن غزوة تروادة وهل كان يعرف عولس قبل هذه الغزوة فكان يتلطف معهنَّ بالاجابة

ولم نتركهنَّ كاليبسه يتمادين معهُ على هذا الحال بل صرفتهنَّ ليجمعنَ باقاتٍ من الازهار ويسمعنَ تلماك نغمات الاوتار واخذت منطور الى خلوةٍ لتسألهُ عما تروم وصارت تداهنهُ وتتلطف معهُ بما يسحر العقول لتقف على مقاصدها فما كان كلامها الاَّ كنسمات خفيف النعاس الذي يغشي العيون التي اثقلها الارق واتعبها السهاد فاذا بذلت ما عندها من الاستمالة وجدت شيئاً لا تعلم سببهُ ولا تدرك سرَّهُ يجعل مجهودها هباءً منثوراً وتلعب بسحرها لديهِ فلا تغلبهُ تدبيراً بل كان دائماً مطمئناً بما عزم عليهِ من التدبير وكان كعلم صعب الارتقاء شامخ الراس يناطح الغمام تضربهُ الرياح من كل جانب ولا تؤثر فيهِ شيئاً يتصنع بالمجاوبة حتى يوهمها انها افحمتهُ بالاسئلة وعجز عن الجواب وانها قاربت من الوقوف على حقيقة حالهِ ثمَّ يروغ عنها حتى يداخلها اليأس والقنوط فمكثت اياماً عديدة على هذا الحال حتى عجزت عما ترغب فاغرت اجمل العرائس لتشعل نار الغرام

في قلب تلماك واستعانت على ذلك بقاضية جمالٍ اقوى منها سلطةً

وذلك ان الزهرة كانت حاقدةً على كلٍّ من منطور وتلماك حيث احتقرا سلطانها في جزيرة قبرص وشنعا على من يعشقها في تلك البقعة وكانت قد اغرت عليهما نبطون سلطان البحار فسلط عليهما الرياح والامواج ونجيا من الغرق فشكت نبطون الى سلطان المطالع والمتسلط على الجميع وهو (البرجيس) المشتري وتظلمت كلَّ التظلُّم في ديوانهِ فضحك من قولها من غير ان يفهمها ان الحكمة المتشكلة بشكل منطور انقذت ابن عولس من اخطار البحار وانما اذن لها ان تعمل من نفسها طريقة للانتقام منهما بدون ان يحصل عليهِ ملامة

فسارت من عند المشتري سير المتحيّر الهائم ونسيت البخور الذي يحرق في هيكلها في قبرص وطارت في تربة نجرها الحائم واحضرت وليدها رسول الغرام وقالت لهُ يا بنيَّ أيعجبك احتقار هذين الرجلين سلطاني وسلطانك فاذهب معي وأصب قلبهما بسهام الغرام لعلَّهما يحسَّان بالالم والهيام فشقَّت الجوّ وذهبت مصحوبة بوليدها الى جزيرة كاليبسه واجتمعت بها قرب عين ماء بعيدة عن كهفها وقالت لها ايتها الملكة وربَّة الجزيرة ان

عولس جحد نعمتك وكفر بها وابنهُ تليماك أضلُّ منهُ سبيلاً فهو يضمر لكِ السوء ليكيدك وقد حضر وليدي سلطان العشق ورسول الغرام ليتنصَّ الكِ منهُ فهو باقٍ عندكِ يقيم مع عرائس هذه الجزيرة كما اقام سابقًا في جزيرة لكسوس قاضي الشراب والمدام ومفيض الصبابة وهو وليد وارتضع ثُديَّ عرائسها وتربي كما يشتهي فيرى تليماك رسول الغرام وليدًا فلا يأخذ الحذر منهُ حتى يحسَّ باحكامهِ التي تملك فؤادهُ فقالت الزهرة هذا الكلام ووعظت بالوجد والغرام وطارت في السحاب وعادت الى حيث اتت وخلَّفت في الجزيرة اذكى الطيب فاكتسب منهُ شجرها الرائحة العطرية . فاقام وليد الغرام في الجزيرة وتوطَّن بين نهدي كاليبسه فاحست بالغرام وتأثرت بالعشق والهيام ولما اشتدَّ ما بها من الوجد واتقدت احشاؤها بنار الغرام ولم يعُد لها صبر ارادت تخفيفهُ فخلعتهُ على عروس من جواريها لطيفة المزاج تسمى أوخاريس وسيأتي الكلام انها ندمت فيما بعد ذلك على فعلها وتمنت لو بقي معها ثمَّ ان هذا الوليد يظهر منهُ في طالعة امرهِ أنهُ غاية في الرفق واللين والصباحة والسماحة لا يصدر منهُ الا التفريح وادخال السرور على قلب من ائتلف بهِ ولكن عندما يثق الانسان بهِ يحسُّ بدبيب سمٍّ قاتل سرى في بدنهِ

ولا يدري ان سلطان العشق لا يداني الا قصد الخيانة والغدر ولا يضحك الالما اضمرهُ من الشرّ باضرام نار الغرام

فكان هذا الوليد لا يجسر ان يدنو من منظور الحكيم حيث يتابلهُ بالعبوس فيحسُّ ان منظور مجهول الحال كانهُ من الملائكة وان نبالتهُ القاسية لا تصيب قلبهُ واما العرائس فقد لعبت بهنَّ نيران الجوى التي اشعلها هذا الوليد في احشائهنَّ ولكن كتمنَ ما بهنَّ من الالم ولم يبحن بشيءٍ مما اورثهنَّ الاسقام

وكان تليماك حين راى وليد العشق يلعب بهذه العرائس قد احبهُ لطفهُ وحسنهُ فتشبث به وضمهُ تارةً الى صدره وطوراً عانقهُ فاحسَّ عقب ذلك بالتهاب بداخلهِ الوجد والارق وصار كلما اخذ في البسط والانشراح يتكدر ويتفكر ولم يعلم لذلك سبباً وتملكهُ الفتور وتكسَّر تكسُّر النساء واخذ يتكلم كلام مخافة اذ كان يقول لمنطور انظر هولاء العرائس الحسان فتجد فرقاً عظيماً بينهنَّ وبين نساء قبرص لان جمال اولئك بالنسبة الى جمال هولاء كالعدم فكان يتكلم مع منطور ويحمرُّ خجلاً ولا يدري ما السبب ويريد ان يمسك لسانهُ عن التكلم فلا يقدر ثمَّ يكفُّ عن الكلام قصد الصيانة فكان متقطعاً مبهماً ربما خلا عن المعنى

فقال لهُ منطور ياتلماك اخطار جزيرة قبرص بالنسبة الى اخطار هذه الجزيرة امرٌ هيّن ولاسيما انت لست منها على حذر والانسان يفزع عادةً من خطر الجمال الثقيل الظاهر لانهُ احدى الكبر ويتجنب لسانهُ الفواحش وينفر منها فينجو بسلوك حسنٍ بخلاف الجمال المصون فان من احبَّ ذاك ظنَّ انهُ تخلق بمحاسن الاخلاق ولا يدري الا وقد وقع في حبائل اللذات واشراك الشهوات وهيهات ان يتخلص ففرَّ يا ولدي من هولاء العرائس ولا تدعهنَّ يتسلطنَ على قلبك واتبع الطريق الاسدّ واياكَ اياك من هذا الوليد الذي لا تعرفهُ ابعد عنهُ هذا رسول الغرام ونبيُّ العشق والهيام تشكل بشكل وليد لطيف الصورة فهو ابن الزهرة ربة الجمال ارسلتهُ الى هذه الجزيرة لينتقم لها منك حيثُ احتقرت هيكلها في قبرص وازدريت بجمالها فخرَّق هذا العشق فؤَاد كاليبسه حتى صارت بك مشغوفة واحرق قلب عرائسها واضرم في قلبك نار الوجد وانت لا تشعر

وكان تلماك في خلال هذا الكلام يسأل منطور بقولهِ ما المانع من التوطن بهذه الجزيرة التي هي مملوءَة بالسرور وما الفائدة من العود الى طياكي وابي عولس قد ابتعلهُ البحر من مدة طويلة وامي قد يئست من رجوعهِ ولا بد ان يكون قد اكرهها ابوها

ايقارص على زواجها برجل اخر فكيف يسوغ لي العود الى هناك وأراها في عصمة زوج غير والدي ولاسيما ان اهل طياكي قد طرحوهُ في زوايا النسيان وكلهم يريد لنا الهلاك

فاجابهُ منطور بقولهِ الحب يعمي ويصمُّ وهذه نتيجة من نتائجهِ الشهوانية فان المحبَّ يبحث بكل دقة في تحسين القبيح وتسمين الضعيف ليتخلص من الملامة ويدبّر الحيلة في غشّ نفسهِ حتى يداهنها ويجعلها راضية ويبدل الحكمة بالسفسطة أَنسيت يا تلياك انك موعود من طرف الالهة بالخير والعود الى طياكي اذكر كيف خرجت من صقلية غبَّ المصائب وكيف تحوَّلت في مصر احوالك بعد الشدة للرجاء وهل تنسى فضل المولى الذي أَمَّن روعك في صور وهيَّأ لك اسباب الفرج . أَتنكر بعد هذا كلهِ ما اعدَّهُ لك المولى من بلوغ المراد ولكن ماذا اقول فانك لست اهلاً للمعروف واما انا فمرتحلٌ من هذه الجزيرة واعرف كيف ارتحل فيا ايها الجبان المولود من خير ابٍ عاقل كريم النفس اتعيش في هذه الجزيرة عيشة الارتخاء والخسة بين النساء وتفعل ما لا يرضي المولى ولا يرضاهُ ابوك . فاذا لم تخجل فاصنع ما شئت

فهذا الاحتقار مزَّق قلب تلياك وأَثر فيهِ وعطف قلبهُ على

منطور وشعر بالخزي والخجل وداخلهُ الخوف من توقع سفر منطور ولكن العشق المتجدد عندهُ من غيران يعرف لهُ سبباً غيّر حالهُ فقال لمنطور والدموع تسكب من عينيهِ كيف تقول ذاك الكلام أما تعلم ان هذه الربة الباقية في نعيم مقيم عرضت عليَّ الحياة الدائمة والبقاء في النعيم أَوَ هذا امرٌ هيّن عندك فقال لهُ منطور كلُّ ما ينافي الاخلاق الممدوحة ينابذ الفضائل ويخالف ما امر بهِ المولى ويوجب الذمّ واللوم · ومحامد الاخلاق توجب عليك الرجوع الى وطنك ليراك الوالدان · والحكمة الالهيةُ التي نشلتك من الاهوال الكثيرة ومهدت لك فخراً كفخر ابيك قد أَمرتك ان تهاجر هذه الجزيرة · فماذا تصنع بالحياة الدائمة والبقاء في الترفه بلا حريةٍ ولا تهذيب اخلاقٍ ولا فخر

فلم يجب تليماك الاَّ بالتنهد وتصعُّد الانفاس فكان تارةً يودُّ لو اخرجهُ منطور من هذه الجزيرة بالاكراه ليتخلص وطوراً لو ابقاهُ فيها وارتحل ليخلص من هذا الصاحب الصعب المراس كي لا يلومهُ على شيء فكانت هذه الافكار تختلج في صدرهِ والوساوس تتوارد في خلدهِ لكن كانت سريعة الزوال لفقدهِ الصبر والجلد وكان عقلهُ كبحر تعبث بهِ الرياح وصار يهطل الدمع على خديهِ ويزأَر زئير الاسد فنحل جسمهُ وذبلت عيناهُ

وتغيرت اشكالهُ حتى صار لا يظن انهُ تلماك ذو الحسن والبهاء
فلما راى منطور ان تلماك عجز عن مقاومة العشق الذي تحكّم
فيهِ أخذ ما خذ التدبير في تخليصهِ من هذا البلاء وذلك انهُ لما
راى كاليبسه مولعةً بتلماك وتلماك مشغوفٌ بحب اوخاريس
عزم ان يهيج غيرة كاليبسه ويرمي الفتنة ليخلّص تلماك وكانت
اوخاريس قد عزمت ذات يوم ان تذهب بتلماك الى محل الصيد
فاغتنم منطور الفرصة وقال لكاليبسه ارى ان تلماك قد أُولعَ
الان بالصيد الذي كان قبل الان لا يأْلفهُ حتى ان لذة الصيد
الان أنستهُ جميع اللذات وجعلتهُ يلازم الغابات والجبال المشتملة
على الوحوش فهل انتِ يا ربة الجزيرة أَلهمتهِ هذه الرغبة ووليتِ
على قلبهِ هذه الالفة ... فلما سمعت كاليبسه هذا الكلام أَثر
فيها اعظم تاثير واغتاظت الغيظ الشديد وقالت كيف احتقر
تلماك لذات جزيرة قبرص ولم يلبث ان عشق هنا عروسًا
متوسطة الحال غير بديعة الحسن وكيف كان يتمدح انهُ فعل
العجائب والغرائب وقد فترت همتهُ وذهبت شجاعتهُ بالشهوات
الدنية ففرح منطور حين راى نار الغيرة قد أشتعلت في قلب
كاليبسه واقتصر عن الكلام خوفًا من الاتهام وانما اراها ان
وجهَ تلماك متغيرٌ سقيمٌ وانهُ لعبت بهِ ايدي الغرام فاطلعتهُ على

حقيبة سرّها وحقيقة امرها وما شاهدتهُ من احوالهِ من مقاساة العشق واهوالهِ وشكت اليهِ شكوى جديدة وما احكاهُ منطور من رغبتهِ في الصيد والتنص اهاج غضبها وعلمت ان تلماك حاول ان يختفي عن سائر العرائس في مكان بعيدٍ ليفشي عشقهُ لمحبوبتهِ اوخاريس فلاجل افساد مقاصدهِ تبعتهما وشرعت توبخ تلماك بقولها

ايها الشابُّ الجسور دخلت في مملكتي للنجاة مما تستحقهُ من الغرق الذي اعدهُ لك سلطان البحر فكانك لم تدخل في هذه الجزيرة التي سبق القدر انها ممنوعة عن البشر الاَّ للاستهانة بسلطاني والازدراء بعلو شاني ورفض المحبة التي ادخلتك في صميم فوادي وعدم اجابة عشقي لطلعتك لا بلغَ بوصالك مرادي فاسال العلويات والسفليات الحكم بيني وبينك وان يرحموا ربةً مسكينة ويجازوا غدرك ومينك ويعاملوك بما تستحقهُ من كفران النعم وعصيان المنعم بالكفر فحيث انك قليلُ الشفقة كابيك عديم الانصاف لا بدَّ ان تذوق مثلهُ اشدَّ المصائب وتقاسي عذابات اكثر مما قاسى فلا اراك الاله جزيرة طياكي الحقيرة التي تفضلها على النعيم الدائم ولا تخجل فاذا قدّر لك المولى وخرجت من عندي لا ترى هذه الجزيرة الاَّ على بعدٍ وانت

مشرفٌ على الهلاك في وسط البحار وجثتك ملعبة للامواج يقذفها الموج على رمال هذه السواحل ولا من يدفنها وعسى ان تراك عيني والرخم ينهش لحمك وتراك محبوبتك على هذه الحالة فيتقطع قلبها عليك وتضطرم النار في احشائها فينقطع رجاؤها من وصلك وهو عين سعدي وعزّي

وما زالت كاليبسه توبخ تلماك وترشقهُ بسهام الملام حتى صارت برج غضبٍ واحمرَّت كالجمر وتغيرت كل الوانها واعتراها الذبول والكسوف وانتشرت الكآبة على وجهها البدريّ وذرفت عيناها الدمع وبح صوتها الرخيم وكان منطور يسمع ويرى ولا يبدي كلمة واحدة فاحسَّ تلماك انهُ اخطأَ وانهُ ليس اهلاً لصحبة منطور فنكّس راسهُ خوفًا من ان تقع عينهُ على عينهِ اذ كان سكوتهُ تقريعًا وتأديبًا لهُ ولكن كان يتردد في فكرهِ بين ان يقدم اليهِ ويعانقهُ ويعترف لهُ بذنبهِ وبين ان لا يفعل ذلك لئلاَّ يعنفّهُ ويبعدهُ عن محبوبتهِ التي قد طاب لهُ هواها والتذَّ بمرآها

وقد حضر حينئذٍ ارباب التصريف والتدبير من العلويات والسفليات على جبل اولمبيا ملازمين السكوت وابصارهم شاخصة نحو الجزيرة لينظروا هل تكون النصرة في

هذه الحرب للحكمة او للعشق لانهُ لما عبث العشق برأس الجزيرة واضرم كلّ من فيها بنار الغرام هيّجت الحكمة المتشكلة بشكل منطور الغيرة اللازمة للعشق والصبابة واهل الهيام وجعلتها اعدى عدوّ لهُ وكوكب المشتري السامي اكبر الطوالع المشرف بكوكبهِ المنير وناظر بعينهِ الملوكية الوقائع عزم ان يكون كالمتفرج والملاحظ ولا يكون لهُ دخل في النصر والظفر

وقد خافت اوخاريس من ان يفرّ منها تليماك وهي مولعة بهِ فعملت التدابير اللازمة لاستمالتهِ وجذبِ قلبهِ اليها وكانت قد وعدتهُ بالذهاب معهُ مرة ثانية الى الصيد فلبست لبس الجمال فزادت حسنًا وبهاء فنظرتها كاليبسه على بعد بهذا الجمال البديع ونظرت نفسها في مرآة فرأت انها دون تلك العروس حسنًا وبهاء فداخلها الحياء والخجل واختفت في قاع غارها وصارت تخاطب نفسها وتتاسف على حالها وتقول لم يبقَ عليّ الاّ ان اكون عاذلاً ورقيبًا بين المحبّ والمحبوب فكيف اذهب معهما الى الصيد واطيق ان يراني تليماك ويرى عشيقتهُ تفضلني جمالاً ودلالاً فيزداد صبابةً وغرامًا ووجدًا وهيامًا وما اشقاني كيف العمل اظنّ صرف النظر عن الصيد ومنع العاشق ومعشوقتهِ عن الذهاب معًا اقرب وامر المنع اليوم مبدأ وانا

لا بد لي من ان اقابل منطور واحملهُ على ان ياخذ صاحبهُ ويرتحل الى طياكي ولكن كيف افعل وماذا اصنع بعد ذهاب تلياك وانا لا ادري اين انا الان ولا ماذا اقول · فيا ايتها الزهرة القاسية قد رميتني في الغرور كيف اهديتِ اليَّ الغرام الموصوف بالغدر والمكر وقد فتحتُ لهُ فوادي وادخلتهُ صميم قلبي لابلغ المرام بوصال تلياك واحظى معهُ بالعيش الرغيد فما دخل في قلبي الاَّ الاسقام والتعذيب ونتج من ذلك ان خادماتي وعرائسي شننَّ الغارة عليَّ وشاركنني في العشق واوجبنَ تعذيبي بعذاب دائم ألا اقتل نفسي لينتهي العذاب واقتل تلياك الافّاك لتنظرهُ محبوبتهُ رمّةً امام عينيها. اظنّ اني اقول ذلك من باب الغلط فلا ادري ما اقول · كيف يسوغ لي قتل بريٍّ ذمّةٍ اوقعتهُ في شرك العشق ومهالكهِ انا السبب في ذلك انا الذي ادخلت مصباح العشق في فوادهِ وكان قبلُ مصونًا عن وصمة العشق فما ازكاهُ واشدّهُ براءةً وما اعظمهُ استقامةً وديانةً وما ابعدهُ عن المعاصي والمثالب وما اشجعهُ على الطاعة واجتناب المعايب انا التي اختلست قلبهُ بالعشق وترتب عليهِ ان علقَ قلبهُ غيري وعاملني بالصدود فدار الآن امري بين شيئين اما ان يذهب عني او ان اراهُ معي يكرهني ويحب غيري وهذا لا اطيقهُ فالاولى

ان اطيق ما استحق من فراقهِ لانني انا التي جنت على نفسها بقبول رب الغرام فليذهب تلماك ويتركني عرضةً للعار وغرضًا لليأس من الوصال وشماتة معشوقتهِ اوخاريس المتكبرة ...

ثمَّ هاج وجدها وخرجت على حين غفلة وهجمت على منطور وقالت لهُ انت الذي اعان تلماك على المعصية كيف تنام وقاضي المحبة يريد ان يحاربك وينازلك فلا اقدر ان اراك ساكتًا عن تلماك صابرًا على عشقهِ المذموم كيف تقدر ان ترى ابن عولس يدنّس عرضَ ابيهِ وتتركهُ حتى يضيعَ ما هو مهيأ لهُ في المستقبل من منَّا يا ترى كفيلهُ ومن الذي فوِّض امرهُ اليهِ انا ام انت . انني ارى نفسي راغبة في مداواة قلبهِ من داء الهوى وانت متنحٍ عن العمل فاذهب الى الغابة تجد فيها محلاًّ بعيدًا فيهِ اشجار الجوز الضخمة توافق لصنع سفينةٍ لسفركما فقد صنع عولس سفينة من تلك الاشجار وخرج من الجزيرة وتجد ايضًا هناك غارًا عميقًا فيهِ جميع الالات والادوات وكل ما يلزم لعمارة السفن فابذل الهمة في صنعها

فلما فرغت من هذا الكلام ندمت واما منطور فذهب اسرع من لمح البصر الى الغار واخذ الالات والادوات وقطع من اشجار الجوز ما يكفي وصنع سفينة تامة في يوم واحد لان الحكمة

اذا ساعدت لاتحتاج الاشغال الى طول زمن . . . فشقَّ ذلك
على كاليبسه وتبلبل عقلها وصارت تارةً تنظر الى شغل منطور
هل قارب الانتهاء واخرى تعزم على الذهاب الى الصيد وتخشى
ان ينفرد تلماك باوخاريس ويبلغ منها المراد فدبرت طريقة الى
مناظرة السفينة والصيد اذ عينت محل الصيد تجاه محل شغل
السفينة فصارت تسمع ضرب الفاس والقدوم في الخشب كانهُ
في قلبها وتمدُّ نظرها نحو تلماك كما هي عادة الرقيب خوفًا من ان
يبدي علامة او اشارة الى معشوقتهِ

ومع كلّ هذا قالت اوخاريس لتلماك وهي تنادمهُ وتسايرهُ
وتحكم على قلبهِ هل خفت من ان يلومك منطور على انك جئت
معي الى الصيد من غير ان يتعلق برجل فالصحيح انك مبتلٍ
ببلوى عظيمة وهي انك تحت حكم هذا الرجل الجبار كانهُ مولاك
وانت رقيقهُ فهو رجل متصنع لا يستطيع ان يراك تتلذذ وترتاح
فقد كفاك انك مكثت تحت كفالتهِ ما دمت قاصرًا واما الان
فقد بلغت اشدَّك ورشدك وتعلمت منهُ الحكمة كما تريد فلا تدعهُ
يكفلك كفالة محجور عليهِ بل تولَّ امر نفسك بنفسك فانت
قادر على تدبير مصلحتك . فدخلت هذه الحكاية المموّهة على تلماك
وحدَّث نفسهُ بالخروج من حجر منطور ولم يجاوب اوخاريس

بشيء لتكدير بالهِ فلما فرغ كلٌّ من شغلهِ آخر النهار عاد تلماك ومن كان معهُ في الغابة الى قرب المحل الذي اشتغل فيهِ السفينة منطور فلمحت كاليبسه السفينة تامة فغاب عقلها عن الوجود وارتعدت مفاصلها ومالت بقامتها على العرائس اللواتي كنَّ حولها فارادت اوخاريس ان تمدَّ لها يدها لتعتمد عليها فدفعتها ونظرت اليها شزرًا . ثم سأل تلماك كاليبسة لمن هذه السفينة فلم تجبهُ فالحَّ عليها بالسؤال فقالت لهُ هذه لرجوع منطور الى وطنهِ حتى لا يضايقك ويمنعك من التلذذ والراحة

فقال تلماك كيف يتركني منطور ويذهب ثمَّ التفت الى محبوبتهِ وقال يا اوخاريس اذا تحقق سفر صاحبي لايكون لي احدٌ يحبني واحبهُ غيرك . فانفلتت منهُ هذه الكلمات وهو في غيبوبة الهوى وسكر الغرام حيث افشى ما استكنَّ في ضميرهِ وانغضب ربة الجزيرة فاحسَّ بعدم لياقة هذا الكلام وانهُ يلام عليهِ اذ قال بلا فكرةٍ ولا تروٍّ . . . فتعجبت العرائس من صدور مثل ذلك من مثلهِ ولزمنَ السكوت حيارى فاحمرَّ وجهُ اوخاريس خجلاً وغضَّت طرفها حياءً ووقفت وراءهنَّ باهتةً متحيرة مبلبلة البال لا تدري كيف صدر ذلك من هذا الحبيب ومع ذلك كانت علامات السرور والفرح تبدو على محياهـــا

واما تلماك فلم يفهم معنى قولهِ ولا ظنَّ انهُ نطق بمثل هذا الكلام فصار باهتًا متحيرًا جاهلاً ما صدر منهُ واما كاليبسه فهاجت من الغضب وصارت كاللبوة الفاقدة الاشبال تعدو في الغابات حتى اهتدت ودخلت غارها فوجدت منطور فيهِ فقالت لهُ بنضب اخرجا من ارضي ايها الشريبان لانكما عكرتما راحتي وليبعد مني ذاك الشاب المختل وانت ايها الشيخ العديم النبصر في العواقب سوف تنظر ما يصيب هذا الشاب اذا لم تخرجهُ حالاً من جزيرتي فاني لا اريد ان يتكلم مطلقًا مع عرائسي ولا ان تنظر اليهِ واحدة منهنَّ فارحل بهِ . وقسمًا بنهر زمهرير جهنم وهو خير قسم انَّ ما قلتهُ في حقهِ لا بدَّ من انفاذهِ وقد ندمت على اكرامي اياهُ ثم التفتت الى تلماك وقالت لهُ يا ايها الجاحد النعمة ان مصائبك لم تنتهِ بعدُ ولم يكن خروجك من جزيرتي الا لتكن غنيمة للنوائب فلا بدَّ ان تتأسف على فراقي لان سلطان البحر نبطون شديد الغضب على ابيك حيث اساء الادب في صقلية وقد طلبت منهُ الزهرة أخذ الثار منك فهو مجهزٌ لك الرياح العاصفة اكثر مما سلف . نعم ترى اباك حيًا ولكن لا تعرفهُ ولا يعرفك ولا تجتمع بهِ في طياكي الاَّ بعد ان تعبث بك يد الدهر وتلعب بك الحوادث وانا اتضرع الى ارباب التدبير ان يخلصوا لي حتى

منك وانك تستغيث بي في وسط البحار وانت في العذاب ولا اغيثك لان عذابك يسرّني . . . فما فرغت من هذا الكلام حتى راودها عقلها ان ترجع عن هذه النية فعزمت على رأي اخر حاك في خلدها وهو ان تحجز تليماك عندها لعلهُ يعرف حسن صنيعها معهُ ولا يُضيع جميلها وقالت ان اوخاريس لا تقدر ان تمنحهُ النعيم المقيم مثلي ثم قالت يا ليتني تبصرتُ وما حلفتُ هذا اليمين لانهُ يمين معظَّم ولا يجوز الحنث بهِ فاذاً الاعشمَ بابقاء هذا الشاب في هذا المكان وكانت تحدّث نفسها ولا يسمعها احدٌ وانما يُشاهد على وجهها اثر الغضب الشديد

فلما شاهد منها تليماك ما شاهد وفهم ما قام بها من الغيرة داخلهُ الفزع وكان فزعهُ يزيدها حنقاً فصارت ترغي وتزبد وقامت تجري مسرعةً قابضةً على رمحٍ ودعت اليها جميع العرائس وتهددت من يتاخر منهنَّ بالطعن فجرينَ وراءها خائفات من تهديدها حتى ان اوخاريس اقبلت باكيةً شاكيةً تنظر تليماك من بُعدٍ ولا تستطيع خطابهُ ولما رأتها كاليبسه تدنو منها وتميس بحلل البهاء والجمال اشتد غضبها حتى اشرفت على الهلاك

وبقي تليماك وحدهُ مختلياً مع منطور اختلاء الطبيب بالعليل فقام وقبّل قدميهِ حيث لم يستطع ان يعانقهُ وسالت الدموع

من عينيهِ واراد ان يتكلم فما طاوعهُ لسانهُ على النطق بما تحدثهُ بهِ نفسهُ . ثم تنهد وصاح يا ايها الاب الحنون اجرني من هذه الالام فانهُ لا يمكنني ان ابقى هنا واتركك ولا ان اسير معك وانا اسير العيون الفواتك فانشلني من بحر هذه الاهوال وانصفني من نفسي التي هي اصل البلاء فخذها بالقتل او الموت فاني استحق ذلك . . . فقبلهُ منطور بين عينيهِ ولان لهُ بعد الجفاء وسلاهُ وقوّى عزمهُ وقال لهُ يا ابن عولس الحكيم قد ساعدتك المقادير ولا زالت تساعدك فلولا حبُّ المولى لك ما ابتلاك وامتحنك بالاهوال فان الرجل الذي لا يحسُّ بضعفهِ وشدة تسلط الهوى لا يُعدُّ من عقلاء الرجال لانهُ لا يعرف نفسهُ حق المعرفة ولا يقدر ان يميّز الرشد من الغيّ فكانما المولى اخذ بيدك حتى اوقفك على باب الهاوية المهلكة لتعرف عمقها وبعد قرارها ولم يدفعك فيها وهذه نعمة وافية فهل كنت تفهم ما فهمتهُ الان لو لم يحصل لك هذا الابتلاء والاختبار فلو حكى لك انسان عن العشق محض رواية وقال انهُ غادر مداهن ظاهرهُ حلوٌ وباطنهُ مرٌّ هل كنت تصدق لو لم تذق فقد حضر هذا الوليد رسولاً بالضحك والمزاح والتودد واللطافة وقد رايتهُ وتحققتهُ وآمنت برسالتهِ وصدقتهُ وصرفت حبك اليهِ فتمكن في قلبك وجذب

سرّهُ مجامع لبّك وكنت تتعلل بالعلل الواهية لتلتبس
عليك جراحك وتبحث عن ان تركب معهُ مطايا المدالسة
والكتمان وترتكب المداهنة لنفسك بالزور والبهتان اذ كنت
لا تخشى شيئًا من العواقب ولا تخاف المولى ولا تراقب فانظر الى
عقبى الجسارة كيف اودت بك الى طلب قطع الحياة ورايت ان
هذه الميتة آخر الراحة وانقطع رجاؤك وفاتك الامل واما ربّة
الجزيرة فقد تكدرت وغضبت وصارت كزبانية جهنم
واوخاريس احرقها العشق بنار تتلظى في احشائها والعرائس
الاخر ذقن حرارة الغيرة والحسد وكلٌّ منهنّ حقدت على صاحبتها
فهذا هو قضاء قاضي العشق الغادر الخائن المتظاهر باللطف
فليعُد اليك عزمك القديم وشجاعتك المعهودة وليتجدد عندك
الذوق السليم فان المولى يحبك حيث امدّك بهذا الامداد وفتح
لك طريق الفرار من العشق لتسلك بها الى الوطن حتى ان كاليبسه
صارت مجبورة على طردك وهذه هي السفينة حاضرة فلا نتاخر
عن اجابة قصدها ولنهجر هجرًا جميلاً ونهاجر هذه الجزيرة الخالية
من حسن الاخلاق وحميد الاوصاف

فقال منطور هذه الكلمات واخذ تليماك من يدهِ وجذبهُ
الى الساحل جبرًا فتبعهُ تليماك مغتصبًا وكان دائمًا ينظر الى ورائهِ

ويلتفت الى اوخاريس ليغنم منها نظرة الوداع وكأنهُ يعتذر مما
جرى عليهِ بغتةً فناب عن وجهها اللطيف وصار ينظر الى
شعرها الظريف واثوابها النظيفة الرفيعة المتموجة حواشيها
بتموُّج الاعطاف وميسها ميس الاغصان فلما غابت عن بصرهِ
اصغى اليها ظنًّا بانها تكلمهُ وبعد ان غابت عنهُ تخيّل لهُ ان
تمثالها نصب عينيهِ وهو عين ذاتها فصار يسامرها بوصف انها
حاضرة وقطع المسامرة عن منطور ثمَّ لما افاق من غفلتهِ وانتبه
قال لمنطور قد عزمت ان اسافر معك ولكن قصدي ان اودّع
اوخاريس قبل السفر لاني افضّل الموت على تركها قبل الوداع
وابثّ لها التشكر والشكوى من الفراق فيا ايها الاب الروحاني
ارجوك بلغني المرام بوداع هذه العروس الذي هو آخر تسليتي
ونهاية النعمة فان هذا من باب العدل والانصاف والاَّ فاقتلني
بيدك ثمَّ عاد الى نفسهِ وقال انا لا اودُّ الاقامة في هذه الجزيرة ولا
اجعل علائق العشق تحكم على قلبي بل ان اظهر لاوخاريس تأثير
الصداقة والوداد والقيام بحق الشكر واخذ خاطرها واسافر
معك . فقال لهُ منطور اني ارثي لحالك لان امر هواك قد عظم
وكمن في فؤادك وانت لا تشعر بهِ فعشقك عجيب ووجدك غريب
وتظنُّ ان قلبك مرتاح من العشق ولا تخجل من ان تتفوه بانك

خلي منهُ وانت لا تقدر على فرقة المحبوبة وانما تتسلى بتزيين الكلام فاراك لا تبصر غيرها ولا يفارقك هواها طرفة عين وصرت اعمى بالنسبة الى غير اوخاريس فيا ايها الاعمى القلب والبصيرة لقد كدت ان تصرف النظر عن والدتك الحزينة التي تنتظرك ليلاً ونهاراً ذارفة الدمع غزيراً كما صرفت النظر عن ابيك الذي ستراهُ في جزيرة طياكي التي ستكون ذات يوم ملكاً عليها وقد تنازلت عن كسب الفخار وخلعت علوَّ الشان وانت موعود بذلك من طرف الالوهية فكيف رفضت الشرف ورضيت بالعيش مع تلك المحبوبة مدنس العرض قابلاً العار واعجب من هذا قولك ان قلبك لم يتعلَّق بها تعلُّق غرام فاذاً ما الذي غيَّرك وحسَّن لديك شرب كاس الحمام وما الذي حملك على التكلم امام ربة الجزيرة بذاك الكلام فانا لا اتهمك بالخيانة ولا بالنفاق وقلة الصيانة وانما اتاسف على عمى بصيرتك الذي اوقعك في الحيرة فاهرب من هنا لتتخلص من اسر العشق اذ لا خلاص منهُ الا بالفرار ولا تلتفت الى ما وراءك فاظنك لم تنسَ تربيتي اياك منذُ الصغر ومقدار نصائحي التي خلصتك من كثرة الاخطار وعلى كل حال انت الان مخيَّرٌ اما ان تثق بي او تفارقني وقد بسطت لك عذري فلو علمت الالم الذي

لحقني من سعيك والاذى الذي اصابني من خصامك لاعترفت
بان والدتك لم تقاسِ حين الوضع ما قاسينهُ من اجلك
وكتمت امري نيامن هو اعزُّ من ولدي خفّف آلامي وتقبل
نصائحي وردَّ نفسك على نفسك فاذا غلبتْ حكمتك هواك
تعشْ معك عيشة سعيدة واذا غلب هواك حكمتك فالحياة
عليَّ حرام وموعد الاجتماع غداً

وفي اثناء هذا الكلام كان منطور يسير نحو البحر وتلماك
مقتفيًا اثرهُ لا من نفسهِ بل بقوة الحديث والمسامرة وذلك ان
سرَّ الحكمة كان كامنًا في صورة منطور وكان يسيّر تلماك بدون
علمهِ اذ كان ينشر حولهُ اشعة القوة الربانيّة فيشعر بشجاعة
جديدة وقوَّةٍ فوق العادة ثمَّ وصلا الى الشاطىء وجعلا ينظران
الى السفينة التي صنعها منطور فلم يجداها وذلك ان سلطان
العشق غضب على منطور حيث اساء الادب في حقهِ ولم يرعَ
لهُ ذمّةً فالتهب قلبهُ واحترق وذهب الى كاليبسه فوجدها هائمة
في وسط الغابة من الوجد فلما رأتهُ بكت وشكت وتواجدت
فقال لها انتِ ربّة خالدة بعيدة عن البلايا فكيف يغلبك هذا
الاسير الفاني وكيف تركتهِ يذهب فقالت لهُ ايها المدبّر الشقي
لا اتبع اراءك سواء ذهب ذاك الشاب ام بقي فقد كنتُ قبلك

خليّة البال فجلبتَ عليَّ جميع النوائب وقد قضي الامر واقسمت بزمهرير جهنم ان اخلّي سبيل تلياك فلا حنث ولا كفارة لهذا اليمين فليخرج من جزيرتي الى اين شاء واما انت فلا تُقِم هنا فقد فعلت فعلتك التي آلت الى فضيحتي وهتكي

فسمع سلطان العشق دعاها وتبسَّم من قولها تبسُّم الغادر الماكر وقال متشدّقًا انَّ كلامكِ لحقٌّ فدعيني ادبّر لكِ حيلةً لابرار يمينك فانتِ لا تمنعي تخلية سبيل هذا الشابّ بنفسك بل انا وعرائسك لاننا لم نقسم بهذا القسم فلا لوم علينا في منعهِ فانا الهمهنَّ حرق السفينة التي صنعها منطور وحينئذٍ لا يجد وسيلة لخلاص تلياك فتسُدُّ في وجههِ الابواب وينقطع الرجاء من الذهاب فنزل هذا الكلام المزخرف على قلبها احلى من الضرب واستبشرت بنوال الارب فانشرح صدرها وارتاح بالها وصفا ماء وجهها وزالت حمرة الغضب من عينيها فتلطفت مع العشق الماجن بالخطاب وما درت انها بوثوقها تهيئ لنفسها اشدَّ الوجد والعذاب

فلما اقام لها ربُّ العشق حجةَ انهُ لا حنثَ ولا كفَّارةَ عليها ذهب الى العرائس ليؤيّد مضمون قولهِ فوجدهنَّ هائماتٍ على وجوههنَّ ومتفرّقاتٍ في الجبال فجمعهنَّ اليهِ في وادٍ وقال لهنَّ

ان تليماك لم يزل في قبضة ايديكنَّ فبادرنَ الى احراق سفينة منطور ليتعذر عليها الذهاب وتخلّ النضية فبادرنَ حالاً واخذنَ شعل النار مدهونة وسعينَ الى الشاطئ والقينَ الشعلات الملتهبة في السفينة المنطورية فاشتعلت نارًا وامتلأ الجوّ من دخانها

فابصر منطور وتليماك الدخان وسمعا صياح العرائس ورايا فعلهنَّ فظهرت على وجه تليماك علامات الفرح لان قلبهُ كان لم يخلُ من بعض مرض العشق ورأى منطور من حال هذا الشاب ان هواه كالنار التي طُفئت ولم تزل باقيةً في خلال الرماد تقذف شيئًا بعد شيء فقال تليماك انا رجعت الان الى ما كنت عليهِ من الروابط والعهود مع اوخاريس اذ لا عشم لنا في الرحيل من هذه الجزيرة

فلما راى منطور ان تليماك ان خلا بنفسهِ يقع مرةً ثانيةً في ورطة العشق وكان قد لمح على بُعدٍ سفينة في وسط البحر قد وقفت ولم ترسِ خوفًا من اخطار هذه الجزيرة دفعهُ في لجة البحر وسقط معهُ فانغمس تليماك في البحر ودخل الماء فمهُ وتلاعبت بهِ الامواج فلما افاق راى منطور مدَّ لهُ يدهُ ليساعدهُ على العوم ولم يصمم الا على الخروج من الجزيرة حالاً حينئذٍ صاحت

اوخاريس باعلى صوتها وهاجت وزأرت كاللبوة الفاقدة حيث عجزت عن منع تلياك من الهروب واما كاليبسه فقد صارت اليفة وجدٍ وقلقٍ فدخلت غارها ولزمت الخلوة ولما رأى سلطان العشق ان نصرتهُ تحولت الى الهزيمة طار في الجوّ محلقاً ووقع على اشجار ايداليا في قبرص حيث كانت امهُ الزهرة تنتظرهُ هناك وقد فاتها النصر فلما اجتمعا جعلا تسليتهما حكاية العشق والضحك على ما صدر منهما وما ترتب عليهِ من مصائب الالعاب

وكان تلياك كلما بعد عن الجزيرة يشعر بتجديد القوة والعافية وحبّ الفضائل ومكارم الاخلاق فيُسرُّ فعند ذلك قال لمنطور يسامرهُ قد احسنت بما كنت تقولهُ لي وكنت استبعده لعدم التجربة والاختبار من انهُ لا يغلب العشق الاَّ من أَبِقَ فيا ايها الوالد ان المولى احبني حيث اوصلك اليَّ لتعينني وكنت لا استحق ذلك لاستبدادي برأيي فالان لا اخشى البحار ولا الرياح وانما اخشى فاسد الهوى وضعيف العشق لانهُ اخطر من الغرق فهو عدوٌّ الدٌ في صورة محبوب مصافٍ

المقالة الثامنة

ثمَّ ان السفينة التي وقفت وسط البحر وعوَّل منطوران يذهب بتليماك اليها هي من سفن الصوريين كانت متوجهة الى بلاد الارناووط فلما قرب منطور منها وصار ملاحوها بسمع منهُ صاح عليهم بصوتٍ جهوريٍّ رافعًا صوتهُ فوق الموج وقائلاً يا ايها الصوريون انتم عادتكم اغاثة جميع الامم فلا تخلوا بانقاذ اثنين ينتظران منكم الحياة كما هو مقتضى المروءة والانسانية المعهودتين من شيمكم فاذا كان عندكم رحمةٌ وخوفٌ من المولى خذونا معكم في السفينة · فاجاب الرئيس بالترحيب والاكرام وافاد انهم يعرفون قيمة الغرباء ويحفظون مقامهم ويصنعون معهم المعروف ولاسيما اذا وجدوهم في ضيقةٍ شديدة واذنَ لهما حالاً بالدخول الى السفينة فاوَّل دخولهما فيها كانا في ضيقة نفسٍ لامزيد عليها ساكتين ساكنين لان عضو النطق كان قد انحبسَ وكلاًّ من التعب بسبب السباحة ومقاومة الامواج فاخذا بالانتعاش تدريجًا حتى رُدَّت اليهما القوة واستولى عليهما الامن وأُعطيا ملابس لتغيير ما عليهما من الثياب المبلولة فلما استطاعا التكلم ازدحم عليهما الصوريون لاستعلام حديث

حوادثهما فقال لهما الربّان كيف امكنكما دخول هذه الجزيرة التي يقال عنها ان ربتها من الجبابرة لاتاذن لاحد بالدخول فيها حتى ان ميناها خطرٌ على السفن لكثرة صخوره وشدة امواجه لا تقرُّ بهِ سفينة الا كُسرت فاجاب منطور دخولنا فيها كان بتكسُّر سفينتنا حيث القتنا الرياح اليهِ ونحن من جنس الاغارقة اليونان ووطنا جزيرة طياكي المجاورة بلاد الارناووط حيثما انتم ذاهبون فرجاؤنا ان تاخذونا معكم ويكون لكم علينا الفضل والمنّة

تكلم منطور بهذا الكلام وتليماك ساكت لا عن تقصير او قصور وانما ما صدر منهُ من الخطاء في جزيرة كاليبسه زادهُ حكمةً وتادبًا وادرك من نفسهِ انهُ محتاج الى قبول نصائح منطور واذا صُودف انهُ لا يقدر على استنصاحهِ واستشارتهِ بالنطق تفرَّس فيهِ وفهم من رمزهِ الاذن او المنع

فالتفت رئيس السفينة الى تليماك واخذ يتأملهُ بعين التدقيق لعلهُ يتذكر في ايّ محلٍ رآهُ لان صورتهُ كانت مطبوعة في ذهنهِ وقال لهُ لا تواخذني هل تذكر انك ابصرتني غير مرة لانهُ يلوح في فكري ان بصري وقع عليك قبلاً فان وجهك ليس بغريب عني فاجابهُ تليماك متعجبًا تعجُّبًا ممزوجًا بفرح ان

حالتي بالنسبة اليك كحالتك بالنسبة اليَّ والواقع اني رايتك حقيقةً ولكن لا ادري في اي بلدٍ وربما في مصر او في صور فصار الصوريّ يتذكر شيئًا فشيئًا الى ان قال انت تليماك الذي احبك نربال حين رجوعنا من مصر الى صور فانا اخوهُ واظنَّ انهُ كان يذكرني لك غالبًا حيث تركتك عندهُ بعد غزوة مصر وذهبت الى بلاد الاندلس بغتةً ولم اكثر من الاجتماع بك . فقال تليماك هل انت آدم وانا كذلك قد رايتك في ذلك الوقت قليلاً فلم احتق منك النظر ولكن عرفت حالك بحكايات اخيك لي في شانك . أَلك ان تشرح خاطري باخبار صحة اخيك الذي اعزّهُ . أهو الان في صور . أهل يحصل لهُ كالماضي اتهام واضرار من قبل بوغماليون الخؤون . فاجابهُ آدم وقطع كلامهُ في هذا المعنى . اعلم من حسن طالعك السعيد قد كفلك رجلٌ صالحٌ يتعهد شانك ويهتم بجميع امورك فانا اوصلك الى جزيرة طياكي قبل ذهابي الى بلاد الارناووط واعلم ان اخا نربال يعتقد معك المودة كمودة اخيهِ والودّ غير خوان

فلما انتهى هذا الكلام حتى طابت الريح فنشروا القلوع وركبوا المجاذيف وشقوا الامواج اخاديد ثمَّ اخذ آدم تليماك ومنطور وذهب بهما الى ناحية من نواحي السفينة للمحادثة فقال

لتلماك الان يسوغ لي ان اجيبك عن سؤالك المتقدم وهوان بوغماليون الان مقطوع الحياة والعلائق فقد كفى المولى عبيده شرَّهُ وارتاحت من وساوسهِ وظنونهِ وغدرهِ ومكرهِ وعدم ائتمانهِ احداً البلاد والعباد وما امكن التخلص منهُ الأَّ باضمار قطع عرق حياتهِ للنجاة من عذابهِ وكلٌ اضمر لهُ ذلك

فالفاجرة اسطربة التي سمعت عنها قبلاً قد عزمت قبل غيرها على هذا الفعل واذاقت هذا الملك كاس المنون وسبب ذلك انها كانت تهوى شاباً صوريّاً كثير المال يسمى يوازار ومن شدَّة ولوعها بهِ أمَّلت ان توليهُ المملكة ليحسن لها الحال والمال فدبرت حيلة لتظفر بغرضها وتفوز من الدنيا بعرضها وكان للملك ولدان اكبرهما يدعى فصايبل والاصغر بليازار فقالت لهُ ان وليَّ عهدك فصايبل مستعجل على ولاية المملكة ومرادهُ ان يحزّب عليك احزاباً ويخرج عن طاعتك ويأخذ ملكك واقامت لهُ الحجة واحضرت شهود زورٍ فتحقق لديهِ خروج ولدهِ عليهِ كل التحقق فقتل ولدهُ المسكين وهو بريٌ من ذلك واشارت عليهِ ايضاً بابعاد الاصغر حتى لا يجتمع باحزاب اخيهِ فارسلهُ الى جزيرة ساموس ليتعلم الاداب والعلوم اليونانية وكانت قد رشت المأمورين بايصالهِ اليها على اتلافهِ فلبّوا دعوتها حين

وصلوا الى لجة البحر واغرقوا السفينة ليلاً بالامير الصغير وتخلصوا الى مراكب اجنبية كانت هناك . وكان عشق اسطربة لذلك الشابّ لا يخفى على احدٍ الاّ على الملك لانهُ كان يظنُّ أَن حبها مقصور عليهِ لا غير وكان هذا الملك الخوَّان يأتمنها ويثق بها ولا يتهمها بشيء مع انها قبيحة غادرة وفاجرة عاهرة ولكن ما قام بهِ من الطمع والشره اوصلهُ الى ان بحث عن اسبابٍ واهية لقتل يوازار معشوقها لينهب اموالهُ لان قضية العشق لم تخطر لهُ على بالٍ وكانت اسطربة مشغوفة بحبهِ مولعة بجمالـــهِ وبينما كانت آفات الوسوسة والعشق والطمع تنتهب هذا الملك الطاغي بادرت الى تدبير العمل على قتلهِ واراحة الناس منهُ لانها شكَّت فيهِ انهُ ربما يكون قد بلغهُ امر عشقها ذلك الشاب وخطر ببالها انهُ ينبغي الاسراع الى ذلك حيث لمحت ان كبار امراء مملكتهِ ساعون الى سفك دمهِ لما تسمعهُ كلَّ يوم من التعصب والتحزُّب عليهِ والخروج عن طاعتهِ مما يؤْذن بزوال ملكهِ وكانت تخشى ان افشت لهُ ذلك من ان يتهمها كغيرها ويفتك بها ولو ظهرت لهُ انها صدوقة فعمدت الى قتلهِ سمًّا

وكان لا ياكل ولا يشرب الاَّ معها ويجهز ما ياكلهُ بيدهِ داخل غرفة متوغلة في قصرهِ بعيدةٍ عن المترددين حتى لا يطلع

احدٌ على طعامهِ وكان محروماً من الاطعمة اللذيذة لانهُ لا يأتمن
احداً على جلبها ولا يمكن استحضارها بيدهِ مقتصراً على الفواكه
التي يجتنيها بنفسهِ من حديقتهِ التي لا يدخلها غيرهُ وعلى البقول
التي يزرعها فيها بنفسهِ ويقطفها ويطبخها بيدهِ ولا يشرب الاَّ
من ماء يغترفهُ بنفسهِ مخزوناً ضمن صهريج داخل قصرهِ يقفلهُ
ويضع مفتاحهُ تحت مخدتهِ ومع كل الثقة بمحبوبتهِ اسطربة كان
يحذر منها ويتفقد اطوارها ويجبرها على الاكل والشرب معهُ
مقتسمين حتى اذا مات مسموماً تموت معهُ فاستجلبت ترياقاً مع
احدى العجائز التي كانت اقرب منها في المكروه والجائز وكانت
تعرف سرَّها وجهرها وخيرها وشرها فلما اتخذت عندها الترياق
صارت لا تخشى من السم ولو تقاسمت مع الملك الطعام

وتوصلت الى ذلك بحيلة وهي انهُ حينما وضعت المائدة
وقبل أن يستقرَّ الملك حولها دقَّت تلك العجوز الباب بغتة
حسبما كانت قد افهمتها اسطربة وكان الملك يظنُّ دائماً ان
المراد قتلهُ فتكدر وذهب الى الباب ليرى هل هو مغلق طبق
المراد وكانت العجوز قد ذهبت حالاً فبقي الملك متردداً مدهوشاً
اذ لم يدرِ من الطارق ولم يقوَ على فتحهِ ليعلم حقيقة الحال فقامت
اسطربة وسكَّنت روعهُ وامَّنت خوفهُ فذهبت عنهُ الرجفة

فارجعتهُ الى المائدة وتلطفت معهُ بالكلام وحثّتهُ على تعاطي المدام وكانت في اثناء توجههِ ليرى الباب قد دسّت السمّ في كاس كان يشرب فيها فتناول الكاس وسقاها قبلهُ حسب عادتهِ فشربت بلا تردُّد ولا ارتياب اعتماداً على الترياق ثمّ شرب الملك بعدها فتشنجت اعضاؤهُ واختلط اي اختلاط

واذ كانت تعلم انهُ اذا افاق يقتلها بايّ وهمٍ توهمهُ شرعت حالاً في تمزيق ثيابها ونتف شعرها وصاحت وناحت وندبتهُ ندبًا بليغًا يؤذن بالاسف وصارت تضمّهُ وتقبّلهُ وهو محتضر وتعانقهُ وتبلُّهُ بالدموع من البكاء عليهِ (لان دمع الخائنة العاهرة قريبٌ متى يطلبهُ المحبّ يجدهُ حاضرًا) فلما رأتهُ فقد القوّة وبلغت الروح الحلقوم وخافت من ان يهجم عليها بصحوة الروح ليميتها معهُ انقلبت من التلطيف الى التعنيف ومن المحبة الى البغض فالقت بنفسها عليهِ حتى مات حنقًا ثمّ نزعت خاتم الملك من يدهِ والتاج عن راسهِ وادخلت محبوبها يوازار واعطتهُ اياهما ظنًّا منها ان جميع المتعلقين بها يتبعون هواها ويبايعون محبوبها على المملكة الصوريّة ولم تعلم انهم يحبونها صورةً وان الذين كانوا يميلون اليها هم من ارباب العقول السخيفة او عبيد الدرهم والدينار ليس فيهم اهليةٌ للصداقة والامانة ولا هم من اهل القوة والشجاعة

بل كانوا يخشون اعداءها ويخافون منها فيلجأُون اليها وكلٌ يحب هلاكها

فامتلأ القصر فتنةً ولغطًا وهال الامر واشتد الخطب وانتشر خبر موتهِ في المدينة فالبعض داخلهُ الفزع والبعض هاج وماج وهرع لحمل السلاح وكلٌ يخشى العواقب الاَّ انهُ مشروح الخاطر بموت هذا الملك غير مأسوف عليهِ من احد

فدهش نربال من هذا الامر الهائل ورثى لحال الملك الذي خان نفسهُ ووثق بهذه الكافرة الفاجرة فاجتهد حالاً في تسكين الفتنة وجمع الوجوه والاعيان وعارض ما شرعت فيهِ اسطربة من المفاسد التي لو تمّت لها لكانت أقبح مما سلف وكان نربال وحدهُ يعرف ان بليازار تخلّص من الغرق في البحر حينما القوهُ فيهِ كما تقدم وذلك انهُ لما طرحهُ الملاحون في البحر ليلاً عام وسبح فوصل الى مركب من مراكب اهل كريد فاخذوهُ معهم شفقةً عليهِ وتركوهُ على شاطئ البحر ولم يُرد الرجوع الى مملكة ابيهِ خوفًا من ان تشي بهِ اسطربة فيقتلهُ كاخيهِ بل ذهب الى برّ الشام واحتاج هناك القوت الضروريّ فأجر نفسهُ يرعى غنمًا ثمَّ عمل طريقة وعرَّف نربال بحالهِ اذ كان يعرفهُ انهُ صادق في خدمتهِ وانهُ مستقيم مجرَّب الاطوار وان الملك يبغضهُ

لذلك وقال لهُ متى رايت الوقت موافقًا لعودي اليك فعلامة ذلك ان ترسل اليَّ خاتم ذهب وبهذا افهم انك تطلب حضوري وكان نربال يوصيه ان يصبر على مصيبتهِ ويمتثل لاحكام القضاء والقدر فعسى ان يحظى لهُ بالشفاعة ولكن في حياة ابيهِ ما امكنهُ فلما قتل الملك بادر نربال وارسل الخاتم اليهِ فارتحل حالاً وارسى على ميناء صور حال وقوع الفتنة في شان من يخلف بوغماليون فعرفهُ اعيان الصوريين وحبُّوهُ لتلطفهِ ولين جانبهِ مع الجميع لا تبعًا لتملُّك والدهِ الذي كان مُبغضًا منهم لاسيما ان تجربتهُ قد كستهُ بهجةً وجمعت لهُ حميد الصفات

فجمع نربال رؤساء الاهلين والمشايخ وجماعة الشورى ودعا القسوس والكهَّان فبايعوهُ واعلنوا لهُ بالسلطة فدارت البشائر والمناداة بين الناس فسرَّ الجميع بذلك وسمعت اسطربة من قصرها وكانت فيهِ مع محبوبها يوازار لا يدنو منهما انسان وجميع الاشرار الذين كانوا يخدمونها في ايام الملك الهالك هجروها الهجر الجميل لان اهل الشرّ يخافون مما في ضميرهم ولم يبقَ عندها الاَّ اشخاصٌ قليلون تقاسموا معها المآثم وشاركوها في الجرائم فلم يكن نصيبهم الاَّ العذاب . . . فهجم الناس على السرايا ولم يمكن لهولاء الذبُّ عن انفسهم ففرُّوا هاربين وتزيت الخائنة بزيّ

الرفيق ودخلت في الازدحام قصد الفرار فعرفها من الجند نفرٌ
فقبض عليها واراد العامة تمزيقها اربًا انتقامًا منها فحجزهم عنها
الاكابر وحجزوها محبوسةً ثمَّ استأْذنت لتقابل بليازار وظنَّت
بذلك انها تجذبهُ بجمالها وافتكرت ان تطلعهُ على بعض اسرارٍ مهمة
مكتومة عندها فاذن لها بالمثول بين يديهِ وان تبدي ما عندها
من السرّ فابتدأَت في انها ضمت الى حسنها وجمالها وغنجهـــا
ودلالها ما لا مزيد عليهِ من الاحسان والرفق والتلطف مما تعطف
اليهِ القلوب ويلين لهُ الحديد ثمَّ داهنت بليازار وتملقتهُ ومدحتهُ
باحسن ما يستميل النفوس الابيّة وادخلت عليهِ ما كان لها مع
والدهِ وانهُ كان يحبها حبًّا شديدًا ويميل اليها في الرخاء والشدة
وناشدتهُ برفات عظام ابيهِ ان يرقّ لها ويتعطَّف عليها ولا يسمع
فيها كلامًا وتوسلت اليهِ بمعبودهِ وجعلت تبكي وتنوح وتقع على
ركبتيهِ وتشكو وتتظلم ثمَّ اخذت تبوح اليهِ بالسرّ فلوّحت
لهُ ونوَّهت واشارت وموَّهت ثمَّ اعلنت وصرَّحت قائلةً ان
الموظفين كلّهم متهمون مشهورون بالقباحة يتظاهرون بالمحبة
ويبطنون خلاف الظاهر واتهمت نربال بانهُ عصَّب على بوغاليون
وقصد خلعهُ وحمل الاهالي على ان يولّوهُ عليهم ملكًا وانهُ يريد
الان حرمانك من الجلوس على سرير الملك وانهُ مصمم على قتلك

بالسم ثم ابتدعت ذنوباً الجميع ارباب السياسة الموصوفين بحسن الاستقامة وكانت تؤمل ان تجد في قلب بليازار ما كان يحوك في صدر ابيهِ من الاوهام وقبول الاكاذيب ولكن هذا الملك الصغير لم يستطع أن يطيق خبث هذه الفاجرة وان يستمرّ على سماع اباطيلها فقطع كلامها بالتسكيت والتبكيت وامر حرّاسهُ بسجنها وعقلاء الشيوخ بتحقيق ما فعلتهُ سابقًا

وكان لا احد يعرف انها هي التي اماتت الملك السابق بالسم فاستبان ذلك عند التحقيق واستقبحهُ منها كل ذي ذوق سليم وظهر ايضًا ان كل ما فعلتهُ مدة حياتها هو تعاقب ذنوب متوالية فحكم عليها باشدّ العذاب وهو ان تُحرق بالنار الخفيفة الانقاد حتى تنضج بالتدريج فلما سمعت ان لا رجاء لها بالحياة وان الحكم عليها بما ذكر يطيل عذابها شربت السمّ الذي كان لا يفارقها لتموت حالاً وترتاح من اطالة العذاب وقد رآها البعض بعد شرب السم تقاسي الالم الهائل واراد ان يغيثها باخراج الروح فلم تقبل وذكرها بعضهم الاله المعبود وان تتوب وتندم عن فعلها فاشارت انها بمعزل عنهُ وانها غير محتاجة الى توبة وكانت الحدة الغضبية والعقائد الكفرية تشهدان عليها انها كانت من اهل الظلم والجوز وقد ذهب جمال وجهها الذي

كان سبباً لمصاب كثيرين من الرجال وانطفأ انسان عينها
وماتت شرّ ميتة وصارت ممن مأواهم جهنم وبئس القرار ولا
بدَّ من ان روحها تخلّد مع العرائس الخمسين اللواتي اشتهرن
في خرافات اليونان بالاقامة في الهاوية يتعذبن نظير قتلهنّ
ازواجهنّ ليلة الزفاف والابتناء وهم بنو اعمامهنّ ومن ان تكون
مع روح العنيف ايسبون الذي راود زوجة صاحب الدار عن
نفسها وكان عذابهُ نظير ذلك ان علّقت روحهُ بجرّ عربة معلقة
بالثعابين وكانت تنهشهُ دون انتهاء ومع روح المقرّب ولدهُ
للاصنام ظلمًا وهو سيتتال المحروق من الظمأ وعذابهُ انهُ كلما
قرب من الماء بعد عن شفتيهِ وكعذاب روح صوصوفه جزاء
افشائها الاسرار وقيادة النساء الاحرار حيث تكلف جسمها
دحرجة صخر من اعلى الجبل ثمَّ تصعدهُ بعزمها وهكذا الى ما
لانهاية لهُ وكعذاب روح تيسطيوس الجبّار هتّاك عِرض الاحرار
ومفتض العذارى الابكار غصباً حيث سُلّط عليهِ نسرٌ ينهش
امعاءهُ فتعود فيعود النسر ويمزّقها فالتجدد والتمزيق دائمان
وهكذا هذه المرأة الكافرة تذوق العذاب الاليم كما هو موعد الكفار
ثم ان بليازار لما انهى امر هذه الفاجرة القبيحة قرّب القرابين
وسلك في حكمهِ مسلكاً حسناً خلاف مسلك ابيهِ فشرع في

الترغيب في التجارة واعادة رونقها القديم وصار يستشير نربال ويأخذ رأيهِ في المصالح الجسيمة من غير ان يكون لهُ على الملك نفوذ وسلطة لان الملك كان يحب ان يرى بعينيهِ ويسمع باذنيهِ ثمَّ يحكم بما يراهُ انهُ احسن الاراء فصار محبوبًا من الجميع وجمع من الاموال بالعدل اكثر مما جمعهُ ابوهُ بالظلم والطمع وصنع المعروف واغاث الملهوف فهابهُ الاهلون وحافظوا على نفسهِ وكرامتهِ وكلٌّ يودُّ لو فداهُ بنفسهِ ومالهِ وحسم النزاعة ونزع الشقاق فانكبَّ الناس على الكد والاشغال والتجارة حتى صارت بلاد صور الان مرتقية اعلى درجات العظم والفخار والفضل في كلٍّ لملكها الشاب

والآن نربال يمضي ويمشي تحت رئاسة هذا الملك العادل بسلوك سبيل الفضل فلو رآك لفرح بك كل الفرح وهاداك بما يسرُّ خاطرك . وانا الان اسعد بما يتمنى ان يسعد بهِ اخي من الاكرام . فاذهب بنفسي الى جزيرة طيا كي لوضع التاج على راس ابن عولس الهمام ليحكم بالعدل وحسن التدبير كما يحكم الان بليازار في صور . . . ففرح تليماك بما حكاهُ لهُ آدم من حسن انتظام حالة صور وباقبالهِ عليهِ بالوفاء وهو في هذه الحالة الرثة ثمَّ قبَّلهُ تقبيل مودة وصفاء فقال لهُ آدم كيف دخلت هذه

الجزيرة فحكى لهُ تليماك قصة سفرهِ من صور وعبورهِ قبرص وطريقة اجتماعهِ بمنطور والسفر معًا الى كريد والالعاب في الميادين العمومية لانتخاب ملك بعد فرار ايدومينوس وقصة غضب الزهرة والغرق وترحيب كاليبسه بهِ وبمنطور وعشقهِ وقصة غيرتها من احدى جواريها وضنيع منطور معهُ حيث القاهُ في البحر لما رأى هذه السفينة الصورية للتخلص من الهمّ والغمّ

فبعد هذه الحكايات حضر الطعام والشراب واظهارًا للفرح عمل ادم جميع ما امكنهُ مما يجلب السرور فاحضر اولاً خدمة المائدة وكانوا ولدانًا صوريين لابسين اللباس الابيض الناصع وعلى رؤوسهم اكاليل الازهار ليحرقون العود والند واحضر المزامير وعوّادًا يدعى اخطيواس الشهير تارةً يغني بعودهِ وتارةً بصوتهِ الرخيم ثمَّ حضر غلمان آخرون جمالهم بديع وملبسهم ابيض من الكتان الرفيع وطفقوا يرقصون رقص بلاد صور ثمَّ رقص أمم الدنيا على اختلاف الاعصر ثمَّ رقص بلاد اليونان ويتخلل ذلك ضرب الطبول والدفوف فكانت ليلة عجيبة وسهرة غريبة وحيث تليماك طبعهُ سليم وذوقهُ مستقيم قد ذاق حلاوة هذه المسرات ولكن لم يرضَ ان يمكن قلبهُ من ذلك لانهُ من حين ما ذاق اللذات في جزيرة كاليبسه وعرف مع الحياء

والخجل مقدارها صار ينفر منها ويتباعد عنها فان كل شيء صار عنده محلّ شكّ ووسوسة فكان يلتفت الى منطور ويتفرّس في وجههِ ليرى هل يبيحها او ينظمها في سلك المحظورات

فسرّ منطور حيث وجد صاحبهُ في الحيرة وانهُ افاق من سكرهِ وتصنع كانهُ لم يشاهد حال تلياك ولما طال الحال على تلياك ولم يستفد من نظرهِ الى منطور ما يزيل الارتباك رقَّ منطور لحالهِ وقال لهُ متبسمًا قد عرفت ما تخافهُ ومثل هذا الخوف ممدوح ولكن لا يلزم ان تكثّر منهُ واعلم ان لا احد يحبُّ لك ان تذوق طعم المسرات اكثر مني فلا لوم في ذلك ولا بأس ولكن بشرط ان يكون مما لا يوقع في الهوى والعشق ولا في التكسُّر والفتور بل ينبغي ان تذوق لذة المسرات التي تسليك من الهموم فالان يسوغ لك ان تتنزَّه وتتسلى بعد تلك المتاعب فاقتسم مع آدم هذه المسرات التي صنعها لاجل خاطرك فان الحكمة ليست حليفة التشديد بل خليفة التسيير والتسديد وهي التي تبيح المسرَّات المجرَّدة عن التدنس والملاهي القبيحة وهي التي تحسّن مزج المزاج والالعاب بالاشغال الصعبة الجدّية وهي تجهز الانسان للسرور بالشغل وتربح الشغل بالمسرات فلا عار على الحكيم ان يظهر في ميدان الافراح والانشراح في وقتهِ اذا اقتضاهُ

الحال وافترحتهُ الاوقات

فلما فرغ منطور من كلامهِ اخذ عودًا وضرب عليهِ باناملهِ بصناعة عجيبة تُخجل صناعة اخطيواس العوّاد فحينئذٍ سقط العود من يد اخطيواس قسرًا واغتاظ سرًّا وجهرًا ولولم يكن صوت عود منطور سلب عقول جميع الحاضرين واطربهم غاية الطرب لرأوا على وجه اخطيواس آثار الخزي والخجل لكنهم دهشوا جميعًا واصغوا اصغاءً تامًّا وكان صوت منطور خاليًا عن الخنث الشهواني والتكسُّر النسائي لطيفًا رخيم الحواشي جهوريًّا فيطرب ويحدث في الحواس انتعاشًا . . . فغنى اوّلاً محامد الهية ومدائح صمدانية واثنى على رب الارباب بصوت رخيم وصدق قلب واعتقاد جنان حتى ظنّ السامعون انهم متمثّلون بين يدي الرحمن ثمّ غنّى غراميات النرجس من بين الازهار وانهُ كان شابًّا ظريفًا ربّ جمالٍ باهر تولع في نفسهِ بالعشق والغرام واضناهُ الوجد والهيام وانما كان عشقهُ لجمال ذاتهِ ومحاسن صفاتهِ حيث كان ينظر صورتهُ في عين ماءٍ رقاق فاصبح يعشق صورته وقاسى في عشق حسنهِ الاهوال وصار صبًّا اليف انتحال فاستحال من العشق شخصهُ الى ريحان من الرياحين فتسمى بالنرجس

فما سمعهُ انسان الاَّ ودمعت عيناهُ من السرور فصار
الصوريون يتغامزون تغامز تعجب واستغراب ويقولون انهُ أورفه
اليوناني الشهير بالالحان وبعضهم يقول ان صوت منطور
ليس من اصوات البشر بل صوت ملاك وبالاجمال قد هاج
تعجب كلّ سامع وشنّف المسامع حتى ان تليماك تحير لانهُ كان
يجهل ان منطور عوَّاد ومغنٍ مطرب بالغ الى حدّ هذه الدرجة
ثمَّ ان اخطيواس اخفى الغيرة واخذ يحمد منطور ويثني عليهِ
ولكن داخلهُ الخجل وانقطع كلامهُ فلما رآه منطور تلعثم خاطبهُ
كأ نهُ يريد ان يقتضب كلامهُ حتى لا يخجل قائلاً يا اخطيواس
انت تستحق المدح والثناء لانك بارع في ضرب العود واراد
بذلك التسلية وجبر الخاطر فلم يتسلَّ اخطيواس بهذا الكلام
علمًا منهُ بان منطور غلبهُ بالتواضع كما غلبهُ بنغمات الصوت فبعد
ذلك قال تليماك لآدم انك تكلمت على سفرك الى بطيقة ومن
المعلوم بلاد يحكى عنها عجائب فارجوك ان تتفضل بافادتي هل
ما يقال في حقها صحيح . فقال آدم لامانع من ان اصدقك حقيقة
الحال في ذكر اوصاف تلك البلاد لان وصفها يستحق الذكر ثم
قال

نهر بطيس (الوادي الكبير المسمى اشبيليه) يجري في هذا

الاقليم (اي اقليم الاندلس) المخصب الذي كل زمنهُ معتدل فاخذ الاقليم اسمهُ من اسم هذا النهر وسمي بطيقة وهو اقليم الاندلس وهذا النهر في المحيط الغربي قريبًا من بوغاز سبتــه الذي هو محل اعمدة اسكندر او على ما يقال انهُ في القديم هاج البحر في هذا الموضع هيجانًا عظيمًا فقطع الاعمدة والجسور وفصلت ارض طرسيس بالاندلس من برّ العدوة الذي هو برّ افريقية وتكوَّن منهُ الزقاق المسمى جبل طارق ومن رأى هذا الاقليم ظنّ انهُ بقيت فيهِ دون غيرهِ رسوم الهناء والسعد التي تحكى في بدء كون الدنيا وذلك ان ايام الشتاء في هذا الاقليم مشوبة بالحرارة فلا تهب فيهِ ريح باردة وحرارة الصيف معتدلة بالنسمات اللطيفة المترطبة فتبرّد الهواء في منتصف النهار فجميع ايام السنة كانها ربيع وخريف وارض هذا الاقليم خصبة تعطي محصولين في السنة والطرق مغروسة على جوانبها اشجار الغار والرمّان والياسمين والجبال مغطاة بالماشية والنِعم وفي هذا الاقليم معادن الفضة والذهب واهلهُ يعيشون عيشة بسيطــة مع الهناء والراحة فلا يكترثون بالنضار والعسجد ولا يعتبرون من المحصولات الاَّ ما لهُ حاجة ومنفعة لعيشة الانسان

فاوَّل ما شرعنا معهم في التجارة وجدناهم يستعملون

الذهب والفضة فيما يستعمل فيهِ الحديد كسكك المحاريث ومخدّة الاخاديد وسبب اهمال النقدين انهم لا يتجرون خارج اقليمهم فلا يحتاجون الى النقود فكلهم ارباب ماشية او فلاحة وقلّ من يشتغل منهم بغير ذلك الاَّ اذا كانت صنعة لها دخل في حاجة الانسان الضرورية فالنساء يغزلنَ الصوف الرفيع الابيض وينسجنَ منهُ قماشًا جيدًا للحاجة ويخبزنَ الخبز والمآكل عندهنَّ مسهّل لان طعام اهل هذه البلاد من الفواكه والالبان وقلّ اكل اللحم ويشتغلنَ جلود الغنم نعالاً لهنَّ ولرجالهنَّ ولاولادهنَّ على اشكال ظريفة ويصنعنَ الخيام من الجلود المشمعة ومن قشور الاشجار ويغسلنَ ثياب العائلة جيدًا وينظفنَ امتعة المنازل وليست الملابس عندهم صعبة الشغل والنسج لانهم لا يلبسون الاَّ قطعة قماش رفيعة خفيفة محيطة بابدانهم غير مفصّلة ولا مخيطة فكلٌّ يلبسها ويلفّها على بدنهِ كما يقتضيهِ قانون الحياء والعفة وستر العورة بالنسبة الى الرجال والنساء كما تحكم بهِ العادة

واما الرجال فلا صنعة لهم الاَّ الزراعة ورعي الماشية وصنع الخشب والحديد آلاتٍ وادواتٍ للامور الضرورية واما صناعة البناء فلا يعبأون بها لانهم لا يبنون بيوتًا ابدًا اذ يقولون انهُ من

الغباوة ان يبني الانسان بيتًا يبقى في هذه الدنيا وهو لا يبقى واما الفنون والصنائع الاخرى التي يعتبرها اليونان واهل مصر وغيرهم فاهل الاندلس ينفرون منها ويقولون انها بدع ابتدعها اهل الفخر والهشاشة وانها تورث الكبر والارتخاء واذا وصف لهم انسان احوال الامم الذين لهم الابنية المتينة وعندهم المصنوعات الذهبية والاقمشة المزركشة والجواهر والاطياب والاطعمة اللذيذة والات الطرب يقولون ان هولاء مساكين ضعفاء العقول يفسدون بهذه اخلاقهم وما هي الا زوائد تورث الجبن والكسل والكبرياء فهل هم اقوى منا ابدانًا واتمّ صحةً وعافيةً واطول اعمارًا وهل هم خليّون مثلنا من النزاعة والشقاق لا بل لا بدّ من ان يوجد بينهم التباغض والتحاسد والشح والطمع والخوف من المهالك ولا يقدرون على اللذات البسيطة الممدوحة لانهم اسرى احتياجات كاذبة

فهذا يا تلماك كلام هولاء العقلاء الذين لم يتعلموا الحكمة الاّ بدراسة الطبيعة والنظر الى الموجودات فهم ينفرون من التخلق المدني والعمران والترفه والحق يقال ان تربيتهم عظيمة بالنسبة الى نوعها وبساطتها · يعيشون بالالفة مع بعضهم غير مقتسمين الاراضي اقتسام الاباعد بل هي بينهم مشاعة وكل

عائلة يحكمها رئيس الجمعية وهو ملك حقيقي الولاء وابو العائلة لهُ الحق ان يعاقب كل واحد من اولادهِ واحفادهِ متى اذنب ولكن العقوبات قلّما توجد عندهم لان اخلاقهم الحسنة واستقامتهم وامانتهم ونفورهم من الذنوب نقيهم من العيوب ولا يلزم لهم قضاة لان ذمتهم هي الحاكم العدل وكل ما بين ايديهم من اثمار وحبوب وماشية مشترك وكل عائلة من هولاء رحّالة تحلُّ في الموضع تاكل اثمار اشجارهِ وترعى الماشية ما فيهِ من الكلاءِ ثم تنتقل الى غيرهِ وهلمَّ جرًّا ولذا لا يوجد اسبابٌ داعية لمقاومة بعضهم بعضًا فهم كالاخوة لا يكدرهم شيءٌ . وترك الزينة والغناء والامور الدنيوية واللهو واللعب والمعاشرات الفاسدة المذمومة جعلهم دائمًا في حالة السلم والتودد والتألف وتمتعوا بالحرية التامة فلا تجد عندهم رتبًا الاَّ ما كان من جهة الشيوخ الفضلاء والشبان النبلاء والغش والتدليس وعدم الوفاء والتداعي والحروب وما اشبه ذلك لا يسمع لها ذكر عندهم ولا يخطر وجودها ببال احدٍ منهم . وارضهم لم يهرق عليها دم بشرٍ مطلقًا فاذا اخبرهم انسان عن حروبٍ او قتالٍ اوفتوحاتٍ او تخريب صدر من امم تراهم يتعجبون ويقولون أَليس الموت لاحقًا الجميع فلماذا يبادر الناس الى القتال ولا ينتظرون الموت على الفراش أَما الحياة قصيرة

وامد العمر قليل وهل يعيش الناس على الارض ليمزّق بعضهم بعضًا ويتعب كلّ صاحبهُ وابن جنسهِ ويعجبون من الفاتحين الذين ادخلوا ممالك كبيرة تحت طاعتهم قصد الطمع والفخار ويقولون ان الملك الذي يجعل فضل فخارهِ في حكمهِ اماً غير امة بلادهِ يكون جانحًا عن اصول العدل وقوانين الانصاف . وليس من الصواب ان يسوس اناسًا تنفر منهُ قلوبهم وتأباهُ انفسهم فان داب العاقل الحكيم ان يحكم امةً مطيعةً لهُ سخّرهُ الله لحكمها وتدبيرها وما عدا ذلك فهو جورٌ وطغيان

فبعد ان وصف آدم لتلماك بلاد الاندلس وبين الخمول والنباهة سالهُ تلماك هل يعصر اهلها النبيذ ويشربونهُ فقال آدم كلّا بل يقتصرون على اكلهِ كالفواكه الاخر قائلين ان النبيذ يفسد مزاج النوع البشري وانهُ من اخطر الاخطار ويقولون انهُ صنفٌ من السمّ يوقع في حدة الغضب المشبهة الجنون ويورث الانسان الحمق والبلادة ويجعل شاربهُ شبه البهائم ويذهب بالصحة ويجلب الذبول والاكتئاب ويدل على الاخلاق الذميمة ويرشد الى سلوك غير الطرق المستقيمة فالمرء يقدر ان يعيش صحيح البدن قويَّ البنية دون تعاطي نبيذٍ او شرابٍ

ثمَّ قال تلماك اريد ان اعرف اصول الزواج واحكامهُ وعوائد هذه الامّة فيهِ · فاجاب آدم بقولهِ ان الرجل منهم لا يتزوج الاّ بامراة واحدة وتبقى معهُ مدة حياتها وشرف الرجل وعِرضهُ عندهم ان لايخون زوجتهُ بالزنى في اجنبيةٍ اذ هو الهوان بخلاف غير بلدان حيث ان عِرض المرأة في البلاد الاخرى ان لا تخون زوجها في فراشهِ فعيب زناءِ الرجال عارٌ شديد عندهم كزنى النساءِ عند غيرهم فلا يوجد مثلهم في العفة والصيانة ونساؤهم حسان ظريفات الاشكال مع البساطة وقلة الزينة ربّات آدابٍ وحياءٍ فالزواج عند هولاءِ مشتمل على الهدوّ والراحة والتودد والتولُّد والبركة ومجرَّد عما يعيب ويتعب الزوجين فكانهما شخصٌ واحد في جسمين مختلفين فالرجل والمرأة يقتسمان اشغال المصالح المنزلية والرجل وحدهُ يتعهد المصالح الخارجية والمراة وحدها تتعهد المصالح الداخلية لمحلّها فكأن المراة خُلقت لتكون طبق مراد زوجها فبهذا تصير عندهُ مأمونةً صدوقة تاخذ بمجامع قلبهِ اكثر من استيلائها عليهِ بحسنها وجمالها فتعلّق المحبة بينهما بهذا الوصف تعلُّقٌ صحيح بربطهما معًا مدة حياتهما فينتج مما ذكر مع القناعة والاقتصاد في الاكل والشرب وصفاءِ الاخلاق البركةُ وطول الاجل بلا امراض ولا اسقام فقد

يجد الانسان فيها شيوخاً عمر الواحد منهم مئة سنة اومئة وعشرين ولم تزل فيهم القوة والبشاشة كحال الشبيبة

قال تلماك قد بقي عليَّ ان اعرف كيف يجتنبون الحرب مع غيرهم من الامم المجاورة . فقال آدم ان الطبيعة والحكمة الالهية فصلت بينهم وبين الامم الاخرى من احدى الجهات بالبحر المالح ومن الجهة الاخرى بالجبال الشامخة فبهذا كانت حدودهم حصينة ومملكتهم متينة وايضاً من جاورهم من الامم يعظمهم ويهابهم لكرم اخلاقهم وحسن سلوكهم وطيب سيرتهم وسريرتهم حتى انهُ متى وقع خصام اوشقاق فيما بين الامم المجاورة وتعذر الصلح والاتفاق يرضون بتحكيمهم لفصل القضية ويفوّضون لهم الراي في العقارات التي يقع التنازع والتداعي عليها لخلوهم من الطمع وحبهم العدل فهم امّةٌ عاقلة حكيمة تكره الجور والعدوان وتحبّ السلم والصلح وحسن المعاشرة وصنع المعروف مع الامم المجاورة فلذا لا يرغبون في تكديرهم ولا هم يكدرون غيرهم

ثمّ ختم آدم كلامهُ بذكر كيفية مخالطتهم مع اهل صور وتجارة الصوريين في بلادهم فقال ان هذه الامة تعجّبت حين رأت الغرباء حضروا بطريق البحار من بلاد بعيدة الى بلادهم فرخصوا لنا معشر الصوريين ان نبني مدينة في جزيرة قادش

وتلقونا بالترحيب والاكرام واقتسموا معنا ما عندهم من الخيرات مجّانًا وعرضوا علينا ان نتصرف في جميع ما يزيد عن حاجتهم من الاصواف وتركوا لنا معادنهم حيث لا نفع لها عندهم وكانوا يقولون لنا لا تحفرون الارض وتتعمقون في قرارها بل واظبوا على حرثها وغرسها للانتفاع بالثمر الذي هو خيرٌ من الفضة والذهب اذ لا نفع من هذين النقدين الا لشراء القوت

وقد حاولنا مرارًا ان نعلّمهم المِلاحة وناخذ عدة من فتيانهم الى صور لتحصيل هذا الفن فابوا ان يعيشوا اولادهم مثل عيشتنا ويحترفوا مثل حرفتنا قائلين انهم يصيرون مثلكم الى احتياج ما لا تدعو اليهِ الضرورة ويتركون ما تربوا عليهِ من كسب الفضائل والمكارم ليكسبوا هذه الصناعة التي هي اخبث الصنائع لما يترتب عليها من الاخطار .. فحصل لتليماك اوفر السرور وزاد فرحهُ اذ راى انهُ لم يزل على سطح الغبراء امّة على اصل الفطرة الاصلية حكيمة سعيدة في آنٍ واحدٍ وقال ما ابعد هذه الاخلاق من الاخلاق الفاسدة الموجودة عند الامم التي يُظنّ انها اعقل الناس فنحن معشر المتمدنين قد فسدت اخلاقنا وتغيّرت حتى لا يسهل علينا الاعتقاد بان هذه الفطرة الاصلية في حالة صحيحة فنرى ان اخلاق اولئك الناس كانها خرافات

مموهة مبهرجة ولا شك انهم يرون اخلاقنا كاضغاث احلام مزعجة

المقالة التاسعة

انهُ بينما كان ادم وتليماك يتحادثان ويتسامران وقد نسيا ان وقت السفر قد جاء وفات انتهزت الفرصةَ الزهرةُ ربّة الجمال وذات العشق والخداع وسعت في ابعاد السفينة عن جزيرة طياكي فبحث عنها الرئيس اخاماس فوجد انهُ قد ضلّ عن الطريق لان نبطون سلطان البحار مع كل مساعدتهِ احبابه الصوريين لم يرضَ بخلاص تليماك من اخطار البحار

وذلك ان الزهرة اشتدّ غضبها على هذا الشاب الذي هزم جيش العشق والغرام ولم يُصب من رشق الحسن والملاحة بنبال وسهام فتركت هياكلها ومعابدها في قبرص وصعدت على جبل اولمبيا حيث مجمع ارباب وربات التدبير متمثلين بين يدي المشتري صاحب الطالع الكبير وكان ناصبًا تخت السلطنة في ذلك الجبل الشامخ العظيم وعينهُ تنظر من اعلى عليّين الى اسفلَ سافلين وتنوّر البصائر بنورها الساطع ومنظرهُ

البهي اللامع ينشر الرونق والبهجة على جميع العالمين ويقوسي الهدو والسكون والمسرّات وإذا اراد الغضب وهاج واظهر عظمة وعزًّا ونفض شعر راسهِ اهتزّت السماء والارض والكواكب خشية نورهِ اللامع وكانت المظاهر العلوية والظواهر الروحانية والكواكب ذوات التدبير حولهُ وهو في موكب عزّهِ المنير

فتمثلت الزهرة بين يديهِ بادية الحسن والجمال ظاهرة البهاء والدلال كاشفة كلَّ ما حوتهُ من بديع الخصال لابسةً حلة الضياء ترفل فيها ازهى من حلة القمر ليلة البدر وهذه الحلة معقودة بالمنطقة التي تطلع بها انوار النجوم الزواهر البديعة وشعورها مرخيــة على جيدها مضفورة بعقُص الذهب فعجب الحاضرون من هذه الملاحة البديعة كانهم لم يروها قبل وكان نورها يكاد يخطف الأبصار حين الإبصار وكانت اشبه شيء بالصباح حين يهجم على الليل الطويل المدلهمّ فنظر بعضهم الى بعض نظر دهشة وحيرة وداروا التفاتهم الى طلعتها الزاهيــة المنيرة فلمحوا على صحن خدها الاسيل دمعًا وعلى وجهها دلائل السقم والالم

فدنت من سرير المشتري تميس ميس العروس او كانها طائر ظريف حام وحلق ونزل على بساط ملك بالعزّة محروس

فنظر اليها بالبشر والحنان وبشّ في وجهها وتبسم تبسّم المسرور بنظر الوجوه الحسان وقام لها قيام اجلال وقبلها علامة على القبول والاقبال وقال لها يا بنتاه ما سببُ هذه الآلام فان دمعك اورثَ قلبي الكلام فلا تخشي من بثّ ما عندك فانتِ تعلمين ما عندي من الرَأفة بكِ فاجابتهُ الزَهرة بتنهُّدٍ وتنفسِ الصُعداء وقالت لهُ يا قطب دائرَة التدبير وملك ملوك الطوالع لا يخفى على شريف علمك الواسع ودقيق فهمك الشاسع ان الحكمة دمّرت مدينة تروادة وكانت هذه المدينة تحت حمايتي وانتقمت من باريس الملك حيث كان محكمًا في المباهاة بين جمالي وجمالها ففضَّلني عليها في الجمال فازالت ملكهُ ولم تقتصر على ذلك بل صحبت ابن عولس الشهير الذي خرَّب تروادة وتزيت بشكل منطور وارشدت هذا الشاب في البرور والبحور فسارت بهِ الى جزيرة قبرص لخفض شاني الخطير واظهار الازدراء والاحتقار فانهُ أهان سلطاني ولم يرد ان يحرق البخور على محرابي وشنع على المواسم والاعياد التي تصنع في معابدي وهجر كل الهجران ملذاتي وعرائسي الحسان فاستغثت بنبطون فياض البحار للانتقام منهُ فاغرى عليهِ الرياح والامواج فكانت عليهِ بردًا وسلامًا فانهُ لما غرقت سفينتهُ عند جزيرة كاليبسه نجا

وانتصر على رسول الغرام الذي ارسلتهُ اليهِ ليغويهُ فما غوى
والحال انهُ في زمن الصبا وكالبيبسه وعرائسها بلغن الغاية في
الجمال ورسول العشق يعبث ويلعب بالعقول ومعهُ نار الغرام
وكنانتهُ مملوءَة من سهام العشق ونبالهِ ومع هذا كلهِ ما انتصرت
عليهِ بحال من الاحوال لان ملاعب الحكمة غلبت الجميع
واخرجتهُ من تلك الجزيرة وانا الان في حيرة عظيمة اذ غلبني
وكانت الحكمة لهُ نصيرة

فقال المشتري للزهرة قصد التسلية وجبر الخاطر والتعزية
نعم يا بنتاه ان الحكمة تذبّ عن قلب هذا الشاب اليوناني وتصدّ
عنهُ سهام رسول الغرام فلا يصاب باستيلاء العشق عليهِ وانها
تهبهُ لفخار عظيم ما استحقهُ قبلهُ شابٌ وقد اساء في معاملتهِ لمحرابك
بالاحتقار ولا يمكنني ان اسخرّهُ لطلعتك وانما حيث جعلت لحبكِ
في قلبي منزلة لابدَّ ان اجازيهُ باطالة الاسفار هائمًا في البرور
والبحار بعيدًا مدةً عن وطنهِ يقاسي الاهوال والاخطار وقد سبق
القضاء والقدر انهُ لا يهلك في سفر ولا تنقلب اخلاقهُ الحميدة
وانهُ يعصم من الدنايا فالزمي التسلية وعليك بالراحة وعلّلي
نفسكِ بانهُ داخل تحت حكمك مثلهُ كثير من الابطال

وكان يقول ذلك للزهرة وثغرهُ باسم وحولهُ الزهر البواسم

بالهيبة والوقار والزهرة واقفة لديهِ موقف الحياء والنور ينبعث من عينيهِ وحين اقبل عليها وقبّلها انتشر من فمهِ ذكيُّ الطيب ففاح شذاهُ بالمكان فانخبر بذلك قلبها وتأثرت تاثر ارتياح وبان على وجهها البشر فتبرقعت لستر حمرة الوجنات وقد اعجب الحضرات الكوكبية ما نطق بهِ المشتري وذهبت الزهرة حالاً الى مولى البحار وحكت لهُ ما قالهُ البرجيس . فقال لها نبطون انا اعلم قبل ذلك ما سبق بهِ القضاء وحكم بهِ الحكيم العليم في حق تلميذك من انهُ محفوظ بعناية المولى ولكن لا اقل من انعابهِ واعاقتهِ بالاسفار حتى لا يصل الى جزيرة طياكي الا بعد الجهد الجهيد والامد البعيد . ولا يمكن ان انتقم من السفينة الصورية التي هو راكب فيها بالغرق لاني احبُّ الصوريين فانهم امة البحر يقربون القربان وينذرون النذور وانما أُضلُّ الدليل عن السبيل فلا يهتدي الى جزيرة طياكي

فرضيت الزهرة بهذا الوعد وتبسمت تبسم مغلوب وفي قلبها نار الغضا ووجهت عربتها الى جزيرة قبرص طائرة مع الطيور ونزلت على ضاليا حيث تنتظرها انواع الحبور فكلٌّ قرَّ بها عيناً ورقص حولها على بساط الازهار الطيبة الروائح وقضى للخلاعة ديناً

. ثمَّ ان نبطون ارسل من طرفهِ هاتفًا يشبه طيف المنام اللطيف الزائر وقت النعاس وفرَّق بين الهاتف وطيف الخيال ان الهاتف يحرس الحواس في اليقظة ويهيج البلبال ويشغل البال وحول هذا الهاتف الخبيث وساوس لا يحصى لها عددٌ لها اجنحة فحامت من حولهِ وطارت معهُ حتى وصلت الى الربّان اخاماس والتمت حولهُ مادة سائلة لطيفة سحرت عينيهِ وكان يتأمل ويهتدي بضياء القمر ليتعرَّف شاطئ جزيرة طياكي فظنَّ انهُ استكشف على بعض صخورها وقد زالت الصعوبة ولكن كان ما ابصرهُ غير المطلوب . فانهُ زاغ بصرهُ وبطل عملهُ فرأى سماء غير السماء وارضًا غير الارض واختلفت معهُ مواقع النجوم وكانها تغيرت افلاكها ورجعت القهقرى وتغيرت المطالع وكأنَّ الجبال تميد وتميل وحصل على الارض التغيير والتبديل وظهر نصب عينيهِ جزيرة جديدة مثل جزيرة طياكي ليفرح بها تلك الليلة مع بعده عن الحقيقة ولا زال كلما دنا من صورة هذه الجزيرة بالخيال لا تزداد الاشططًا ولا يعلم السبب وكان يظنّ انهُ يسمع لغطًا في هذا الساحل وهو محض تخيلات ووساوس واستعد ان يرسي امام جزيرة صغيرة قرب الكبيرة كما كان افهمهُ آدم لاخفاء تليماك عن مبغضيهِ وكلما تهيَّأ ليرسي

يرى ان الارض لم تزل بعيدة وان الجبال في عينيهِ كالغيوم فتعجب وتحير حتى ظنَّ انهُ في المنام وحينئذٍ اهاج نبطون الرياح الشرقية فدفعت السفينة الى ساحل ايطاليا وكان الفجر قد لاح وبدا نور الصباح فصاح الدليل هنيَّ نفسك يا تلماك قد كدنا نمسُّ الجزيرة ولم يبقَ لنا الاَّ مقدار ساعة حتى ترى طلعة الوالدة وعسى ان ترى الوالد ايضًا على سرير الملك

فلما سمع تلماك تنبَّه من نومهِ ونهض قائمًا وصعد على دفة المركب وعانق الدليل فرحًا ثمَّ فتح بصرهُ لينظر الوطن و يتحقق من السواحل المجاورة فصرخ اذ لم يعرف شيئًا من العلامات والأسفاه اين نحن من جزيرة طياكي وشتان بين هذه البلاد وبينها فقد اخطأتَ المرمى ايها الدليل فقال اخاماس لا اخطئ في هذه السواحل التي طالما دخلتها واعرفها حق المعرفة ورسم ميناها في فكري كرسم مينا صور انظر يا تلماك هذا الجبل البارز وأما تسمع تلاطم الامواج على تلك الصخور والشعاب واما تشاهد هيكل الحكمة الشامخ فانظر تلك قلعة ابيك ودارهُ المحروسة فما اخطأ دليل عقلي بل اصاب فقال لهُ تلماك هذا الخطأ عينهُ فانا لا ارى الاَّ ساحلاً سهلاً لا جبال فيهِ ولا صخور وفيهِ بعض الدواب وارى مدينة ليست عندنا فيا و يلاه قد لعبت بنا ايدي

النوائب

فبينما تلماك يلهج في هذا الكلام اذ اهتدى بصر الدليل وادرك الحقيقة ورأى البرَّ على اصلهِ ففهم خطأهُ وقال يا تلماك لاشكَّ ان الهواتف سحرت عينيَّ فضللت عن السبيل وتصورت اني رايت طياكي والان ذهب الوهم واتت الحقيقة وهذه المدينة هي مدينة سلانتة التي جددها ايدومينوس في سواحل ايطاليا بعد هربهِ من جزيرة كريد

وبينما كان اخاماس يتامل في هذه المدينة وتلماك يبكي ويشكو مصابهُ اذ اوصلت الريح السفينة الى الشاطئ فدخلت المورِدة ووقفت في المرفإِ وأَمن ركابها

وكان منطور لا يجهل انتقام نبطون ولا مكر الزهرة اذ كان مدة السير يتبسم من ضلال الدليل فلما دخلوا الموردة قال لتلماك ان ربَّ الارباب ابتلاك ليبلُوك لا ليهلكك وليفتح لك باب المجد والفخار فاجعل فعال اسكندر ذي القرنين نصب عينيك واذكر صنيع والدك وافعالهُ التي حيرت عقول الابطال فالانسان يُعرَف في الشدائد بالصبر والشجاعة وبهما يتغلب على الدهر . فانا لا اخشى عليك من نوائب البحار كما كنت اخشى عليك من تلطف كاليبسه التي حجزتك في جزيرتها وقد كفاك

المولى شرّها وابعدك عن الذل والعار فلأيّ شيءٍ نتاخر عن
دخول هذه البلاد اللطيفة فادخل بنا عند هولاء الناس تجد
امة شريفة فاننا قادمون على اليونان والاغارقة وايدومينوس
الذي نكبهُ الدهر مثلنا لا بدَّ ان يرقَّ لحالنا ويكرم مثوانا فدخلوا
حالاً ساحل سلانتة وجالوا دون مانع لان الصوريين مسالمون
جميع امم الدنيا فشرع تلياك يتامل في هذه المدينة الحديثة
ويتعجب من بنائها وجمالها وحينئذٍ اقبل على تلياك ومنطور
اعينان الكريدلية اقبال ترحيب واكرام وسارعوا اخبروا الملك
ان القادم ابن عولس فقال هو ابن اعزّ الاحباب وامر باحضاره
فلما حضر لديهِ وتمثل بين يديهِ طلب منهُ الضيافة وقال انا
تلياك ابن عولس . فقال لهُ ايدومينوس لو لم تقل لي من انت
ما فاتتني معرفتك فكانك ابوك لان منظرك منظرهُ وصفاتك
صفاتهُ فلا شكَّ انك ابن عولس وانت تصير ايضًا ابني فيا ولدي
ما الذي اوصلك الى هنا اظنّ اتيت للبحث عن ابيك فوا اسفاه
ليس عندي منهُ خبرٌ يقين فالدهر نكبني ونكبهُ فاشقاهُ بعدم
العود الى الوطن واشقاني برؤية وطني مغضوبًا عليَّ اشد الغضب
فاخذت منهُ الفرار والهرب . وكان ايدومينوس يحدّث تلياك
ويتأمل في منطور فكانهُ سبق لهُ معرفة فيهِ فنظر الجسم وضاع

منهُ الاسم

فاجابهُ تلماك باكيًا وقال اقبل عذري ايها الملك الجليل فاني كئيب من اظهاري امامك الحزن والكآبة وكان من الواجب عليَّ ان اقابل ترحيبك بالفرح والسرور شكرًا لصنيعك واكرامك وقد فهمت انك تتأسف على والدي وعلى عدم امكانهِ العود الى الوطن فقد بحثت عنهُ مدة طويلة في البحار ولكن ارباب التدبير غضبوا ولم يأذنوا لي ان اراهُ في برٍّ او بحرٍ ولا ادري هل غرق او هو في قيد الحياة ويعود الى ظباكي والوالدة قد كثر طلّابها وتريد الخلاص منهم وقد اسئمها الانتظار وكان ظني ان اجدك في جزيرة كريد واستفسر منك عنهُ فعرفت ما حصل لك وما كان في فكري ان اقرب من ايطاليا ابدًا ولكن يد الدهر عبثت بي والقتني بعد طول الاسفار في البلاد البعيدة على ساحلك السعيد واحسنت كل الاحسان فقدومي الى هنا اعدهُ نعمةً من المولى ولو نأيت عن وطني فانني تعرَّفت باكرم ملوك الزمان

فلما سمع ايدومينوس مقال تلماك قام وقبّلهُ تقبيل أَبٍ رحيم وسار بهِ الى قصرهِ مكرَّمًا وقال لهُ من هذا الشيخ الذي يصحبك فلعلي رايتهُ سابقًا · فقال لهُ هذا منطور صاحب والدي اقامهُ

عليَّ وصيًا وكفيلاً منذ الصغر وقد صحبني ولا اقدر ان اصف لك ما صنعهُ معي من المعروف فسار ايدومينوس ودنا من منطور ومدَّ لهُ يدهُ للسلام وقال لهُ قد تقابلنا سابقًا واجتمعنا ثمَّ قال اتذكر يا منطور سفرك الى كريد وما بذلتهُ لي من النصائح الحسنة والوصايا المستحسنة ولكن كنت اذ ذاك شابًا اميل الى اللهو واللعب لحدَّة الشبيبة فربتني فتكات الزمان وعلمتني التجارب صحة قولك فيا ليتني وثقت بهِ واجريت العمل عليهِ فيامنطور اني ارى عجبًا وهو انك تكاد تكون على حالتك الاولى بلا تغيير ولا تاثر وانما تجدد فيك يسير شيب

فقال لهُ منطور ايها الملك الخطير لو كنت اعتدت على النفاق والملق لكنت اقول لك مثل ذلك على سبيل المدح ولكن الاولى لي في حق سيادتك ان لا اخدش وجه الصدق ولو لم يحجب ذاتك الملوكية على اني الح من خلال كلامك انك تأبى النفاق والتمويه فلا مانع من ان ابثَّ لك الصدق لان فيهِ الخير فاقول لك انك تغيرت كثيرًا عن السابق في السمات والسجايا وكدت لا اعرفك لتحوُّل حالك وسبب ذلك عندي ظاهر وهو انك قاسيت كثيرًا من الاهوال ولكن قد اكتسبت كثيرًا حيث احرزت بالتجارب الحكمة التي تكون لمثلك عضدًا

وساعداً فيتعزّى الانسان بها عن تكمُّش الوجه وذهاب النضرة بترعرع القلب وتغذّيهِ بالصلاح والاستقامة ومن المعلوم ان الملوك اكثر تغيراً من غيرهم من الناس فانهم اذا عاداهم الدهر توالت عليهم الوساوس وتواترت الافكار وتداولت اشغال البدن في الوقائع والنوازل فيهجم عليهم جيش الشيخوخة والهرم قبل الاوان ويقدم جند المشيب يهدُّ قواهم وكذلك في حالة الرخاء ومسالمة الدهر فانهم ينكبُّون على الملاهي والشهوات وهذه امضى من فعل السنان في هلاك الانسان فلا شيء اتلف للصحة واقرب للفساد من اللذات التي لا يحسن صاحبها تعديلها بالرشد فمن هذا تجد ان الملوك في حالتي الحرب والسلم يكون لهم تعبٌ وراحة بجلبان الهرم قبل وقتهِ واما العيشة الراضية المبنية على القناعة والاعتدال وعدم التأنق في التناول والخلو من الهموم والاهوال مع قمع النفس عن الهوى وتدريب البدن على الاشغال فانها تحفظ في اعضاء الحكيم ماء الشباب وبغير ذلك يكون كالطائر الضعيف الذي حام ووقع فيطير بجناح الزمان ويرحل

فانشرح خاطر ايدومينوس بسماع كلام منطور وكان يريد ان يسمع ايضاً من حكمهِ لولا ان حضر بعض الناس وافادهُ ان

قد جاء وقت تقريب القربان في هيكل المشتري فسار وتبعهُ كلٌ من منطور وتلماك ومعهم جمٌ غفيرٌ من الناس حضروا للتفرُّج على هذين الشخصين كانهما شيءٌ عجيب وكان بعضهم يقول لبعض ان هذين الشخصين ليسا كبقية البشر في الخلقة والاخلاق فان الشاب منهما حاوٍ مع اللطافة والملاحة حسن الخصال البالغة في زمن الشبيبة درجة الكمال وليس جمالهُ مشوبًا بتخنث ولا تكسر ومع ان غصن شبابهِ رطيب يظهر عليهِ انهُ قويٌ لهُ صمول على الاشغال وجلادة على المشاق والاخر مع كبر سنهِ تراهُ باقيًا على عزمهِ وقوتهِ فمن نظرهُ اولاً على بعد ظنهُ كرجال العادة ولكن متى تاملهُ عن قرب وجد بهِ دلائل الحكمة والصلاح وعلو الهمة

فوصلوا الى الهيكل وكان قد زينهُ ايدومينوس بشعائر المشتري تزيينًا عظيمًا واقام فيهِ صفيٌ اعمدةٍ من رخام اليشْب والبسها طيالسة مصنوعة من الفضة وجعل سائر الهيكل الواح رخام منقوشة ومرسومًا عليها صورة المشتري اذ تشكل بشكل ثورٍ وسلب اوروبا بنت اجنور ملك صور وسافر بها الى كريد وصور ولادة مينوس وشبيبتهِ وكيفية اعطائهِ حال شيخوختهِ الاحكام والشرائع التي رتبها وصور وقائع محاصرة تروادة وصورة

اشتهار ايدومينوس فيها وانهُ امير عظيم وقائد من كبار القوَّاد الذين اشتهروا في الحروب واكتسبوا المفاخر . ولما راى تليماك صور الوقائع وتماثيل الابطال بجانبها بحث عن وقائع ابيهِ فرآهُ مصورًا وبيدهِ خيول رهسوس ملك روم ايلي حين قتله ديوميدس لسلب هذه الخيول ومصوَّرًا ايضًا يتنازع مع البطل إجاش في شأن وراثة سلاح اخيلس احد الابطال بحضور جميع رؤساء اليونان ومصوَّرًا وهو خارج من الفرس المصنوعة من النحاس التي هي نحس على التروادين .

فعرفهُ من رسم هذه الوقائع بجانبهِ لانهُ كان يسمع بوقوعها منهُ من الناس فجرت دموعهُ وتغيَّر لونهُ فلمحهُ ايدومينوس وقال لهُ لا تخجل اذا ظهر عليك التاثير بفخار ابيك ونكباتهِ . ثمَّ ان الاهالي تجمعوا من رفيع ووضيع تحت الافاريز المعقودة على صفي الاعمدة التي حول الهيكل وكان في الهيكل فرقتان احداهما صبيان صباح والاخرى بنات ابكار ملاح وكلٌ يغني رقيق الاشعار بمدح طلعة المشتري وكانت ملابس هاتين الفرقتين الابيض الفاقع وعلى رؤوسهم تيجان الورد الندية الذكية الرائحة ومقدار قربان ايدومينوس كان مئة ثور بقر ابتع والقصد بذلك استعانته بهِ في الحرب التي هو شارع فيها

ولما شرعوا في الذبح والتقريب حضر الكاهن وهو شيخٌ كبير يدعى اسطفان لابسًا على راسهِ طرازًا من الديباج وعلى جسدهِ حلّة ارجوانيّة وصار كلما ذبحت ذُبيحة ينظر في احشائها ويتعرّف الحوادث وياخذ الفأل ليخبر بالمغيبات ثمَّ صعد على منبرهِ ومال نحونا وقال من هما الشخصان اللذان ارسلهما المولى الينا اذ لولا حضورهما لكانت الحرب الحاصلة بيننا وبين الاعداء مشومة علينا فاني ارى شابًا من صناديد الرجال جاءت بهِ الحكمة الى هنا ولا اقدر ان اقول في حقهِ من المغيبات اوضح من هذا المقال لاني لست بمأذونٍ اكثر من ذلك حفظًا للسرّ وما انا الاَّ بشر مثلكم

فقال هذا وتغيّرت هيئتهُ واحمرَّت بشرتهُ ونفرت عيناهُ وقفَّ شعرهُ وارغى وازبد وزعق وتمدَّد وتجهوَر صوتهُ وارتعش ودهش وغاب وضاق نفَسهُ وهاج وماج وصاح قائلاً بعد ان افاق ما اسعدك يا ايدومينوس قد تبدّل الخلاف بالوفاق وانقشع سحاب البلاء عن بلادك وضرب جيش الصلح خيامهُ عندك وانتقلت الحرب العظيمة من بلادك الى بلاد غيرك لفوزك واسعادك وانت يا تلماك يجري الخير على يديك وتفوق فعالك فعال والدك وترغم انف العدوّ المتكبر من اخصامك وتفتح لك

الحصون وابواب النحاس ويقع اهلها تحت اقدامك فيا ايها المدبرة ان اباهُ جرى منهُ ولهُ ما جرى وانت ايها الشاب لا بدَّ ان ترى ما ترى فقال هذه الكلمات وتلجلج وقطع كلامهُ ورمز وسكت سكوتاً مدهشاً وجعل الكلام محتملاً

فارتعب الجمع من هذا المقال وارتعدت مفاصل ايدومينوس ولم يستطع ان يسأ لهُ اتمام الخطبة وتلياك تحيَّر وبُهت وكاد لا يفهم ما سمعهُ الاَّ انهُ تيمَّن بما صدر من الكاهن واما منطور فلم يستغرب شيئاً ولا خفي عليهِ باطن الامر فقال لايدومينوس افهمت ما خصصت لك الارادة الالهية وسبق بهِ القضاء وهو ان الذين يقصدونك للحرب والنزال يكون لك عليهم النصر والظفر ولكن يكون الفضل في ذلك للشاب ابن الحبيب فلا ياخذك منهُ حسدٌ ولا غيرة بل اغتنم فرصة مدة وجودهِ عندك ولا زال تلياك يتعجب وينظر بلا طائل ولسان الخطيب أُمسك فقال تلياك لمنطور كلُّ الفخر الذي بشرتُ بهِ لم يجدني نفعاً وأُشكل عليَّ الامر فلا ادري معنى الكلمات الاخيرة من الكاهن وهي قولهُ لا بدَّ ان ترى وسكت فيا ترى هل ارى والدي او ارى الوطن فقط فيا ليتهُ صرَّح وبيَّن حتى لا ابقى مرتاباً

فقال لهُ منطور احترم ما يعدهُ المولى لذاتهِ من الاسرار فلا

تبحث عن كشف السرّ المكتوم لان الحكمة الالهيّة من لطفها
اقتضت ان تكتم عن ابن آدم ما حكم بهِ عليهِ المولى منذ الازل
ولا يخفى ما في ذلك من اللطف وانمّا لا بدَّ للانسان من التبصر
في عواقب الامور · والتامل بنتائج القضايا التي هي في حيز الخفاء
وهذا فيهِ من الفوائد ما لا يخفى فايّة فائدة في البحث عن الامور
الغامضة عنّا التي لا تدخل في اختيارنا وارادتنا وانما هي ارادة
المولى يفعلها بنا حسب ارادتهِ · فصدق تليماك على ذلك واعجبهُ
وكذلك ايدومينوس افاق واخذ يثني على مولاه الذي سخَّر لهُ
الشاب البطل والشيخ الاجلّ للنصر على الاعداء وبعد ان
خُتِمَتْ وليمة القربان بالطعام والشراب اخذ ايدومينوس تليماك
ومنطور وفتح معهما الكلام فقال لا يخفى عليكما ايها الحبيبان امر
مصيبتي التي احرمتني تخت الملك والبقاء في جزيرة كريد بعد
غزوة تروادة فلا اذكرها لكما حيث بلغتكما ومن حسن حظي ان
هذه المصيبة حصل لي بها التجربة والابتلاء ليحسن حالي لاني
كنت لا احسن الحكم والتدبير بعد تلك الغزوة فقد جزت
البحر بصفة آبقٍ مخلّفًا انتقام المولى والاهالي لان ما سبق لي من
المجد والرفعة هو الذي سبب سقوطي واتاح لي نهاية المذلّة
والهوان وهربت بما املكهُ الى هذا الساحل بعدد قليل من

العسكر والاصحاب الذين حضروا معي طوعًا ورضوا بصحبتي على هذه الحالة واقتسموا معي مصابي فوجدته خاليًا من الناس فاتخذته وطنًا وقطعت آمالي من رؤية جزيرتي السعيدة وقلت بلسان حالي ان هذا التبديل لمن العجب العجاب وهل انا الاّ عبرة يعتبرني الملوك ذوو الالباب فكان من الواجب ان اظهر نفسي لجميع ارباب الملك والسلطة ليتعظوا بي ويتذكروا عواقب المخمخة ويعلموا ان كلّ شيء صائرٌ للزوال وان دوام الحال من المحال حتى لا يجول بخاطرهم ان لا خوف عليهم لانهم ارفع درجة من الناس والواقع ان علوّهم هو السبب في كونهم عرضةً للنزول لاني كنت مهابًا في بدء امري يخشاني العدوّ ويحبني الاهل والرعايا وكنت ذا امر ونهي وشوكة وصولة وسرى صيتي في البلاد القاصية والدانية وقد حكمت جزيرة خصبة من اجمل المتنزهات واخذت خراج مائة مدينة وكان اهلها يعتقدون اني من نسل البرجيس ويكرمونني لاني حفيد مينوس الحكيم فكان السعد يكاد ان يكمل عندي ولم يبقَ عليَّ لكمال سعدي الاّ ان اسلك طريق الرفق واللين وسبيل التواضع والعدل ولكن داخلني الكبر والتعاظم وتمكن مني كلام المتملقين وغرّني مدح المداهنين فسقطت من سرير الملك الى اسفل سافلين فلا

شكٌ ان الملوك الذين يفعلون فعلي يسقطون سقوطي ففي أثناء النهار كنت احاول ان اظهر البشر والفرح وحسن الامل لاقوي جهد من اتبعني واقول لهم هيَّا بنا نبنِ مدينةً جديدة نظير الام الذين حولنا فان فلانتة اسَّس ترنتة بجوارنا وشيَّد مبانيها مع من صاحبهُ من المورالية وفيلوقطيطس اسَّس مملكة في هذا الساحل الذي نحن فيهِ وسمَّى مدينتها بطيليا وبلاد متابو بنطه اهلها اجانب نزلوا و توطَّنوا هذا الساحل فلا يليق بنا ان نكون دون هولآء الناس بلا مملكة خصوصيَّة فان الدهر غدر بنا كما غدر بهم فلنقفُ اثرهم ونتأسَّ بهم في هذا المشروع

وهكذا كنت اتلطف معهم واهوّن الامر عليهم واكتم ما في احشاءي من نار الاحزان الى ان يمضي النهار ويأتي الليل فاخلو بنفسي للبكاء على حالي وعند الصباح اعود الى اشغالي بهمَّةٍ جديدة وهذا سبب شيخوختي التي تراها الان يامنطور ٠٠ فبعد ان فرغ ايدومينوس من كلامهِ التمس من تليماك ومنطور الاعانة في الحرب التي اشهرها على اعدائهِ وقال لهما انا ارسلكما الى طياكي بعد نهاية الحرب والآن ابعث بالجواسيس برًّا وبحرًا لاتعرَّف اخبار عولس وفي ايّ محلّ اجد اخلِّصهُ والامل أن يكون باقيًا في قيد الحياة وأنت يا تليماك سارسلك الى طياكي في احسن

السفن التي تعمرت في كريد من الخشب المقطوع من شجر جبل ابدا الذي تولد بهِ البرجيس فهو خشب مقدَّس محترم لا تكسّره الامواج ولا تؤثر فيهِ الرياح والشعاب ولا يسطتيع البحر عند شدة هيجانهِ ان يسلط عليهِ امواجهُ فتحقق الفرج وانك تعود سالمًا الى طياكي لان المسافة الى هناك قصيرة وسرّح الآن سفينة الصوريين التي اوصلتك الى هنا واشتغل بكسب الفخار بتجديد مملكة ايدومينوس فاذا فعلت هذا تستحق ان يحكم لك بانك اهل لان تخلف والدك واذا كان قد سبق القضاء بموتهِ وانتهى اجلهُ فانت تكون نعم الملك والخليفة

فحينما سمع تلماك هذه الكلمات قال لايدومينوس لنخلِّ الان سبيل السفينة الصورية وانت احضر السلاح لحرب العدوّ فقد صار اعداؤك اعداءنا ونحن نطلب من المولى الذي نصرنا على الاعداء في جزيرة صقلية حين طلب اعانتنا اقسطوس التروادي عدوّ اليونان ان ينصرنا على عدونا حيث اننا ننتصر الى احد ابطال اليونان الكرام الذين دمّروا مدينة تروادة وما سمعناهُ من الكهانة يوجب علينا المبادرة الى القتال

المقالة العاشرة

فلمّا راى منطور ان تليماك عنده نخوة للحرب سرَّ بهِ وشكرهُ ثمَّ قال لهُ لا يخفى عليك ان اباك ما اكتسب الشهرة بين اليونان الاَّ بالحكمة والعقل ولين الجانب فاخيلوس الجبار قاتل هقطور والبطل الباسل الذي كان لا يهزَّم في الحرب ولا تؤثّر فيهِ السهام والنصال مات تحت اسوار مدينة تروادة ولم يبلغ منها المراد خلافًا لابيك فانهُ بالحكمة والتدبير دكَّ اسوارها واستولى عليها بعد ان اعجزت احزاب اليونان بمحاصرتها عشرة اعوام فمظهر الحكمة والتدبير يعلو مظهر الحرب والقهر وكذلك الشجاعة المصحوبة بالحزم والتبصر تغلب الشجاعة الغضبية التي لا يتبصر صاحبها في العواقب فاذا كان الامر كذلك فلنشرع في البحث عن معرفة مقتضيات هذه الحرب قبل الدخول فيها ثمَّ التفت الى ايدومينوس وقال لهُ عليك ان تبين لنا ثلثة اشياء . هل حربك جائزة او ممنوعة ومن هم اعداؤك وما هي قوتك العسكرية فاجاب ايدومينوس انهُ حينما دخلنا هذا الساحل وجدنا فيهِ قومًا متوحشين نقالين يعيشون من صيدهم ومن فاكهة الاشجار المثمرة بيد القدرة فلما اقبلنا عليهم بالسفن والاسلحة الحربية

خافوا وفرّوا الى الجبال وتركوا لنا السهول ولكن لما كان
عسكرنا مولعًا في صيد الغزلان من الاماكن التي تخصهم التقى
بهولاء القوم فقال شيوخهم قد اخلينا لكم ساحلي البحر شرقًا
وغربًا وابقينا لنا الجبال المتوعرة املاً ان تسلكوا معنا طريق
العدل والانصاف ونتركونا فيها على الصلح والحرية وحفظ العهود
فما بالكم تسطون علينا فنحن قادرون الان على اهلاككم هنا دون
ان يدري بكم احدٌ من اصحابكم ولكن لا نريد ان نلطّخ ايدينا
بدم احد من اخواننا من الناس الذين هم خلق الله مثلنا فاذهبوا
سالمين ولا تنسوا ان لنا عليكم الفضل حيث ابقيناكم بما عندنا
من كرم النفس والعفو عند القدرة وخذوا هذه عبرة من هذه
الامّة التي تحسبونها متوحشة فحضر الصيّادون وحكوا لنا ما جرى
لهم مع هوءلا فهاج عسكرنا واغتاظ من انهم يكونون يونانيين
ويبقون مدى حياتهم تحت منّة اقوام متوحشين فذهب الى
الى الصيد ثانيةً عددٌ اكثر من الاول مدججًا بالسلاح وصدم
هوءلاء القوم واجبرهم على الفرار والالتجاء الى الوعور حتى تخلّصوا
وبعد مدة ارسلوا من عقلاء شيوخهم اثنين للسعي في
الصلح بيننا وبينهم ومعهما هديّة مؤلفة من جلود الوحوش التي
يصطادونها ومن فاكهة بلادهم الحسنة الطيّبة المآكل فقالوا ايها

الملك انظر تجد باحدى يدينا سيفًا مشهورًا و بالاخرى غصنًا من
شجر الزيتون وكان ذلك بايديها حين الخطاب فهذا للصلح
وذاك للحرب فاختر لنفسك ما يحلو واما نحن فقد اخترنا الصلح
بدليل اختيارنا الجبال منازل وتخلينا عن السهول الخصبة المملوءة
بالاشجار المثمرة الاثمار اللذيذة الناضجة بحرارة الشمس خلافًا للجبال الشامخة التي لا تفارقها الامطار الجليدية والثلوج ونفرنا من إثارة
الحروب التي هي عبارة عن خشونة مزينة بالفاظٍ ظريفة تُلذّ
بها المسامع وتُرغّبُ الطامع بعلو الشان والفخار اللذين يذهبان
كالبرق ولا ينتج منها الا افساد الاقاليم وسفك الدماء فاذا كنت
ايها الملك مولعًا بفخار الحرب وراضيًا بهِ فنحن نأبى ان نحسدك
عليهِ ونتمناهُ بل نرثي لحالك وقد يرثي الرؤوف لعدوه. أَوَ
ليس ان بني آدم جميعنا اخوان واذا كانت العلوم والآداب
التي يدرسها ويتعلمها اليونان لا ترشدهم الاَّ الى سلوك سبل
الجور والاعتداء فنحن نحمد الله على حرماننا منها ونفتخر بالخشونة
والجهل المصحوبين بالعدل والانسانيَّة مع ما يضاف اليهما من
الامانة والزهد واحتقار التمدن الباطل وتقنع بالصحة والعافية
والحرية ونتمدح بالاتصاف بمكارم الاخلاق ومخافة المولى والميل
الغريزي الى الاهل والاصدقاء والوفاء مع جميع الناس والعفوِ

عند القدرة والصبر وقت الشدة والشجاعة حين الاقتضاء ونَنفر من التملق والبهتان فهذه ايها الملك اوصافنا فان احببت ان تسالمنا وتعاهدنا سالمناك وعاهدناك والاَّ فاننا محاربوك وعلى الباغي تدور الدوائرُ

وفي اثناء هذا الكلام كنت اتفرَّس فيهما فوجدتهما طويلي اللحية حادَّي البصر حسني الهيئة المقرونة بالحياء والحزم نطقهما الجدّ لا يتلعثمان في الكلام مع ما فيهِ من البساطة والانسجام ولباسهما الجلود الملفوفة على اجسادهما تنظر منهما قوة الساعد والذراع وبروز الاعصاب كانهما من مصارعي اليونان فاجبت هذين الرسولين الى الصلح ورتبت بالتحادي معهما شروطًا واشهدنا الله على ذلك ومنحتهما هدايا وسرَّحتهما ولكن الدهر المولع بالغدر لا زال يقتفي اثري ويرشقني بنبالِهِ وذلك ان الذين كانوا ذهبوا من عسكرنا الى الصيد لم يبلغهم خبر الصلح الذي عقدناهُ مع هذين الرسولين فالتقوا بهما على الطريق ومعهما البعض من اصحابهما فهجموا عليهم وقتلوا منهم عدة رجال واقتفوا اثر الباقين حتى ادخلوهم الوعور فاحتموا فيها وظنوا ان لا عهد لنا ولا ذمام وهذا هو سبب اشهار الحرب

ولتقوية شوكتهم استعانوا علينا بامَّة اللوكريَّة وامَّة الابوليَّة

واللوكانية والبروطية وامم القروطونة والنريطة والبرندة والمسانية فامة اللوكرية تاتي الحرب بعربات وهي مسلحة بالمناشير القاطعة وامة الابولية كل واحدٍ من رجالها لابس جلد وحش من الوحوش الكاسرة قتلهُ بيدهِ وسلاحهم الدبابيس المسمرة وهم طوال القامة غلاظ الاجسام شداد القوى منظرهم يرعب القلوب واللوكانيون اصلهم من اليونان حضروا الى هنا وبقوا محافظين على جنسيتهم ولكنهم ادخلوا على نظام عسكرهم غلاظة الاقوام الخشنة والاعتياد على العيشة الصعبة فلذا كانت اعمالهم مقرونة بالظفر لا يغلبون ولا ينهزمون يلبسون الجلود ويحملون درقًا خفيفًا من الليف وسيوفهم طويله مصقولة والبروطيون سريعوا الجري يعدون عدوَ الظليم فيدوسون الاعشاب الرخصة والرمال ولا تتاثر بوضع اقدامهم عليها فينقضون على حين غفلة على الاعداء ويرتدُّون اسرع من لمح البصر وامة القروطونة مشهورة برمي النبال وارسال النصال فارمى رجال اليونان لا يمكنهُ ان يسدّد قوسهُ او يفوّق نبلهُ ويريش سهمهُ مثل احد هولاء فلو حضر واحد من هذه الامّة ميادين اليونان لحاز قصب السبق ونبالهم مسقية من عصير اعشاب سمّية تنبت على شاطئ نهر اويرنه وسمها قاتل واما النريطة والبرندة والمسابية فلا

بنصيب لهم من الشجاعة وانما هم اقوياء الاجسام بلا فنّ ولا تعليم ومتى قربوا من القوم يصيحون صيحات مزعجة كصيحات الاسود ويرمون بالمقاليع فيملأ ون الجوَّ من الحجارة المرمية بالطول والعرض فتسقط على الارض كانها حوادث جوّية نازلة من السماء فهذا يامنطور ما سالت عنهُ فقد عرفت الان سبب الحرب وبيان الاعداء

فبعد نهاية هذا الكلام ظهر من تليماك انهُ في قلق جسيم واشتياق عظيم لايقاد نار الحرب في الحال فمنعهُ منطور وخاطب ايدومينوس قائلاً لماذا الامّة اللوكانية التي اصلها من اليونان انضمت الى الامم الخشنة لتحاربك ولماذا الامم اليونانية المتوطنة في هذه السواحل لم تشهر الحرب مثلك على هولاء الاقوام بل عاشوا معًا على السلم والراحة وكيف تقول يا ايدومينوس ان صروف الدهر لا زالت تقتفي اثرك بالضرر . فبكل ما قاسيتهُ من المصائب لم يتم تربيتك وتعليمك حتى تتبع سنن الخير ولم يفدك ان تجتنب الحرب وتكون منها على حذر فمن كلامك واقرارك على نفسك بحسن اخلاص وطيبة نفس يظهر انهُ كان يمكنك ان تعيش معهم على الصلح والسلامة فكان يمكنك ان تعطي رهونًا من رجالك وتاخذ مثلها من رجالهم للوثوق وترسل

معهما من رؤساء جندك من يبلغهما المأمن ويعيدهما الى وطنهما سالمين فبهذا كان يركن العدو اليك وكان يسهل عليك ايضاً بعد ذلك اصلاح ذات البنين بافادتهم الحقيقية وبيان الواقع وان الذين فعلوا ذلك لم يكن لهم علمٌ بالمعاهدة والاتفاق وترضيهم بما يبغونهُ من الصلح التام والامن المتين وان تقرّر الجزاء والعقاب على من هتك حرمة العهد من جماعتك حتى يزول الارتياب ولكن ماذا فعلت من ذاك الوقت الى اليوم

فاجابهُ ايدومينوس قد ظننت انهُ لا يمكننا من ارضاء هولاء القوم وسدّ باب الحرب الاَّ الفتك بهم لانهم بادروا حالاً لحمل السلاح وجمّعوا احزاباً وتجهزوا لحربنا واستعانوا بمن جاورهم من الامم فخطر لي ان احسن الاشياء لدفع الخطر ان نستولي حالاً على عدة عقبات في جبالهم كانت ضعيفة الحامية فاستولينا عليها بلا تعبٍ وبهذا صار يسهل علينا اتلافهم وتشتيت شملهم مع قلّة عددنا وكثرتهم والاستيلاء على ارضهم ومساكنهم متى شئنا

فقال لهُ منطور انت ملك عاقل ترضى ان كشفت لك عن الحقيقة اذ لست معدوداً من اصحاب العقول السخيفة الذين يخافون من اظهار الحق لهم ولا يقدرون على تذليل انفسهم بالرجوع عن الخطاء ويبذلون جهدهم باثبات خطائهم انهُ عين الصواب

فاعلم ان هذه الامة الخشنة قد وعظتك وانذرتك واعطتك عبرة غريبةً اذ ابتدرتك بالتماس الصلح فهل كان التماسها الصلح لضعفها وعدم قدرتها اولعدم شجاعتها وقلة الامداد فقد شاهدت ان الامر ليس كذلك وانها قادرة على الحرب معانة باهل الجيرة فلماذا لا تتأسى بها في الرفق واللين ولكن ما اعتذرت بهِ اوقعك في الرَدى وقد خفت ان يصير خصمك ذا كبر وانفة وفخار وما خفت ان يصير ذا شوكة وأنصار حيث حزَّب عليك الامم والقبائل ما فائدة تلك البروج التي شيدتها ومدحتها كلَّ المدح فهل تفيدك الان تحمل مجاوريك على محاربتك جبرًا فشيدتها لحماية نفسك وحفظها وهي التي تجعلها تحت الخطر فالحصن الحصين للبلاد هوان تعامل من تخاف منهُ من الجيران بالعدل والانصاف والحكم والامانة وهذا احصن الحصون لان الحصن القوي ينهدم بما يعرض لهُ من الحوادث الفجائية. واما حبُّ الجيران والوثوق بهم لا ينهدم ولا يتزعزع بل متى آنسوا منك الانصاف والحلم اعانوك على من هجم عليك وجعلوك حكماً عليهم عند الاختلاف

وقد قلت لي اولاً انهُ يوجد عدة قبائل يونانية متوطنة في هذه السواحل فلماذا لم تطلب منهم الاعانة اذ لا يغبى عليهم اسم

مينوس ابن المشتري الذي انت من نسلهِ ولا نسوا افعالك في
غزوة ترِوادة حيث فزت واشتهرت وامتزت بين الاقران من
ملوك اليونان وهي غزوة اجتمع فيها جميع الجنس اليوناني · فقال
ايدومينوس ان جميعهم تنصّل وتباعد عنا فلا هو علينا ولا لنا
بل مكث متفرّجًا وسبب ذلك مبالغتنا في تعمير هذه المدينة
ونقدمها في الرونق والابهة التي افعمت قلوب الجميع خوفًا فظنّ
هؤلاء اليونان كغيرهم ان القصد سلب حريتهم فكانوا باطنًا
علينا والذي لم يتظاهر منهم بمخاصمتنا يتمنى خفضنا فالغيرة والحسد
لم يبقيا لنا حليف عهد ولا سندًا فقال منطور ما اعجب ما جوزيت
بهِ من نقيض المراد فانك اردت المبالغة في الشوكة والرفعة
فافضى بك الامر الى الهبوط الى هوّة الهوان فانت حزين لم يربّك
الدهر الاَّ نصف تربية هل تريد ان تسقط سقطةً ثانيةً لتربّي
بها نفسك وتعرف ان تتدارك النوائب قبل وقوعها وتجنب
المصائب التي يخشى منها على كبار الملوك · دعني الان ادبّر لك امرك
لكن اخبرني تفصيلاً عن المدن اليونانية التى ابت مساعدتك
قال ايدومينوس اشهر هذه المدن ترنتة التي شيّدها فلنطة منذ
ثلاثة اعوام وجمع اليها من اقليم لاقونيا كثيرًا من الشبان اللقطة
الذين ولدتهم امهاتهم من غير ازواجهنَّ مدة حصار ترِوادة فلمّا

رجع ازواجهن نبذن الاولاد وانكرن الزناء فالتقطتهم المربيّات فعاشوا بلا تاديب وارخوا عنان الفساد وارتكبوا المحارم فمسك الحكم زمامهم بيد الضبط والربط ونفوذ الاحكام الصعبة وبطل ارتكابهم وعطّل سفههم ودخلوا في انتظام العصابة وانضموا تحت لواء فلنطة وهو رئيس مقدام وبطل همام يجذب القلوب ويستميل العقول بتدبيره وخداعه فحضر الى هذا الساحل ومعهُ هؤلاء الشبان اللاقونيّة فشيد ترنتة وصارت كانها لقدامونة البهيّة التي هي مدينة ميسترا المورليّة . وبشيليا وهي دون ترنتة في العظم ولكنها اجل منها حكماً وتدبيراً شيدها فيلوقطريط الذي حاز المجد في حصار تروادة باحرازه سهام هرقول المسمومة ومدينة متابونتة شيدها الحكيم نسطور واستعان بمن حضر معهُ من جزيرة بولوس اليونانية فقال منطور واعجباه امعك نسطور هنا في ايطاليا ولم تدخلهُ في حزبك وشعبه شعبك وقد رايتهُ مرات عديدة في وقائع ترواده وكنت تحبهُ ويحبك فقال ايدومينوس قد هجرني بخداع قومه ومكرهم فليس عندهم من خصال اليونان سوى العنوان فانهم سعوا فيما بيننا واثبتوا لهُ اني اريد ان اكون طاغية ايطاليا الظالم فصدّق ذلك فقال منطور نحن نزيل وهمهُ لان تلماك كان قد اجتمع بهِ في جزيرة

بولوس قبل اتيانهِ الى هنا وقبل شروعنا في اسفارنا للبحث عن عولس فانهُ لم ينسَ عولس ولا المحبة التي اظهرها لنجلهِ حين اقام في جزيرتهِ فالعمدة هنا على ازالة الاوهام الحاصلة في نفوس من في جوارك فمتى زالت أُخمِدَتْ نار الحرب وانتفت الضغائن فدعني كما قلت لك قبلاً افعل ما افعل لعلي ارضيك وارضيهم

فلما سمع ايدومينوس هذا الكلام عانق منطور ودمع السرور يتساقط من عينيهِ حتى لم يعد يمكنهُ النطق ثم اكره نفسهُ على التكلم وقال يامنطور انت حكيم مرسل الينا من طرف الالوهيَّة لنسدَّ ما حصل منَّا من الخلل فلو خاطبني غيرك بهذا الخطاب وجاوبني جواب المنتقد بعين الحجة والبرهان لانكرتهُ عليه غضباً ولا يقدر احدٌ غيرك ان يجبرني على هذا الصلح لاني كنت عازماً اما ان اموت او اظفر بهولاء الاعداء ولو بلغوا ما بلغوا عدّاً ولكن اتباع رايك اولى من اتبّاع ما سولتهُ لي النفس وانت يا تليماك ما اسعدك بحصولك على خير مرشدٍ يقيك من التهوُّر في الضلال وانت يامنطور بما ان الاله قد اخصَّك بالحكمة الالهية دون الناس قد فوَّضت اليك امري فعد وعاهد واعطِ ما عندي فلا اعرف غيرك وكل ما تفعل اعدُّهُ حسناً.

فما انتهى هذا الحديث حتى سمعوا قعقعة العربات وصهيل

الخيل وصياح الرجال وضرب الطبول فصاح الناس قد هجم علينا العدوّ من غير طريق العقاب ونحن لم نتخذ الاحتياطات اللازمة وظهر الخوف على الشيوخ والنساء فصاحوا يا ويلنا هجرنا الوطن الخصب وتبعنا ملكاً منكوباً وخضنا البحر لبناء مدينة في هذا الاقليم ولم تلبث ان تحترق كترّوادة ويستولي عليها المحاصرون . وقد صعد الابطال على اعلى اسوار المدينة فنظروا من الاعداء ما لامزيد عليه من الخوذات الحربية والزرد والدروع والاسنة التي تلمع كالبرق والعربات المسلحة بالمناشير القاطعة وكلّ امة على حدتها رافعة علم الحرب كنار على علم . فصعد منطور على برج عالٍ ليتشوّف منهُ وتبعهُ تلماك وايدومينوس فحينما وصل الى محل النظر عرف فيلو قطريط وحده ونسطور وابنهُ بيزسطرط معهُ فصاح هذا امرٌ عجيب قد ظننت يا ايدومينوس ان فيلو قطريط ونسطور يكونان لا عليك ولا لك وهما قد اشهرا الحرب عليك مع غيرهم واذا كان بصري لا يخطيء فالعساكر الاخرى السائرة سيراً مرتباً هي عساكر فلنطة فكلهم عليك متحزّب والك محاربٌ فقد جعلت كلّ من هو في جوارك من الملوك عدوّاً لك من سوء ادارتك لا بارادتك

ثمَّ نزل منطور من البرج حالاً وتوجه الى باب المدينة الذي يدخل منهُ العدو وفتحهُ فتعجب ايدومينوس من همتهِ العظيمة وقوتهِ الجسيمة حين فتح الباب ولم يستطع ان يسالهُ ما القصد من الخروج فاشار منطور بيدهِ ان لا يتبعهُ احدٌ من البلد وقدم على العدوِّ بقوة جاش وحدةٍ فتعجب الاعداء حين رأوه مقبلاً عليهم وحده فاراهم من بعيدٍ غصناً من شجر الزيتون علامة الصلح والامان ولما صار بمرأى منهم ومسمع ناداهم ان اجمعوا الرؤساء والشيوخ فاجتمعوا احسن اجتماع . فقال ايها اللفيف الكرام اني اعلم انكم حضرتم الى هنا قصد التمتع بالحرية وهو قدر مشترك بين جمعيتكم وغرض عام فانا امدح هذا الغرض والاجتهاد فيهِ . ولكن لا تواخذوني بان اعرض على مسامعكم امرًا سهلاً يقوّيه و يوصل الى حفظ الحرية اليونانية وشرفها بغير اراقة دماء العباد ولا خراب البلاد فيا نسطور الحكيم اني اراك في هذا المحفل العظيم وانت لا تجهل شؤم الحرب حتى على الملك الذي يجريها ولو كان محقًا بها واعانهُ المولى فهي اعظم المصائب التي يصاب بها العبد واظنك لا تنسى ابدًا ما قاساه اليونان مدة عشر سنوات امام مدينة تروادة المنحوسة وما جرى من الشقاق بين رؤساء الجيوش اهل الكبرياء وكيف لعبت بهم يد الدهر

واذاقتهم المقت والبؤس وكم قتل هقطور بيده من اليونان في
هذه الحرب وما كان اعظم مصاب المدن ذات الشوكة وما اتى
عليها من المضارّ مدة غيبة ملوكها الطويلة وكم مات منهم غرقًا
عند راس كفارة وهم راجعون وبعضهم مات بين ذراعي نسائهِ
شرّ ميتة فان المولى غضب على اليونان بعد الرضى وسلطهم على
ترواده في تلك الغزوة الفاخرة فيا ام ايطاليا أسال الله تعالى ان
لايمنحكم نصرة سوء مثل تلك النصرة نعم ترواده صارت رمادًا
ولكن كان الاولى لليونان ان تبقى على رونقها وعزّها الى ما شاء
الله وان يبقى باريس الخاطف هيلانة الجبان على فساده وعشقهِ في
قيد الحياة ولا تخرب من اجلهِ البلدان وتُسفك الدماء بالحرب
والطعان وانت يافيلوقطريط المنحوس اما تذكر انك مكثت
زمانًا طويلاً مهجورًا في جزيرة لمنوس واما تخشى ان تصاب
بنكبات اخرى في هذه الحرب واما تعلم ان جميع ام لاقونيا
تأثروا من الاكدار التي نشأت من غيبة ملوكهم وعساكرهم في ترواده
فيا ايها اليونان اذكروا ان اصل مهاجرتكم الى هنا كانت عاقبة
مصائب غزوة ترواده ونوائب حروب لا فائدة منها

فبعد هذه الخطبة دنا من اهل بولوس فعرفهُ منطور ودنا
منهُ وحيّاهُ بما وجب وقال لهُ يامنطور قد سرّني قدومك عليّ

الان لاني من مدة سنوات رايتك في بلاد فوقيدة وكان عمرك خمس عشرة سنة وتوسَّمت فيك حينئذٍ ان تصير حكيماً جليلاً وكنت كذلك ولكن كيف جئت الى هنا في مثل هذا الوقت وتريد حسم المنازعة وابطال الحرب التي اجبرنا عليها ايدومينوس بنقض عهدهِ مع مجاوريهِ وما كان بودّنا الاَّ الصلح والامن والراحة في هذه البلاد وعلى ما ارى ان صلحهُ معنا لا يكون بصدق نيَّة وانما قصده بهِ ان يشتت عصبتنا ويفرق احزابنا ونحن لا حيلة لنا الاَّ التجمُّع والتحزيب عليهِ اذ قد ظهر لجميع الناس انهُ مصمّم على ادخال كل من جاوره تحت الرقّ والاستعباد ولم يبقَ لنا الاَّ ان نذبَّ عن حريتنا ونحرص على تدمير مملكتهِ لانهُ عديم الوفاء كثير الغدر والخيانة واهلاكهِ مع جنودهِ او يسترقنا وندخل تحت اسرهِ. فان كان يمكنك ان تجد طريقة سهلة نعتمدها وبها يتمكن اساس الصلح على قواعد متينة فكلُّنا يضع السلاح طوعاً واختياراً ويقرُّ لك بالبراعة والفضل ويسرُّ بذلك

فاجابهُ منطور اظنُّ انك تعرف ان عولس وكَّلَ اليَّ امر ولدهِ تلماك فهذا الشابُّ عدم الصبر واحبَّ ان يستكشف عن حال ابيهِ كما لا يخفاك وقد مرَّ عليك في جزيرة بولوس واكرمتهُ كما هو المأمول من مثلك حبًّا بابيهِ وارسلت معهُ ولدك ليوصلهُ الى

وطنهِ ثمَّ شرع في الاسفار بحرًا وطاف لا عن قصدٍ صقلية وديار مصر وصور وقبرص وكريد الى ان القتهُ الرياح لا بل ساقتهُ المقادير على هذه السواحل اذ كان راجعًا الى وطنهِ فوصلنا الى هنا وكان وصولنا في هذه الاوقات ورأينا هذه الامور الجارية فعسى ان ننقذ الناس من هول هذه الحرب ونتدارك القضية فتمضي من غير طعنٍ ولا ضرب والشروط التي يحصل الاتفاق عليها ليس ايدومينوس ضمينها بل تليماك وانا الكفيل بذلك كلّهِ

فكان منطور يتكلم مع نسطور وتليماك وايدومينوس وكل ابطال سلانتة ينظرون من على السور ويتأملون في قول منطور لعلهُ يكون مقبولاً عند هولاء القبائل وكان كلٌّ يودُّ ان يسمع المحاورة الجارية بين هذين الحكيمين لان نسطور كان مشهورًا بانهُ اكثر تجربة وفصاحة من جميع ملوك اليونان وهو الذي خفَّف مدة حرب تروادة تشديد اخيلوس وفخر اغاممنون وكبراجاش ومجازفة ديوميدس . انقطر من بين شفتيهِ حلاوة الحجج والبراهين ذو صوت جهوري لهُ وقع في اذان فحول الرجال متى ابتدأ بالكلام يسكن الفتنة والضوضاء وقت الزحام ولو تاثر بضار الشيخوخة والهرم لا زال قولهُ مملوءًا من اللطف والحكم يحكي الحوادث

الماضية لاجل تعليم الشبان بتجاربهِ ولكن يبثها باللطف والتأني للتمرين والتدريب

والقاء هذا الشيخ كان يعجب جميع اليونان ويقولون انهُ لا نظير لهُ في عصره فلما اجتمع بمنطور كان كأنَّهُ فقد ما عنده من الفصاحة والابهة وكأن شيخوختهُ ذابلة قليلة البهاء وقواه مهدودة بالنسبة الى حال منطور الذي لم تؤثر الشيخوخة في قوتهِ وهمتهِ وكلام منطور الذي كان بحماسة وشهامة كان بهِ انتعاش ورقة خلافًا لكلام مصاحبهِ وكان كلُّ ما يقولهُ وجيزًا خاليًا من العي والتكرار ولا يقول الا ما يلزم للمصلحة التي اراد ان يبرهن عليها واذا اراد ان يقيم الادلة على معنى واحدٍ تفنَّنَ في افانين الكلام وتغاير العبارات وضرب الامثلة بالمحسوسات لاتمام الفائدة ومتى اراد ان يفهم الناس المنافع يتكلم مسرورًا ويدخل عليهم بالبراعات والتخلصات لايضاح الحقيقة وكان كلٌّ من هذين الشيخين محترمًا وقورًا اليهِ تلقى المقاليد والناس يتاملون فيهما ويلاحظون مظهر افعالهما والمتعاهدون يتواردون من السهول والجبال ويحرصون على سماع حديثهما وايدومينوس واصحابهُ يحرصون على استكشاف اشاراتهما ويتفرسون في وجوههما لعلهم يقفون على ما ينتج من هذه السياسة

المقالة الحادية عشرة

ثمَّ نزل تلماك من على الصور وجرى نحو الباب الذي خرج منهُ منطور فأمر بفتحهِ ففتح وخرج قاصداً محل الاجتماع فالتفت ايدومينوس فلم يرهُ في جانبهِ بل رآه ذاهباً في الفضاء وقد دنا من الجمع فعرفهُ نسطور وبادر الى استقبالهِ ببعض خطواتٍ فوثب اليهِ تلماك وعانقهُ ثمَّ قال لهُ يا أبي ولا اخشى ان أُطلِق عليك اسم الاب من باب الاستعطاف لسوء حظي بعدم وجودي ابي ولطفك وما صنعتهُ معي من المعروف كلهُ من صفة الأُبوَة الملازمة الشفقة فانت اب رؤُوف قد قدَّر اللهلي الاجتماع بك لاتعزَّى واتسلَّى عن فراق والدي عولس المترجّى الاجتماع بهِ

فلما سمع نسطور هذه الكلمات هطل الدمع من عينيهِ وسُرَّ باطناً اذ لح دموع تلماك تجري على خدَّيهِ الورديين وجميع المتعاهدين عجبوا من هذا الشابّ الذي شقَّ صفوف الاعداء بدون احتراس ولا خوف كانهُ داخل على اهلهِ وقومهِ وظنوهُ انهُ ابن ذاك الشيخ الذى جاء وتكلم مع نسطور حيث راوا ان الحكمة ظاهرة عليهما سواء . . فلما راى منطور ان نسطور قابل تلماك بالترحيب والاكرام فرح وقال لهُ هذا ابن عولس المحبوب عند جميع اليونان وعزيز عندك يانسطور فانا اقدمهُ لك رهنًا للوثوق

بعهود ايدومينوس وانت تعلم اني لا اريد ان يضيع كما ضاع ابوهُ
ولا ان تلومني امهُ باني فرطت في ولدها مرضاة لمطامع ملك
سلانتة . فانا بواسطة هذا الرهين الذي ارسلهُ المولى وقدّم
نفسهُ رهنًا طوعًا واختيارًا دفعًا للويلات التي تحصل من هذه
الحرب ساغ لي ان اعرض لكم ايها الشعوب اني ارتب معكم شروط
مصالحة راسخة القدم

فلمّا سمعوا بلفظ الصلح كثرت الجلبة في الصفوف فاغتاظت
الامم المختلفة من انهم اضاعوا الزمان بلا فائدة لاسيما قُطن ايطاليا
المندوريّة فقد جزعوا وظنّوا انها حيلة من ايدومينوس يريد ان
يخدعهم بها مرةً ثانية فكانوا يحبّون قطع كلام منطور خوفًا من
ان الكلام المملوء من الحكمة يشتت شمل المتعاهدين واظهروا عدم
الثقة بعهد اليونان الحاضرين فلحظ منطور منهم ذلك وانهم داخلهم
شكٌّ في حفظ عهد اليونان فبادر الى تقوية هذا الاعتقاد عندهم
والقاء الشقاق بينهم ليفرق آراءهم . فقال نعم ان المندورية يحقّ
لهم ان يتظلّموا ويطلبوا طيبة الخاطر نظير ما حصل لهم من
اصحاب ايدومينوس الذين تعدّوا على حقوقهم ولابدَّ من ارضائهم
مع مراعاة النظير ولكن ما بالكم انتم ايها اليونان المتوطنون
في هذه السواحل تجعلون انفسكم عرضةً لاشتباه الناس في

حقيقة امركم ولشك الاصليين ولا تكونون متحدين معًا على رأي واحدٍ وقلب واحد . اخوان صفاء واخدان عهد وفاء حتى يعاملكم الاخرون بما يجب من الوقار والاعتبار وانتم تفعلون ما يجب عليكم من الانصاف بالعدل وعدم التعدي على الغير ومراعاة حق الجوار ومن المعلوم عندي ان ما فعلهُ ايدومينوس اوقعكم في الاشتباه وظننتم فيهِ الخيانة ولكن يسهل عليَّ ان اداوي هذا الداء بطبٍ يشفي داء الشبهة وذلك نبقى عندكم انا وتليماك رهينة ونكفل لكم وفاء ايدومينوس بالعهود الوثيقة ولا نبرح حتى يفي لكم بجميع ما يحصل عليهِ الرضى والاتفاق ويكون معكم على الحب والوداد واما انتم ايُّها المندورية فاني اعلم ان الذي اغضبكم هو الاستيلاء على عقباتكم التي اغاروا عليها على حين غفلة ليدخلوا منها مساكنكم متى شاءوا وانتم هاجرتم اليها وتركتم لهم السهول ولا سيَّما انهم بنوا عندكم ابراجًا عالية ووضعوا فيها حامية ولعل هذا هو سبب هذه الحرب فهل الامر كذلك او لكم سبب اخر

فتقدم رئيس المندورية وقال اي شيء ما فعلناه لاجتناب هذه الحرب فالحق شاهدٌ وعليم اننا ما عدلنا عن جادة الصلح الاَّ بعد تحجزنا عنهُ ولم نجد وسيلة اتمع مطامع الكريديين الذين اجبرونا

قهرًا ان لا نثق لهم بعهد اذ حنثوا في أيمانهم وقسمهم بالواحد الملك الخلاَّق وان نسلك معهم مسلكًا هائلاً لا نلام عليه وان لا نألوا جهدًا في البحث عن وقاية بلادنا من تعدياتهم وما داموا متغلبين على هذا العقاب نظنُّ ان قصدهم اغتصاب اراضينا واستعبادنا بدون مجازاة منا فلو كان غرضهم المسالمة مع مجاوريهم لاكتفوا بما تركناه لهم طوعًا ولا كانوا بذلوا جهدهم في ضبط المداخل الموصلة الى ارضنا فانت لا تعرف حالهم ايها الشيخ الحكيم وانما نحن عرفناهم في يوم نحسٍ مستمرٍ قدّر به علينا المولى العزيز فدعنا ايها الرجل المحبوب من مولاه ولا تؤخر حربًا لا تؤمل بلاد ايطاليا بدونها راحة ولا امانًا . . ثمَّ شرع رئيس المندوريـــة يخاطب الجريدليه بقولهِ يا ايُّها الامة الكافرة بالنعم الجاحدة الخير المخادعة التي غضب عليها المولى وجعل قلوبها قاسية يا اعصى امّة لمولاها ارسلها الى ارضنا للتعكير والتكدير جزاء ما فعلناه من الهفوات واجترحناه من السيئات كفى ما جرى لنا من العذاب ولعل المولى يكون قد اراد انتهاء عقابنا وسلطنا عليكم لننتقم منكم كما التقمتم منا جزاء وفاء فيا ايها الرب الحكم العدل خلّص حقوقنا منهم فانت ذو الفضل والمنة

فلما سمع الجمع هذه الكلمات هاج واستيقظ كانما اشرق

بهِ المريخ القاهر كوكب الحروب ومعهُ شقيقتهُ يحرضان على القتال ويجولان من صف الى اخر لاضرام نيران الحرب والجدال وكانت الحكمة وحدها تجتهد في اخمادها فقال منطور للجمع لوما كان معي عهود قويَّة ووعود صادقة لكنت اقول ان الحقَّ لكم في الامتناع من الوثوق بها ولكن انا اقدم لكم وثائق متينة فان كنتم لا ترضون بتلماك ولا بي فها كم اثني عشر من اعيان الكريديين الثقاة وهولاء بهم الكفاية لوفاء ما يقال ومن الموافق لشريعة العدل والانصاف ان تعطوا ايضًا مثلهم رهائن ولهذا تنتهي قضايا الخصام والجدال لان ايدومينوس يبغي الصلح بصفاء نيَّة وحسن طويَّة فلا يريده خوفًا منكم ولا يرضاه بطريق المذلة والعار وانما طلبهُ لانهُ من الحكمة والتدبير وذو العدل والانصاف يعوّل عليهِ فهو يرغبهُ بهذا المعنى لا لكونهُ جبانًا ولا يهاب الحرب التي عادةً تهابها النفوس لما فيها من الشدة فهو حاضرٌ ومستعدٌ لان يموت او ينتصر لكن يوثر النصرة البهجة ويكره الهزيمة ويانف ان ينسب الى التعدّي ولا يستنكف من تدارك عيوبهِ فانهُ يعرض عليكم الصلح وهو شاكي السلاح ومتجهز للمبارزة في ميدان الحرب والكفاح ولا يريد ان يكلفكم الصلح مع الكبرياء والعظمة اذ لا منفعة من الصلح المكره وانما يريد الصلح عن تراضٍ وتوافق من

الطرفين حتى تسكن الفتنة وتزول العداوة فانا اعلم ان ايدومينوس راضٍ بجميع الاراء التي ينتهي الحال عليها واني ابرهن لكم على ذلك بالادلة القاطعة لتظهر صحة مقالي فعليكم بالاصغاء والتعقل الى ما اقولهُ

يا ايها الروساء اصغوا الى ما القيهِ عليكم نيابةً عن ايدومينوس فاقول انهُ لاحق لهُ ان يدخل في حكومات جيرانهِ كما ان لا حقَّ لجيرانهِ في الدخول في مملكتهِ ولهذا التزم ان يرضى بان الابراج العالية التى بناها في المسالك والمداخل يكون فيها مرابطون ليسوا من غرضهِ ولا من غرض اعدائهِ بل اجنبيون لقصد المحافظة عليها ثمَّ التفت الى نسطور وفيلوقطريط وقال لهما يا ايها الشيخان اليونانيان اللذان تعرضتما لايدومينوس في هذه الحادثة واستشطتما حنقًا وغضبًا لا يشتبهُ فيكما احد من الاحزاب انكما من غرضهِ فهذا بعيدٌ عن الصواب بل جلُّ قصد كما هو مصلحة الصلح العامَّة وتأسيسها في بلاد ايطاليا وابقاء الحرية واطفاء نار الفتنة وهذا غرضٌ مشترك يميل اليهِ كل عاقل فبناء على ذلك تسلَّم لكما هذه الابراج لتدخل تحت محافظتكما وتمنعان الايطاليانيين من الهجوم على مملكة سلانتة مدى الايام لتبقى حرَّةً نظير الممالك التي جددتموها

وكذلك تمنعان ايدومينوس من الجور على احدٍ من جيرانهِ فاحفظا ميزان التعادل بين الطرفين واقطعا عرق الشقاق والخصام وبهذا يكون لكما الفخر الممدوح وحسن الصيت مما يؤذن بشرف النفس حيث انكما الواسطة العظمى في هذا الصلح وانكما محكمان في فصل الخلاف والمحافظة على الاحكام ولعلكما تقولان ان شروط هذا الصلح غريبة فكيف رضيها هذا الملك وقبلها على نفسه بدون اضمار غدر فهذا الجواب

كيف نظنُّ ذلك اذ تعطى الرهائن من الجانبين الى ان تسلَّم المداخل والعقبات لكما على سبيل الامانة والمحافظة عليها مدى الزمان وبهذا تكون سلامة ايطاليا عمومًا وسلانتة خصوصًا بين ايديكما اما يكفيكما ذلك ومن ايِّ شيءٍ تخشيان من الان فصاعدًا وعلى ايِّ وجهٍ لا تثقان بهِ فان كان عليكما خوفٌ فمن انفسكما فقط والاَّ فلا خوف من ايدومينوس لانهُ يكون قد ارتبط بالعهود ولا يقدر على الخيانة والغدر بل يثق بكما كلَّ الوثوق فان كنتم يامعشر اليونان تحبون الصلح فامره حاضرٌ وهذا وقته واقول لكم تكرارًا الا تظنون ان ايدومينوس الجاهُ الخوف الى الصلح بل الذي حمله عليهِ مكارم الاخلاق وقصد رفع الاسباب ثمَّ حمله كرم النفس وشرف الطبع على الاعتذار

والاعتراف بما وقع منهُ من الخلل فبعث بطلب الصلح اليكم
لتدارك عواقب هذا الخلل فان الانسان اذا فعل خللاً وقصد
ان يخفيه يصرُّ على فعلهِ وهذا يعدُّ من سخافة العقل فالذي
يعتذر لعدوّه عن ذنبهِ ويسأ لهُ العفو لا يعود الى ارتكاب ذلك
الذنب بل يخشى عدوّه منه لعلمه انهُ احسن المتاب ويهابهُ لانهُ
ربما يسلك طريقة حميدة مؤسَّسة على قواعد العقل والحكمة
ولا يطمأن قلب الخصم الاَّ اذا عقد معهُ صلحًا فاحترزوا ايها
الملوك المتعاهدون من ايدومينوس حيث اصلح الخلل فلربما
تذنبون وتاتي عليكم نوبة الاعتذار فيعدُّ عليكم الزلاَّت
والعثرات فان ابيتم الصلح والعدالة فرب الصلح والعدالة ياخذ
لهما بالثار فقد ظنَّ ايدومينوس حين اعتذر ان المولى غضب
عليهِ لعدوانه وظلمه والان يعتقد انهُ غضب عليكم واحبَّهُ وكذلك
انا وتليماك كل منا ينتصر للمظلوم وقد اشهدت ربَّ السموات
والارض على ما اعرضتهُ عليكم من الشروط المبنيَّة على العدل
فان تلقيتموها بالقبول فبها والاَّ فانا بريءٌ وما عليَّ اذا لم تصدّقوا

فلما ختم منطور كلامهُ وعلم انهُ صار مقرونًا بالاجابة رفع
يده قابضًا بها غصنًا من شجر الزيتون علامة على الصلح ليري
الاهالي وكان الرؤساء يرونهُ عن امم فتعجبوا من النور الذي

كان يلمع في عينيه وعليهِ مهابة وجلالة مع ما اشتمل عليه من
اللطافة ولين الجانب وبسماع قوله اللطيف استمال القلوب
والالباب وكان بين هولاء الامم المتوحشة كأنهُ بخوس مدبِّر
الالحان الذي يحكى عنه في جاهلية اليونان ان الوحوش
المفترسة كانت تألفه عند سماع صوتهِ الرخيم وتلحس قدميهِ
دلالة على الطاعة لهُ وكذلك هذه الامم لما سمعت مقال منطور
طربت وهلّلت وتهلّلت ففي اول الامر اصغت الجموع اصغاءً
تامًّا ولزمت الصمت وصار البعض ينظر البعض الاخر باهتين
متحيرين ولا من معارض واحداقهم شاخصةٌ اليهِ وبعد تمام
كلامهِ كانوا لا يتكلمون املاً بان يستأنف الخطاب ويسمعون
ايضًا لان جميع ما قالهُ ارتسم في اذهانهم ووجدوا منهُ لذةً غريبة
وفوائد جمّة وبعد قليل سمع من الجيوش اصواتًا لطيفة كالنسيم
يشمُّ منها رائحة بلوغ القصد ونوال الارب وقد لاح على جميع
الوجوه البشر والطلاقة حتى ان المندورية الذين كانوا اشدَّ
الامم غيظًا لانت قلوبهم وكاد السلاح يسقط من ايديهم وفلنطة
المتوحش المنفرد على حدة الممتلئ قلبهُ حنقًا قد عجب من لين
قلبهِ الذي هو اقسى من الحديد وهكذا الاخرون أُولعوا بعقد
الصلح الذي ارشدهم اليهِ هذا الصالح ولم يتمالك فيلوقطريط من

اذراف دمع السرور مستحسنًا هذا الصلح واما نسطور فقد طرب كلَّ الطرب وتاه في تيه العجب وعانق منطور دون ان يفوه بكلمةٍ وصاح الجميع بلسانٍ واحد يا ايُّها الشيخ الحكيم قد حملتنا على وضع السلاح ورفع الكفاح فالصلح خيرٌ وفيهِ الاصلاح والصلاح والنصح مفتاح النجا والنجاح

وقد اراد نسطور بعد ذلك ان يبرهن على موانع الصلح ولكن خاف الجمع من ان يبدي مشكلة فصاحوا بلسان واحد السلم السلم والامان الامان وصاروا على قلب واحد فلمَّا راى الحال لا يقبل خطبة اقتصر وقال أرأيت يامنطور كيف يصل فصيح كلام الانسان الى ما لا يصل اليهِ حدُّ السيف والسنان فمتى لهج الرجل الصادق بمنطق الحكمة ولسان مكارم الاخلاق اسكن هوى النفوس واستمال القلوب واستولى على الطباع فكلُّ ما كان في نفوسنا من النفور استحال الى محبَّة وميل الى الرغبة في الصلح المتين فقد رضينا بما عرضتهُ علينا وعليهِ يجري دستور العمل. وما فرغ نسطور من كلامهِ حتى مدَّ سائر الرؤساء ايديهم علامة على الرضى واستقرَّ الراي على الصلح حينئذٍ قام منطور وذهب الى باب المدينة وفتحهُ واستدعى ايدومينوس ان يخرج بلا حرس ولا محافظة واشتغل نسطور بمحادثة تلماك فقال لهُ يا ابن

احكم ملوك اليونان اسأل الله ان يجعلك وارثًا اباك في الحكمة والتدبير هل عرفت عنهُ شيئًا فان تذكُّري اباك كان سببًا في تسكين غضبنا وغضّ ابصارنا عن ذنوب ايدومينوس وكذلك فلنطة مع انهُ لم يجتمع بعولس ابدًا اخذتهُ الرأفة بولدهِ ورثى لحالهِ وسالاه ان يحكي لهما قصتهُ وما جرى لهُ ولكن في اثناء ذلك حضر منطور مع ايدومينوس وشبان كريد الذين كانوا في الحصار . ولمَّا نظر الجمعُ ايدومينوس تفتحت جراحهم وكادت نيران الغضب تستعر فاخمدها منطور بفصيح كلامهِ حين صاح قائلاً اطلب من المولى ان ينتقم من الذي يعوق هذا الصلح الميمون ويجعلهُ مذمومًا مدحورًا عند الله والناس وان يُصاب بجميع المصائب والنوائب واستعين بهِ تعالى ان يكون هذا الصلح متينًا راسخًا كالجبال محترمًا معظَّمًا من جميع العباد جيلاً بعد جيل وان يجعل اسماء الواضعين توقيعهم عليهِ منطوقة بالمحبة والوقار ما دام الملوان وان يكون قدوةً لجميع عقود الصلح المستقبلة التي تنعقد بين الامم والدول وان يلهم جميع القبائل الالفة والاتحاد والاقتداء باهل ايطاليا

وبعد الفراغ من اقتضاب هذا الكلام وتعقُّل معانيهِ الموافقة لاقتضاء المقام عقد ايدومينوس والملوك الاخرون عقد الصلح وتحالفوا على اجراء الشروط التي استقرَّ عليها الراي واعطى

كلٌّ من الجانبين الاخر اثني عشر شخصاً رهائن وقد احبَّ تلماك
ان يكون واحداً من رهائن ايدومينوس لقطع عرق الضغائن
وكفالة صكوك الملك ووفائهِ بالشروط فقبلوه ولم يرضوا ان
يكون منطور مضبوطاً عندهم بل ان يقيم عند ايدومينوس لاجل
اتمام الشروط التي صار الاتفاق عليها وذبحوا بين المدينة والمعسكر
في كل فجّ مئة بقرة صغيرة بيضاء كالثلج وقدرها من الثيران مثلها
في البياض مذهّبة القرون ومزيّنة بالزهور والغصون فكان
يسمع صياحها المهول في تلك السهول والجبال كالرعد القاصف
وكانت هذه الضحايا تذبح بالسكاكين المقدّسة والدم يجري منها
كالغدير وكذلك النبيذ اللذيذ يجري جريان الدم لانهم كانوا
يتقربون بهِ الى المعبود نظير الذبائح ثمَّ حضر ارباب العرافة
الذين ذبحوا الذبائح وصاروا يتكهنون من احشائها وهي حامية
ويخبرون بالغيب ويبشرون وينذرون ويحرقون العود الطيّب
والندّ على محراب المعبد فيتصاعد منهُ دخان كثيف يعبق
شذاه في الخلاء فتذكو بهِ نسمات الفلا

وزال من عساكر الجانبين الحقد وشرعوا يتحادثون ويتسامرون
والذين كانوا مع ايدومينوس في غزوة تروادة عرفوا جماعة
نسطور فتعانقوا وتلاطفوا وتحادثوا بما جرى لهم بعد الافتراق

وصاروا كلهم مؤتلفين ينامون على بساط الرياض ويأكلون ويشربون معاً

ثمَّ قال منطور الملوك وارؤساء العساكر الحاضرين قد كنتم قبلاً يا عصابة اليونان امّةً واحدة وجنساً واحداً وملةً واحدة مع اختلاف البلدان وتنوّع الاقاليم فالحكمة الالهية التي اوجدت البرية من العدم تحب ان يكون بينهم رابطة تربطهم بالاتفاق والاتحاد وان يكونوا اخواناً فان جميع البشر ابناء رجلٍ واحدٍ انتشروا في جميع جهات الارض فاذاً كلهم اخوان ومحبة الاخوان واجبة فويل لاهل الجحود الذين يتطلبون الفخار بسفك دماء اخوانهم ودمهم دمهم نعم ان الحرب تلزم في بعض الاحيان ومن سوءِ حظ النوع البشري انهُ لا يمكنهُ تجنبها عند مقتضيات الحال والزمان وهذا مما يعاب بهِ النوع البشري لنقصهِ وميلهِ الى الفخر الذميم فان الملوك يقولون ان الحرب تُشتهى لكسب الفخار فنقول رداً عليهم ان الفخار الممدوح لا يخرج عن المروءة والانسانيّة فكلُّ من يؤثر فخار نفسهِ على المروءة يكون محتالاً وشيطاناً مزيداً وليس من النوع البشري لان الفخار الصادق في العدل ولين الجانب ولا يُمدح صاحب ذلك الفخر الاَّ ليفرح ويعتزَّ بهِ وهو خارج عن دائرة العقل ولكن يغبونهُ ويقفونهُ فطوبى للملك

الذي يحبُّ رعاياه ويحبونهُ ويعتمد على مجاوريهِ ويعتمدونهُ ولا يشنُّ عليهم غارة بل يحجزهم عن ان يفعل بعضهم مع بعض تعدّيًا او إغارة

فينبغي ايها الملوك والرؤساء الكبار ان تجتمعوا كلّ ثلث سنوات وتعقدوا مجلسًا عموميًّا لتدبير مصالح الممالك المهمة وتجديد العهود وتاكيد المحبة بينكم واحسنوا تنظيم المدن الجليلة القوية الشوكة في ايطاليا ولاحظوا الراحة الاهلية فهذا الاتحاد يزيد ثروة البلاد ويقوّي شوكتكم فتامنون من ان يفتح بلادكم فاتح اذ لا يضرُّ الاّ الشقاق الداخليّ

فاجاب نسطور بقولهِ قد رأيت اننا اجرينا عقد الصلح طبق المراد وصرفنا الهمّة في كسبه وتحصيلهِ وبهذا تعلم اننا نحبُّ الابتعاد عن الحرب التي يحمل عليها غرور الفخار والطمع بتوسيع الممالك باضرار ملوك الجوار ولكن كيف نعمل اذا وجدنا انفسنا بجوار ملك جبّار طاغية لا يحسب حساب القوانين والاحكام ولا يحترم الاصول المرعية بل يرغب في فعل كل ما يعود عليهِ بالنفع ولا يضيع فرصة في الهجوم على بلاد غيره لتوسيع بلاده ولا تظنّ يا منطور اني اعرّض بايدومينوس الذي وعد باعطاء الراحة والامنيّة لا وابيك بل اعني بذلك ادرسطة ملك الدونيّة فاننا

تخشى منهُ اذ هو عدوٌّ مبين لا عهد لهُ ولا ذمام ولا دين يعتقد أن كل من على وجه الارض خُلِقَ لخدمة فخره وأن لهُ الحقَّ ان يُدخل الناس طرًّا تحت حكمهِ فلا يبغي الرعية ليكون لها ابًا بل لتكون لهُ عبيدًا عبدةً ولا زال الدهر يساعده على انجاز مقاصده والدهر اعمى وكنَّا قد عزمنا بعد نهاية حرب سلانتة ان نتفرغ لحرب ذاك العدوِّ الالدّ الذي قد استولى على مدن عديدة من مدن احبائنا وحلفائنا فان امة القرطونة المعاهدة لنا قد انهزمت من امام عساكرهِ مرتين وخسرت الخسائر الجسيمة فهذا الملك متخذ جميع الوسائط لاشباع طمعهِ تارة بالقوة وطورًا بالحيلة فبهذا جمع اموالاً جزيلة ونال رغبتهُ في توسيع ملكهِ وعنده عساكر بارعة في التربية والضبط والتنظيم متمرنة على الحرب والشجاعة والقوَّادُ والضباط ارباب تجربة واختبار وهو يجري التفتيش بنفسهِ فيعاقب المسيء العقاب الشديد ويجزل عطاء المجتهد في خدمتهِ وهو شجاع باسل يقوي الجنود بشجاعتهِ فلو سلك طريق العدل لكان ملكًا كاملاً لكن ليس كذلك لانهُ لا يخشى الله ولا لوم نفسهِ اللوَّامَة ولا يبالي بالقِفوةِ وقريبًا يحضر جيشهُ برًّا وبحرًا فان امكن اجتماع هولاء الامم للمحافظة من هجومهِ على البلاد فذاك والاَّ فقد خاب الامل من احراز الحرية فلا شك ان

مصلحة ايدومينوس كمصلحتنا توجب معارضة هذا الجار الجائر ومنع ضرره عنّا فلنبادر معًا للتدارك وابعاد المخافة ونجتمع على هذا العدوّ باطنًا وظاهرًا . . . ففي اثناء تكلم نسطور كان كل يتقدم نحو المدينة قصد الدخول لان ايدومينوس كان قد اعدَّ وليمة انسٍ ودعا اليها جميع الملوك وكبار الضباط

المقالة الثانية عشرة

وكان الجيش قد خيّم في الفضاء والرايات اليونانية والايطالية المختلفة الالوان تخفق فوق تلك الخيام ولمّا دخل الملوك المدينة تعجبوا من مصنوعاتها ومبانيها العجيبة وكيف لم تفترهمة هذا الملك في مثل هذا الوقت عن توسيعها وتحسينها فاستحسنوا تدبير ايدومينوس وسرعة اشغاله وسرُّوا بدخولهِ في معاهدتهم وانضمامهِ معهم اذ بهِ تتقوى شوكتهم على الدونية . . وكان منطور لا يجهل أنَّ قوَّة ايدومينوس العسكرية دون ما يظُنُّ فيها فانفرد بهِ وقال لهُ قد رأيت ايها الملك ان اهتمامنا بشانك قد قارن النجاح وقد وقيت مدينتك شرَّ المصائب التي كانت قد حافت بها فالان يجب عليك ان تجتهد لتبلّغها

اعلى درجات الاعتبار وان تساوي جدَّك مينوس في الحكمة وحسن التدبير والاعتناء بالرعايا ولا زلتُ اخاطبك بدون تكليف ولا تعظيم ظنًّا مني انك تريد ذلك وانك تبغض النفاق والملق والاطراء بالمدح الباطل فبينما كان الملوك يمدحون مدينتك وما انت عليهِ من حبِّ الفخار في بلادك كنت انا مشغولاً في التبصُّر في مدواة ما سلكتهُ من السفاهة وفرحت بالمدح عليهِ

فلمّا سمع ايدومينوس وصفهُ بالسفاهة تغيَّر وجههُ واحمرَّ خجلاً وكاد يسكّت منطور ويريه أنهُ تأثرّ فلمح منهُ منطور ذلك وقال لهُ قولاً لينًا ولكن قول من لا يخشى قد تغيَّرت من كلمة السفاهة وظهر لي انك تأثرت . نعم لو صدرت من غيري ما كان لهُ الحقّ ان ينطق بها في حق جنابك لانهُ يجب احترام الملوك وتلطيف الخطاب معهم احترازًا من تعكير مزاجهم ولكني ظننت انك تحتمل مني الخطاب بلا رفقٍ ولا لين لاطلاعك على خطائك وغرضي بذلك انك تعتاد على تسمية الشيء باسمهِ وتعرف انهُ اذا نصح لك غيري لا يستطيع ان يقول لك ما يعلمهُ ولا ان يظهر لك الحقيقة . فاذا اردت ان لا يغشك احد من الناس ولا يخفي عنك الحقّ فاستنتج من بعض ما يقال لك بغيةَ الحقيقة

فبهذا تقف على حقيقة بواطن الامور فانا اتلطف معك في الجواب والسوأل على ما يقتضيهِ الحال ولكن من حسن طويتك ان وجدت رجلاً مثلي خالي الغرض يقوّم اعوجاجك ويتكلم معك سرًّا بما لا يقتدر غيره ان يقولهُ لك في المنام فانت لا ترى من نور الحق الاَّ آلهُ ولا تلمح وجه الصدق الاَّ مستترًا بنقاب متهيّأً للفرار

فلمَّا سمع ايدومينوس هذه العظة افاق من حدَّتهِ وخجل من منطور فقال قد علمت الان ما يترتب على اعتياد الملق والنفاق وانت لك الفضل عليَّ وعلى مملكتي بانقاذك اياها من ارباب المعاهدة فمن الان فصاعدًا لا اكره سماع قول الحق من فيك بايّ لفظ كان وانمَّا ارجوك الرفق والتلطف بحال ملك قتلهُ سمُّ المدلِسين ولم يجد في حياتهِ رجلاً كريمًا يقول لهُ كلمة حقٍ وكان يقول هذا الكلام والدمع يسكب من عينيهِ ثمَّ عانقهُ منطور عناق الحبيب وقال لهُ يصعب عليَّ ان اقول لك كلامًا قاسيًا ولكن صرت مجبورًا على قطع الافك بسيف الحق لانهُ لا يمكني ان اخونك فلو كنت انت انا هل كنت تغرُّني وتخفي عني نور الحق فاقول لك ان ما تشكَّك بهِ الناس الى وقتنا هذا هو من نفسك وانت الجاني عليها لانك احببت ذلك ورضيت بهِ ولم تستيقظ من غفلتك

لانك تخشى من ان يكون عندك وزراء ومشيرون ارباب نصح وصداقة يقولون الحق ولا يخافون لومة لائم فهلاً بحثت عن رجال خليين الاغراض قادرين ان يعارضوك في ارائك عند الاقتضاء ويستطيعون ان يحذروك وينذروك ولا ياخذون ارادتك بالتسليم وهلاَّ اجتهدت في طلب الحقيقة باستشارة اناس لا يبالون ان يصدُّوك عن مرغوباتك الفاسدة ولماذا ما انتبهت حين اجتمع عليك المداهنون وطردتهم من مجلسك واخذت الحذر منهم فكل هذا جرى منك ولم تفعل شيئًا مما كان يفعلهُ غيرك وهو الميل الى الحقيقة وحبّ الصدق من صديق يكون متصفًا بهِ فخير الملوك من سقط على خبير فلننظر الان ان كنت ترضى بالصدق وتخضع للحق وتعتذر للحقيقة لانها تقبل من جاء اليها معتذرًا

فاقول لك ان جميع ما جلب اليك الشقاء تستحق عليهِ اللوم لانك في الايام التي كثر فيها اعداؤك وكان يخشى منهم على ملكك كنت لا تفتكر الاَّ في تحسين مدينتك وتشييد ابنية جديدة فيها كما يشهد لي عليك قولك انك انفقت الاموال الجزيلة في تزيينها وما خطر ببالك تكثير الاهالي وتحسين حالهم ولا غرس الاراضي وحرثها لتزداد قوتك وتنتني مملكتك بل التفتت الى المظاهر الفخارية والمبادئ الوخيمة المخلَّة بالحقائق

فبادر الان الى اصلاح هذا الخلل واصرف النظر عن صرف المال على الاشياء الفارغة والاّ عاد على مملكتك بالتلف واجتهد في اتقان فنّ الزراعة لتحصل الثروة في بلادك ويسهل على الرعايا الزواج ويكثر النسل ويزداد العدد فتتقوّى المملكة وعلمهم حسن التربية وتهذيب الاخلاق وبذلك تحوز الفخر الصادق · فقال ايدومينوس كيف اعمل يامنطور هل أظهر لهولاء الملوك ضعفي وعدم قدرتي على مساعدتهم ومن المعلوم اني اهملت الزراعة بل والتجارة واقتصرت على صرف الهمة بتشييد هذه المدينة كما قلت فهل يجوز الان ان ابخس بنفسي واظهر اني معدم من المال والرجال فاذا اوجب الامر اعرض حقيقة حالي ولا ابالي لانك افدتني ان الملك الكامل يوثر سلامة مملكتهِ على فخره الخاصّ

قال منطور هذا هو الرأي السديد فالان قد عهدت فيك انك ذو قلب سليم وانك اهل لحيازة المنصب الملوكي خلافًا لما كنت اراه منك من الفخر والافتخار بزهو مدينتك الباطل ولكن لاينبغي ان تبخس بشرفك ولا تظهر ما يزري بعزّك وجاهك لان مصلحة المملكة تقتضي اظهار العزّ لبلوغ المرام فدعني ادبّر لك هذا الامر فاني احدثهم عنك انك قد اتفقت معنا على اعادة عولس ملكًا على طيا كي ان كان لم يزل حيًا او تولية ابنهِ ان كان سبق

القضاء بوفاتهِ وانك تريد طرد طلاب بنلوبس امهُ من المملكة قهراً اوجبراً فاذا قلت هذا لهولاَء الملوك فهموا حالاً انهُ يلزم لك في هذه الواقعة عساكر كثيرة فيكتفون منك في حربهم مع الدونية بفيئة قليلة للاعانة فلما سمع ايدومينوس هذا الكلام ظهر عليهِ انهُ جاءه الفرج وخفَّ عن عاتقهِ حمل ثقيل وقال لمنطور قد صنت عرضي ومجدي بهذا القول المقنع ولم ينثلم صيتي ولكن كيف يدخل على هولاء اني اريد ارسال جنود الى طياكي لتولية عولس او تولية ابنهِ والابن رهن عندهم فقال منطور لا يهمك هذا الانتقاد لاني لا اقول الاّ الحقَّ فافيدهم ان السفن التي تبعثها للتجارة ذاهبة الى بلاد الارناووط بقصدين الاول لتجلب من هناك الغرباء الذين منعهم عن الحضور الى سلانتة زيادة المكوس والكمارك التي توخذ على البضائع والثاني للبحث عن عولس واستطلاع اخباره لان بعضهم قد اخبر انهُ راه في جزيرة كورفو بين ايطاليا وبلاد اليونان فاذا لم تجتمع بهِ هذه السفن تكون قد صنعت مع ابنهِ اعظم معروفٍ باشهار اسمهِ في بلاده وما جاورها فيقع الرعب في قلوب اعدائهِ ويدري طلاب امهِ انهُ حيًّا تجهز للعدو بمساعدة حكومة معاهدة فلا يستطيع حينئذٍ اهل طياكي ان يخرجوا عن الطاعة وتتسلى والدتهُ بذلك وتنتظر حضوره

وتصرُّ على عدم الزواج وبهذا تستخلف تلماك عوضًا عنك في الحرب مع الدونية ويستحسن هذا العمل كل انسان وياخذ الصدق حقَّهُ

فسرَّ حينئذٍ ايدومينوس وقال ما اسعد الملك المعان بنصائحك فالمصاحب العاقل للملك خيرٌ من الجيش المنصور والذي ينقاد لنصائح العقلاء هو سعيدٌ خلافا للملك الذي يتجنب مجالسة العقلاء ونصيحة الفضلا ويدني ارباب التدليس ويسمع مقالهم كما وقع لي مما اقصهُ عليك من متحببٍ كاذب ومظهر الصداقة منافق فعمل منطور وسيلة وافاد الملوك ان ايدومينوس يتكفَّل بمصالح تلماك مدة السفر فرضوا بذلك واكتفوا بان يكون معهم في الحرب هذا الشاب ومعهُ ماية من الكريذيين مثلهُ فانتخبهم ايدومينوس من ابناء الاعيان النجباء المتازين بالشجاعة كما اشار عليهِ منطور وارسلهم الى هذه الغزوة ٠٠ ثمَّ قال منطور عليك ان تسعى زمان الصلح في تكثير الاهالي وتعليمهم الفنون الحربيَّة وترسل الى الحروب الاجنبيَّة اولاد الاكابر والاعيان الذين هم في درجة الفتوَّة ليقع التنافس والتسابق بين جميع الامة ويميلون الى اكتساب الفخر وشرف النفس وحبّ الغزو والجهاد والاقدام على الخطوب فسار جيش الملوك المتعاهدين من

سلانتبة ممنونًا لايدومينوس ومتشكرًا من منطور ومسرورًا
بمصاحبة تلماك واما تلماك فقد حزن على افتراقه عن منطور
وبينما كان الملوك المتعاهدون مشغولين بوداع ايدومينوس
وتاكيدهم لهُ انهم يحافظون على العهود الى الابد اخذ منطور على
انفراد وعانقهُ ودموعهُ تذرف من عينيهِ وقال اني مسرور بالسفر
الى الحرب لكسب الفخار ومكدرٌ من فراقك الذي ذكّرني ما
مضى حين فرّق بيننا المصريون ثمَّ اجتمعنا والان قد تفرَّقنا
فعزّاه منطور بلطيف الكلام وقال لهُ بونٌ عظيم بين الفراقين
لان هذا عن طوع واختيار وهو قصيرٌ وانت تكون فيهِ مولى
للملوك والنصر لك فعليك ايها الولد النجيب ان تحبني محبةً
لاتبلغ هذه الدرجة بالتأثر من فراقي لانك لاتجدني معك الى
الابد فيجب عليك ان يكونْ الباعث لك على تأدية الواجبات
لي انما هو الحكمة والاستقامة لا حضوري معك ومراقبتي اياك

فلما قال هذه الكلمات نفثت الحكمة في قلب تلماك واوحت
اليهِ حسن الصنيع والهمته التحلي بالحكمة والتدبير الحسن
والتبصر في العواقب وكسته حلّة الثبات واقتحام المصاعب
وضمّت الى ذلك ما لايجامع الجسارة والشجاعة من الرفق واللين
والحكم والشفقة . ثمَّ قال لهُ منطور اذهب الى اي خطر كان منهي

احتاج الامر فان المرء يتدنس عرضه اذا هاله الخوض في المعارك ولم يقتسم الاخطار مع اربابها فان هذا يشينهُ اكثر من الامتناع عن السفر لحضور الحرب وينبغي لمن يقود الجيش ان تكون شجاعتهُ محققة لينفذ على الجميع امره ونهيه ويحيي قلوب الجنود ببسالته واياك تهاب الاخطار بل مت في ميدان الحرب خيرٌ لك من ان يرميك الناس بالجبن واحذر المداهنين الذين يصدّونك عن التعرّض للخطر حين الاقتضاء فانهم اول من يقول في حقك انك ضعيف الفؤاد جبان ويفوّقك بسهام الملام ولكن لا ينبغي لك أن تخاطر بنفسك وقت الرخاء فان الشجاعه ليست محمودة الاّ اذا كانت موزونة بميزان العقل والحزم والاّ فهي عبارة عن احتقار النفس النفيسة ولا تعود تدعى شجاعة بل حدّة غضبية لان الرجل الذي لا يملك نفسهُ وقت الاخطار هو انسان غضبيٌّ لا شجاع باسل ولا يعدُّ من فحول الرجال لانهُ يخرج عن مركز العقل ويعدم الكرّ والفرّ وينسى خدمة الاوطان ومنفعة البلدان وان كان عنده شجاعة النفر العسكري فليس عندهُ فطانة الرئيس الكامل ولا امارة الامير القائد بل ليس متصفا بحقيقة شجاعة النفر لان النفر من واجباته ان يحافظ في المعركة على استحضار عقله حتى يكون

ملازمًا الطاعة فايّ محارب تعرّض للمجازفة في الحرب العوان كدّر نظام العساكر واخلّ بالتعليمات الحربية وكان قدوةً للمخاطرة والمكابرة وعرّض الجيش للوقوع في مكايد الاخطار فكلٌّ من يفضّل مطامعهُ الفاسدة على مقتضيات المصلحة العامّة يستحقّ الجزاء والعقاب فاحذر يابنيّ ان تطلب الفخار بدون صبرٍ وتروٍّ بل انتظر الفرصة للحصول عليهِ ومتى دعت الحاجة لاقتحام الاخطار وجب التبصر والحزم في الشجاعة لبلوغ المرام ولا تسلك في امورك مسلكًا يجلب اليك غيرة الغير ويوجب عداوة الاخرين بل امدحهم بما يستحقون عليهِ المدح وليكن مدحك مصحوبًا بتمييز كلٍّ على قدر حالهِ بان تذكر حسنات ذوي الاحسان من قلب متهلل بالفرح وتضرب صفحًا عن سيئاتهم وترثي لحال فاعلها ولا تحكم وتقضي بشيءٍ استقلالاً بحضور هولاء الروساء العظام الذين مارسوا الامور وجرّبوا الوقائع وانت خليٌّ من ذلك فاسمع قولهم مع الادب والاحترام وشاورهم في كبير الامر وحقيره واخضع لارباب المعارف وتعلّم منهم ما لم تعلمهُ وانسب الى ما تعلمتهُ منهم جميع الامور الصائبة ولا تسمع ابدًا قول من يغويك بالبعد عنهم ليوقع بينكم العداوة والمنافسة واذا تحدثت معهم فاعتمد عليهم وثق بهم ولا طفهم

بالخطاب لتمكين الحب واذا رايت او سمعت انهُ حصل تقصير في حقك من احد منهم فعاتبه برفق فان وجدتِ فيهِ اهاليةً لفهم مقصدك وعاد الى نفسهِ بالاذعان فحدثهُ بما يشرح صدره ويعظم قدره فبهذا تؤمل منهُ نوال ما تحتاج اليهِ واذا رايتهُ لا عقل لهُ في موافقة رأيك فصبرّ نفسك على تعسُفهِ واحترس ان ترتكب ما يشينك مثلهُ او ان تفشي لبعض المتملقين والوشاة شكوى ما تظنهُ ظلماً عن هولاء الرؤساء الذين انت مقيم معهم في الحروب والوقائع

واما انا فاقيم هنا لمساعدة الملك اذا احتاج الى مساعدتي لاجل تتميم جبر الخلل وازالة ما ارتكبهُ بسعي المنافقين فاعضدهُ على ترتيب مملكتهِ وتهذيب سكان مدينتهِ · حينئذٍ اظهر تليماك العجب وازدرى بسلوك ايدومينوس فردَّ عليهِ منطور عابساً كيف تعجب من اظهار الضعف من الناس المعتبرين الذين هم من جنس البشر مع ان ذلك ثابتٌ في الطباع البشريّة لا سيما في اثناء مصايد واشراك منصوبة لاقتناصهم نعم ان ايدومينوس تربَّى في حجر الزينة والسعة وشرب في المهد كاس المداهنة والملاطفة وهولاء وساهِ · ولكن ايُّ حكيم يمكنهُ صون نفسه عن سماع النفاق والمدح اذا كان ملكاً مكان ايدومينوس ومعلوم

ايضًا انهُ ترك نفسهُ حتى استولى عليهِ امناؤهُ وتولى الامور امراؤه ووثق بهم كل الوثوق وقد يقع في الغش عقلاء الملوك وحكماء الحكام ولو بلغوا ما بلغوا في الاحتراس فان الملك لا يمكنه ان يتجرد عن الوزراء الذين يعاونونهُ لانهُ لا يقتدر على فعل شيء بنفسهِ فلا بد ان يستعين بغيره وايضًا الملك لا يعرف اكثر من غيره من افراد الناس المخاطبين بهِ واذا اراد ان يكشف حال أُمنائهِ من تعدَّى منهم او ظلم فانهم متى قربوا منهُ تزيّوا بزيّ آخر ولبسوا ثوب الاعجاب وبذلوا جهدهم في المداراة والتدليس فاذا اختبرهم وجرَّبهم وظنَّ أَنهُ توصل الى معرفتهم يكون وقع في الوهم والغلط واذا اشتبه عليهِ الحال واراد ان يربي اناسًا للحكومة ويحسن تربيتهم فقلَّ ان يبلغ الغرض لاصلاح حكومتهِ طبق المرغوب بل يتجدد عنده رجال يظهرون بمظهر العناد والمعارضات والحسد والغيرة فلا يمكنهم ان يرجعوا الى الحق بالدليل ولا يتمكن من تصحيح خطائهم وارشادهم الى سواء السبيل

فكلما كثرت رعايا الملك احتاج الى كثرة الوزراء والوكلاء فكان عرضة للخطاء في انتخابهم فان من يعترض بالامس على الملوك ويبالغ في القدح في اعراضهم بعدم الاحسان لو سُلِّم اليهِ زمام الملك في الغد لحكم احكامًا لا تصان من الزلل بل ربما

تكون ادنى من حكم السالفين وربما ارتكب الخطاء الذي ارتكبهُ غيره ولامه عليهِ وضمَّ اليهِ زيادة اخرى خطائية ابتدائية فالانسان متى كان خارج دائرة المناصب الملوكية وانضمَّ الى معارفهِ حسن الفصاحة وتحدَّث مع الناس في المحافل غطَّى ذلك على عيوبهِ الطبيعيَّة وتراءى لهُ انهُ يليق لهُ كل منصب والحال انهُ بعيد عن كلّ منصب فاذا دخل في الحكومة كان هذا اوان تجربتهِ واختبارهِ ليظهر ما خفي من عيوبهِ

فالابهَّة الملوكية كناية عن نظَّارة معظَّمة تشاهد فيها المنظورات فوق حقائقها والزهو الملوكي عبارة عن مرآءة مجسمة تعكس بها الحقائق المرئية بصور اجسم مما هي عليهِ فبهذا يتراءى ان اجرام العيوب وحجوم الذنوب تنمو وتزيد في المناصب الجسيمة التي ادنى الاشياء فيها كبير النتائج فان جميع الناس ملاحظون رجلاً واحداً وهو ربُّ الدولة ترمقهُ العيون وترشقهُ بسهام الظنون ويقضى عليهِ في جميع ما يفعلهُ بالاستحسان او الاستقباح وليت شعري هل من يقضي عليهِ بذلك وعندهُ تجربة لحالهِ او ذاق مرارة اشغالهِ او عرف الموانع والمشكلات فمن يحكم على الملك ويقضي في شان تدبيره بالاستقامة لا بشخَّصهُ امامهُ كبقية الرجال بل يصوّرهُ في ذهنهِ على وجه المحال انهُ بلغ اعلى الدرجات

ووصل الى اوج الكمال مع ان الواقع مهما بلغ عدلهُ وحكمتهُ وتدبيرهُ لا يخرج عن حدّ البشرية فبها يكون معيارهُ وقياسهُ . وكذلك حسن سلوكهِ فهو نسبيٌّ معدودٌ من الاضافات لا اطلاقيٌّ فلا يوزن الاَّ بميزان البشر

فاطول الملوك مدةً واحسنهم سياسةً تقصر مدة حكمهِ عن بلوغ قصدهِ ولا تكفي لاصلاح ما افسدهُ بغير اختيارهِ في فواتح حكمهِ فالمناصب الملوكيّة محفوفة بالمكاره الدنيويَّة فما دام الملك من البشر هو عاجزٌ بالضرورة عن حمل اعباء الملك الثقيلة فيجب على كل انسان ان يرثي لحال الملوك لانهم يسوسون كثيرًا من الناس الذين لا نهاية لمصالحهم الشاقّة على من يريد ان يحسن الحكم والتدبير لجلب نفعهم واذا نظرنا الواقع نجد الناس يرثون لحال الملوك لانهم تحت رياسة ملك نظيرهم في البشرية مستولٍ عليهم من طرف الاله وهو يرثي لحال الملوك لانهم بشر مثل رعاياهم موصوفين بالعجز والنقص . فاجاب تليماك بجدَّةٍ ان هذا الملك قد اضاع من يدهِ مملكة اجدادهِ جزيرة كريد فهل يحسب من الملوك العظام فقال منطور لا شكَّ انهُ اخطأ ولكن اذا بحثت في بلاد اليونان وغيرها لا تجد ملكًا خاليًا من الذنوب التي لا يقبل فيها الاعتذار أَوَ ليس ان الرجال العظام ممزوجة

طبائعهم الفطرية بصفات نقص تجذبهم الى ارتكاب ما لا يليق فاجلُّهم
قدراً من يعترف بالخلل ويصلح ما صدر منهُ من السقطات
اتظنُّ ان اباك عولس الذي هو ركنٌ لجميع ملوك اليونان يخلو
من الزلاَّت هذا من قبيل المحال ولو لم ترشد سلوكهُ الحكمة الالهيَّة
خطوةً فخطوةً لسقط في اخطر هوَّةٍ فكم من مرَّةٍ مسكت الحكمة
زمامهُ وارشدتهُ الى طريق الفخار ولولاها لحاد عن المنهج القويم
ولا بدَّ حينما تراهُ حاكماً في طياكي ان تجد منهُ قصوراً
وعيوباً ظاهرة لعين الناقد البصير ومع ذلك جميع اليونان
واهل آسيا وجزاير البحار استحسنوا ادارتهُ وحكموا انهُ قطب
الرحى وعليهِ المدار على علاَّتهِ وزلاَّتهِ ولكن مآثرهُ الكثيرة
غطَّت على مساويهِ القليلة وان شاء الله تسعد برؤيتهِ وتستحسن
مشروعتهُ وتدبيره وتجعلهُ استاذاً لك وقدوةً

فاعتمد يا تليماك على عدم مراقبة رجال السياسة وكبار الملوك
فهولاء لا يطلب منهم الا ما يقتدرون على حملهِ بمقتضى ناموس
الطبيعة البشريَّة وقانون الغريزة الانسانيَّة فاعتراضك ناشيءٌ
من قبل الشبيبة المجرَّدة عن التجربة التي تنهمك على الاعتراضات
الادَّعائيَّة فلا تقتدِ بالشبان العديمي التجربة بل يجب عليك
ان تحترم اباك وتعظِّمهُ ولو لم يبلغ درجة اوج الفضائل واعتبر

ايدومينوس ايضًا ولو كان صاحب زلّاتٍ فلا يمنع انهُ وقور مهاب متصف بصفاء القلب والاستقامة والمعروف والشجاعة الوافرة يبعد عن الغش منى علمهُ و يتبع الصدق وفعل الخير يعترف بذنبهِ وخطائهِ ولا يعبأ بلوم اللائمين يحمل ان يسمع من مثلي الكلمات القاسية وفي كل هذا يظهر أنّهُ شريف النفس كريم الطبع فمثالهُ لا يذمُّ ولو انهُ ارتكب ذنوبًا وهفواتٍ قلَّ من يخلو منها من الملوك والرؤساء لكن ندر ان يفعل ملك من الملوك ما فعلهُ اليوم في اصلاح ما وقع منهُ فانا نفسي لا اقدر الّا أن امدحهُ في نفس الوقت الذي ينبغي فيهِ ان اناقضهُ فاستحسنهُ انت ايضًا وصرّح بمدحهِ وانا قد نصحت لك لنفعك لا لاشهار صيتهِ بين البريّة فاسمع سماع قبول وقم بسلام فقد آن اوان الرحيل فالوداع الوداع وانا انتظرك هنا وارتقب حضورك واذكر ان من يتقي مولاه لا يخاف الشقاء واعلم انك ستلقى اخطارًا عظيمة. ولكن الحكمة التي لا تنفك عن ملازمة ذاتك تقيك من جميع الآفات في كل آنٍ فشعر تليماك بحضور الحكمة معهُ كأنّها تحادثهُ ليأمن على نفسهِ وكأنّهُ متدرعٌ بدرعها ثمَّ قال لهُ منطور لا تنس يا بنيَّ جميع ما بذلتهُ في تربيتك من الصغر الى الكبر لكي اعلمك الحكمة والتدبير كابيك فلا تفعل الا ما يكون منسوجًا على منوالهِ

واتبع نصيحتي وتمسك باذيال قوانين الحكمة واصول حسن الفضيلة وتخلق بالاخلاق التي تلقنتها مني وسر بحمد الله في الطريق الميمون وكانت الشمس قد طلعت حينما خرج الملوك من سلانتة للاجتماع بجنودهم وكانت الجنود حول المدينة فسار وانحت رايات روسائهم بابهى زينة فكان يُرى من كلِّ جانب لمعان الاسنَّة والصفاح وبريق الدروع ما يكاد تأَلقهُ يخطف الابصار فخرج كلٌّ من منطور وايدومينوس لتشييع الملوك الى خارج المدينة واظهر كلٌّ لصاحبهِ علامات المحبة وصحة الصداقة وتحققوا جميعًا ان عروة الصلح المنعقد بينهم غير منحلَّة لما علموه من حسن سيرة ايدومينوس وصفاء قلبهِ فلما ارتحلوا اخذ ايدومينوس منطور من يده وذهب بهِ ليفرّجهُ على اخطاط بلده فقال لهُ منطور لا بُدَّ ان ننظر مقدار الناس في المدينة والضواحي المجاورة لنحصيهم عددًا وننظر عدد الفلاحين منهم والمزارعين وكميَّة محصولات الارض باعتبار سنة واحدة حدًّا اوسط ومقدار ما ينتج من الحنطة والعنب والزيت وغير ذلك ونعرف اذا كانت الارض تكفي اصحابها وسكانها قوتًا وهل يحصل منها للتجارة الخارجية قدر كافٍ زيادة عن حاجة الداخل وننظر ايضًا كم عندك من السفن والملاحين لنعرف قوتك العسكرّية فذهب

منطور الى الميناء وزار كل سفينة واستعلم عن القرى والمدن وعن السفن التي تذهب الى كل مدينة قصد التجارة وعن اصناف البضائع التي تحمل الى الخارج للاتجار والاكتساب وعن البضائع التي تجلب من الخارج بالاعتياض والاستبدال وعن مصاريف كل سفينة ذهابًا وايابًا وعن كيفيّة الاقتراض المقرر بين التجار وعن الشركات المنعقدة بالامانة ليعلم هل هي مؤسّسة على العدل والعمل بها على الاصول ثمّ سأل عن اخطار الغرق في البحر وآفات التجار التي توقع في التفليس لان طمع التجار في الكسب وشرههم في الارباح يكلفهم ما هو فوق الطاقة

وخطر ببال منطور أن يرتب جزاء شديدًا للتفليس لان المفلسين وان كانوا اصحاب امانة قد يكون سبب تفليسهم غالبًا المجازفة والمخاطرة دون الكساد فعمل قوانين لاجتناب التفليس وتقليلهِ بل لازالتهِ مطلقًا لراحة التجارة فرتب مجالس تجارة لمعرفة راس المال والارباح والمصاريف والاخذ والعطاء والخسارة ومنع فيها المخاطرة باموال الغير وان التاجر لا يخاطر الا بنصف ماله وان التجار يعقدون شركات عموميّة لقيام الاشغال التي لا يقتدر عليها الفرد وجعل قوانين هذه الشركات التي صار القرار عليها جارية نافذة وقد اعطى رخصة للتجارة مطلقة بعدم

الكمارك والمكوس ووعد بالانعامات على من يجلب بضاعة جديدة اوليَّة الى سلانتة فانفتح للتجار اوسع طريق وكثرت الوفود من كل قطر ودار الاخذ والعطاء وصارت اسباب الغنى مطَّردة وحسن الحال وزادت الامنيَّة

ثمَّ دخل المدينة وزار المخازن والمعامل والمحترفات وامعن النظر في الاسواق العموميّة والخصوصية واصرَّ على بيع الامتعة الاجنبيَّة التي اجلبت لمحض الزينة ورتب ما يقتضي في المملكة من امور الملابس والمآكل وامتعة البيوت وبين مقدار اتساع البيوت والمنازل وكيفية ما يؤذن بهِ للتجمل على اختلاف مقامات الناس والمنازل ونهى عن التزيُّن والتحلي بالنقدين وانهُ لا يجوز استعمالهما الا في المعاملات وقال لايدومينوس انا لا اعرف الا طريقة واحدة تعلم رعيتك القناعة وعدم الاسراف وهي ان تقنع وتقتصد في جميع امورك ليقتدي بك الجميع نعم انك تحتاج الى الامتياز في مظهرك الخارج ليهابك الناس فيكفي وجود حرسك وما يتبعك من كبار الامراء فهم علامات الامتياز والابهة تقنع من الملابس بلباس الصوف الجيد المصبوغ بالاحمر الارجواني واما اكابر الحكومة الذين يتبعونك فيلبسون مثلك الصوف والفرق اختلاف اللون مع زيادة شريطة من القصب الخفيف

على حواشي ملبوسك فبهذا يرتفع الاشكال فلا حاجة الى ذهب وفضة وجواهر كريمة لبيان المراتب ورتّت مقامات الاهالي على اختلاف طوائفهم حسب انسابهم واحسابهم لتظهر بها درجاتهم في الرفعة والضعة . فالدرجة الاولى لمن لهُ شرف سابق وفخار قديم ويتلوهم الذين شُرِّفوا بمعارفهم وخدامتهم السياسيّة بشرط ان لا ينسوا انفسهم انهُ نالوا المنح الشريفة والترقيات باقرب وقت وان لا تشوّق منهم الأّ من كان متصفًا بالتواضع بين الاقران بحالة تزن ورخائهِ فالشرف الذي لا يحرّك الغيرة ولا يثير الحسد هو الشرف الموروثُ خلفًا عن سلف واما من احسن السلوك من الرعية فيعطى اكاليل وتيجانا ووسامات وعلامة على الافتخار نظير افعالهِ الحسنة وهذا يكون مبدأ استقبال مجد وشرف لذراري هؤلاء المتخلقين بالاخلاق الحسنة

فارباب الدرجة الاولى الذين هم بعد جنابك يلبسون الابيض بحاشية من قصب في اطراف ملبوساتهم ويتختمون بخواتم الذهب وفي اعناقهم صورة من ذهب فيها تمثال صورتك العليّة والدرجة الثانيه يلبسون الازرق بحاشية من فضة وخاتمًا فقط والثالثة الاخضر ووسامًا من الفضة والرابعة الاصفر الذهبيّ والخامسة الاحمر الورديّ والسادسة السنجابي والسابعة الاصفر

المائل الى البياض فهذا ملابس الدرجات السبع المختلفة للذين هم احرار واما من في الرق والعبودية فله اللون الرمادي وبهذه تتميز الدرجات بدون كلفة ولا مصروف ثم تبطل من مدينتك الصنائع المستعملة للزينة والفنون المضرة والمعرفة التي تعدّ من السفه وتدخل اصحابها في ممارسة الصنائع النافعة او في التجارة والفلاحة لتكثير المنافع ولا ينبغي ان تغير ادنى تغيير في الاكسية بل تبقى على صورتها المعهودة ولا يؤذن للنساء اللواتي تحق لهنّ الزينة ان يتغالين فيها

ثمّ لا زال منطور يحثّ الاهلين على خلع الزينة ويريهم انها مضرّة بالاخلاق والآداب حتى انمحى من المملكة اثرها وشرع يرتب الاطعمة بالنسبة للاهالي الاحرار والارقاء على مقتضى الاوقات فقال للملك أليس من العار ان وجوه الناس واهل التربية الحسنة يجعلون معظم الهمة في تناول اللحوم المطيّبة بالتوابل والاصناف التي تفتر الهمم وتميت القلوب الزكية وتضرّ على التمادي ببنية الاجساد القوية حتى تفضي بمستعمليها الى الهلاك وكان ينبغي ان يجعلوا سعادتهم وخيرهم في الاقتصاد في المعاش والاجتهاد في تحصيل العزّ والجاه فبالقناعة يصير القوت المتصف بالبساطة لذيذ الطعم مألوف للقلب وبه تصير بنية

البدن سالمة قوّية ويفيد التمتع باللذات الصحيحة وانفتاح الشهوة فيلزم ان نقتصر على اكل اللحوم الطيبة ونضجها بدون توابل ولا تتأنّق في اصناف واشكال تخلّ بآلة الهضم فاللحم الممزوج بالتوابل يهيج الشهوة فيتناول منهُ الآكل زيادة عن اللزوم وذاك السمّ القاتل . ففهم الملك انهُ مخطئٌ في ترخيصهِ لاهل المدينة في ما يرغبون فيهِ على الاطلاق حيث لم يجبرهم على التمسك بقوانين مينوس المفيدة القناعة والزهد واقرَّ بخطائهِ لمنطور فقال منطور ولو اخذتَ بالعمل على موجب هذه الاحكام لا يفيدك ان لم تبدأ بنفسك حتى يقتدي بك الناس فرتب ايدومينوس مائدته حالاً طبق ما اشار اليهِ منطور وتبعهُ الناس حيث قنع بهِ الملك وارتضاه فاصلح كلُّ انسان ما كان ابتُلي بهِ من التأنّق في المآكل وبطل تركيب الاطعمة المتكاثرة

ثم بطل منطور آلات الملاهي والالعاب والعوائد المخلة بالاخلاق الحسنة والآداب ونهى عن الاغاني الغراميّة وشدد الجزاء عليها ولم يبح من فنّ الموسيقى وآلات الانغام وضروب الالحان ومقامات الاغاني الا ما كان يتغنى بهِ في مدح الالوهية وخصّ ذلك في المواسم والاعياد الدينية لمديح المولى وذكر الصلحاء وارباب الفضائل ولم يرخّص بالبنايات الجسيمة الحسنة الّا لاجل

المعابد الدينيّة وتحسينها بالاعمدة والافاريز والاواوين وصنع مثالاً للبنايات السكنية بسيطاً لا زينة فيهِ سهل البناء متوسط الارتفاع ظريف المنظر فيهِ المنافع والمرافق اللازمة لكفاية العائلة الكثيرة الاهل والغرف الملايمة لصحة سكانه ونظافة الاهوية وجعل لكل بيت متسع منظرة وسقيفة صغيرة وعدة اروقة بقدر الحاجة ونهى عن تكثير المساكن غير اللازمة وعن زخرفتها ورتب لمن يخالف ذلك عقوبات مختلفة وكان هذا الجزء اظرف واجمل من الجزء الذي كان قد تمَّ بناؤه حسب اغراض الرعية مع الاتساع والزينة وحصل كل ذلك باقرب وقت لكثرة البنائين الذين حضروا من سواحل اليونان وبلاد الارناووط وغيرها وصار التراضي معهم انهم بعد انتهاء البنيان يستوطنون حول مدينة سلانتة ويتعيشون من الاراضي التي يعمرونها بالزراعة والحراثة وقد رتب منطور ايضاً فن النقاشة ونحت الاحجار وقال لا يسوغ اهمالهُ وانما يشتغل بهِ انفارٌ قليلون يكون لهم سلامة الذوق وحسن الادارة ولا يناط بهم من الاشغال الاما كان الغرض منهُ حفظ مآثر مشاهير الرجال وتذكر آثارهم الجميلة ورخص ان يرتب في البلاد بنايات رحبة وميادين فسيحة معدة لسباق الخيل والعربات ولمصارعة المصارعين وسائر الحركات

البدنية والغى تجارة كل ما هو للزينة من اقمشة واوانٍ فضية وذهبية وتجارة الاشربة المخدرة والعطريات الذكيّة الرائحة المتلفة فبهذه الترتيبات والاقتصادات صار اهل سلانتة اغنياء بعد الفقر والمسكنة

ثم زار الترسخانات والجبخانات لينظر هل المهمات الحربية كافية فبعد الفحص وجد انها غير كافية كما ينبغي للملك الحازم فجمع الفعلة وجلب الحديد والنحاس وبنى المعامل واشتغل الصناع حتى صار يسمع اصوات المطارق على السنادين كاصوات الرعود وامتلأ الجوُّ بالدخان واللهب المتصاعدة كأنَّ جبال اثنا البركانية هاجت بقذف المواد المعدنيَّة وكان يظنُّ الانسان انهُ في جزيرة صقلية ذات البراكين التي يقول اهل الخرافات اليونانية انَّ فيها مصانع الصواعق النارية التي اعدَّها المُشتري لنفسهُ وعنونها باسم الحروب

ثم خرج منطور من المدينة مع الملك وسارا نحو البرية فراى ارضًا واسعة خصبة لكنها غير مزروعة واخرى سهلة مزروعة لكنها غير متقنة كما يجب لفقر الفلاحين فقال للملك ان هذه الاراضي لا تطلب منك الاَّ زيادة السكان وتحسين حالهم فتاخذ جميع الصناع الذين صناعتهم تفسد الاخلاق وتشغلهم

في حرث السهول واحياء الموات نعم ان هولاء الصناع كانت صنعتهم تستدعي الراحة والجلوس في مكان واحد وليسوا بمعتادين على الزراعة والكدّ فيكابدون الاتعاب فادعُ القبائل المجاورة لمساعدتهم على الاشغال الشاقّة ويجتهدون في احياء الموات وياخذون جزاء معيّناً من محصول ما يزرعونهُ ولا مانع فيما بعد من ان يملكوا حصة من هذه الارض وينظموا في سلك الاهالي فتكثر الرعية وتزيد القوة . والذين يخرجون من صناع المدينة ويسكنون هذا الخلاء على كلّ حال يعتادون على الاشغال ويربوا اولادهم في حجر المشقات وكذلك البناؤون الذين حضروا من البلدان الاجنبيّة قد اتفقوا ان يعمروا قطعة من الاراضي الزراعية بعد الفراغ من الشغل فانظمهم في سلك رعاياك فيرضون بهذا الشرف ويدخلون تحت حماية حكومتك العادلة وهولاء يحبّون الكدّ والشغل لما عندهم من القوة والعادة ولعلّ الصناع الاخرين الذين خرجوا من المدينة وسكنوا الريف يختلطون بهم وبعد مدة من الزمان تصير هذه البرية معمورة بعائلات وعشائر اقوياء ذوي همة ورغبة في الحرث والغرس وتصطلح احوال الاهالي والبلاد

فلا يهمك امر عمران البلاد وزيادة الاهالي بشرط ان

تسهّل لهم امر الزواج للتوالد والتكاثر وامرهُ هين وذلك ان جميع افراد الرجال يرغبون في الزواج فلا يمنعهم من الاقدام عليهِ الاَّ الفقر فاذا لم تثقل عليهم الضرائب عاشوا بلا تعب مع نسائهم واولادهم من غلاَّت المزارع لان الارض ليست قليلة الخير يعيش منها كل من يعتني بخدمتها وكلما كثر نسل الفلاحين تكاثرت المحصولات ما لم يعاملهم رئيس الحكومة بما يورث الفقر وذلك لان اولادهم يساعدونهم بحسب الطاقة فاصغر الاولاد مثلاً يرعى الغنم والضان ومن فوقهُ في السنّ يرعى المواشي الكبيرة كالابقار واما الكبار من الاولاد او الاخوة فانهم يزرعون ويحرثون مع ابي العائلة وامهم التي هي رئيسة العائلة تجهّز بسيط الطعام لزوجها واولادها فيحضرون مساء الكبار والصغار وقد ذاقوا التعب والنصب من اشغال النهار فتهتمّ بحلب الماشية من بقر وغنم وتوقد النار فيجتمعون للدفء والراحة وياكلون ثمَّ يغنّي من يحسن الغناء حتى يغلب عليهم النعاس وقد نسوا ما حصل لهم من التعب والنصب فينامون على بساط الراحة الى الصباح ويقومون الى اشغالهم بكل نشاط وهكذا على ممرّ الايام

فقال ايدومينوس كيف اعامل هولاء الامم اذا اهملوا الزراعة والحراثة فاجابهُ منطور عاملهم نقيض المراد وذلك ان الملوك

الطامعين يبذلون الجهد في اخذ الاموال الكثيرة من اصحاب الكدّ والاكتساب المثرين و يتساهلون مع الذين افقرهم الفتور والكسل فاعكس هذا الامر وضع ضرائب وتغريمات وعقوبات على من اهمل ارضهُ بعدم الزراعة والحراثة واجعل مكافآات وانعامات للذين يكثرون الزرع والحرث و يعتنون بذلك وحينئذٍ يجتهد الناس في الحرث والزرع وتصير الفلاحة شرفًا ومجدًا فيظهر المحراث في ميدان الفخر بيد العساكر الظافرة التي شقت الارض اخاديد وتصبح الارض الخلائيّة ميدان نضرة وخضرة تكثر فيهِ السنابل الذهبيّة اللون وتتدلى في رياضهِ دوالي الاعناب وتكثر المراعي في الرياض والوديان على حدود الجداول والغدران فترعى الغنم في المراعي وترد المناهل ولا تخشى من وحش الفلا والذئب النائل

فقال الملك اذا صارت الامة على هذه الحال متمتعة بالسلم والراحة أَما يخشى عليها من الافساد فتقوم على الملك وتشهر السلاح بوجههِ وتخرج عن طاعتهِ وتنسى ما منحها اياه فقال لهُ منطور لا تخف هذا امر هيّن وابطالهُ بالشواهد والادلة فكم تعلل بهِ من الملوك المبطلين الذين يحملون رعاياهم فوق الطاقة وعلاج ذلك سهل يؤخذ من متابعة الاحكام التي رتبناها للمزارعة فانها

قد جعلت اشغالهم تستغرق اوقاتهم ولا تفرغ الاّ بفراغ حياتهم ومع كثرة ثروتهم لا يبقى عندهم الاّ ما يكفي حوائجهم الضرورية وايضاً لو فرضنا ان الثروة صحيحة فانها تتناقص بسهولة الزواج وزيادة العائلة اذ كل عائلة يكثر عددها وليس لها الاّ ارض ضيقة فلا بُدَّ ان تدمن الشغل فيها بلا فتور ولذلك لا يصير فساد لان الفساد يكثر بالبطالة والكسل . . ولكي تدوم الرعية على حالة الرضى والقناعة والاقتصاد يلزم ان ترتب لكل عائلة قسماً من الارض تملكه ملكاً مطلقاً وقد فهمت قبلاً اننا قسمنا الاهالي الى سبع درجات فينبغي ان ترخص لكل عائلة من كل درجة ان تملك قطعة من الارض منفصلة تكفي لحالة افرادها وتضع قانوناً موضح الاحكام يجري العمل بموجبهِ بكل دقةٍ واحتراس ولا يقتدر احد من الاعيان والاكابر ان يجور على اراضي الفقراء واذا كثر الناس على تداول الايام وضاقت الارض بهم فارسل منهم الى منتجعات قاصية وجهات خالية وحينئذٍ تعظم قوة المملكة ويتسع الوطن وينبغي لك ايها الملك ان تحذر من كثرة المشروبات في بلادك لانها تلقي في التهلكة فاذا كثر غرس الكرم فلا بدَّ من نزع ما يزيد عن الحاجة منهُ فان الخمر امُّ الخبائث واصل البلايا والحوادث فينبغي ان تكون في المملكة مصونة غير مبتذلة لا يقدر

على تعاطيها الرعاع والسفلة ولا تستعمل الاَّ بمنزلة صنفٍ من اصناف الادوية الطبية او بمنزلة الاشربة النادرة الوجود فلا تستعمل الاَّ في الهياكل والمعابد لحاجة الاحبار والكهان او في المواسم والاعياد وان لا يسكر شاربها ولا يعربد ويكون لها قانون مربوط معمولٌ بهِ

ويجب عليك ان تتمسك بقوانين مينوس وتجري منها ما يتعلق بتربية الغلمان وتأديبهم فترتب مكاتب اهلية لتعليم الفوائد الالهيَّة حتى يتعلم الجميع الخوف من الاله وينتقش في قلوبهم ان راس الحكمة مخافة الله ويتعلمون فيها حبَّ الوطن والتمسك بالاحكام والشرائع ويحفظون القوانين والاصول التي عليها مدار فخار الملك والرعية وبها حفظ الشرف والاعراض عن الشهوات الجسديَّة ٠٠ ونصِّب قضاةً عدولاً وحكاماً لمناظرة العائلات وملاحظة الاخلاق واجراء الاحكام بل عليك ان تباشر ذلك بنفسك وتلاحظ كلَّ الملاحظة وترعاهم عينك ليلاً ونهاراً فبهذا تتدارك الوقوع في الخلل وتمنعهم من ارتكاب المحارم والجرائم ورتب للمذنب القصاص الشديد والجزاء على من تعدّى الحدود وهذا ضربٌ من الحلم والشفقة اذ فيهِ حلم وشفقة على الباقين فاذا سفك الحاكم قليلاً من الدماء بموجب الاحكام الشرعية

وقاد البعض لحسم الفتن فانهُ يحقن دماء كثيرين من الرعية اذ يعتبرون بما يشاهدونهُ في حق الجانين والمرتكبين الكبائر وبذلك تصير ذا هيبة ووقار ولا تُعدُّ من الظالمين وما يُعدُّ من الاصول الرديئة التي يتمسك بها الملوك ويعتقدون ان فيها امنية ارواحهم وحفظ نفوسهم هو ظلم العباد والتضييق عليهم ثم يحجبونهم عن العلوم والمعارف ولا يرشدونهم الى الفضائل ولا يستميلونهم اليهم بل يلقون في قلوبهم الخوف حتى يصلوا الى درجتي القنوط واليأس فبهذا تصير الرعية عاجزة عن الارتياح مائلة الى التخلُّص من هذا الوبال ترغب الخروج من الطاعة والدخول في العصيان على الملك فهل هذه طريقة حسنة وهل تصل الملوك بهذه الطريقة الى مراتب المجد والشرف لا قائل بذلك بل هو عين السفه ولا ينبئك مثلي خبير اذا اردت عمار ملكك

فاعلم ايها الملك ان الممالك التي يكون فيها حكم الملك مطلقًا في الرعية نافذ الارادة هي اقلُّ الممالك قوَّةً وسطوة وذلك ان الملك الذي يكتف ايدي الرعية ويسلبها ويملكها بالتصرُّف ويحرمها الاسعاد ويابى الَّا نفوذ احكامهِ تتلاشى مملكتهُ وتنقطع عزائم اهلها فتتناقص الحراثة والزراعه وتقلُّ السكان وتضمحل التجارة فيضعف شيئًا فشيئًا وتزول قوَّتهُ وبأسهُ وتنفد حكومتهُ بنفاد

المال والرجال ويستولي على المملكة الدمار . فايّ ملك لا يجد في ايام مجده وعلوّ شأنه رجلاً صادقًا شجاعًا يقول لهُ الحق ويلهمه الصدق ولا يجد ايضًا في شدَّتهِ وعنائهِ رجلاً فيهِ اهلية بان يعتذر لهُ عند اعدائهِ وينصره بصدقهِ ووفائهِ

فبعد هذا الخطب والمواعظ قد تحقق الملك صحة كلام الحكيم وتلقاه بالقبول وبادر حالاً الى توزيع الاراضي المهملة على ارباب الصنائع غير النافعة وابقى قسماً منها للبنائين ولاصحاب الاشغال ليستلموها بعد فراغ العمل واجرى فيما بعد جميع ما كان قد نوى عليهِ مما اشار اليهِ منطور الحكيم

المقالة الثالثة عشرة

لما اجرى ايدومينوس التنظيمات والترتيبات الحسنة في مملكتهِ طبق ما قالهُ لهُ منطور اشتهرت بالعدالة والاحكام الاصوليَّة وسرَّ بذلك فانجذبت اليها الخلائق من كل جهة للدخول تحت حكمهِ والانتظام في سلك رعاياهُ فعمرت وصارت الفلوات التي كانت مستورة بالشوك والعاقول حسنة الحال بالحرث والاغراس تُعطي المحصولات الكثيرة وازدادت الخيرات

في جميع الارجاء وسامت المواشي في المروج والرياض وعلا الخوار والثغاء والرغاء حتى ملأ الافاق وكان منطور قد بحث عن جلب الماشية وتربيتها فوجد ان أمة البنتيطة القريبة من سلانتة ذات سائمة ونعم كثيرة وانهُ لامانع من معاوضة ما في سلانتة من المحصولات الزائدة بما هو عند البنتيطة من الماشية فكان كذلك وجرت المعاوضة وكان حول المدينة والقرى كثيرٌ من الفتيان والشبان والكهول لم يتزوجوا خوفاً من المسغبة والفقر فلمّا وجدوا هذا الملك صار كأب رؤوف للرعية أَمنوا المخمصة والخصاصة وقالوا لابدَّ من تكثير النسل وتعمير البلاد ودخلوا سوق الزواج فراج اعظم رواج فكنت لا نسمع الاّ التهلل والاغاني واصوات المزامير في الميادين العمومية وتحت ظلّ الاشجار مع رقص الراقصات وكلُّ ذلك في مركز الهدوّ والانشراح من اللعب اللطيف المباح .

فعجب الشيوخ من هذه الاعراس والالعاب التي لم يشاهدوا مثلها في حياتهم فطفح عليهم السرور وذرفت عيونهم دموع الفرح وتضرّعوا الى الله تعالى قائلين بارك لنا هذا الملك السعيد واجزهِ عنا خيراً واجعل ايامهُ كلها مسرّات واما البنون والبنات فكانوا يغنّون بمديح هذا الملك وجميع القلوب والالسن تلهج بذكر

اسمهِ والدعاءلهُ حينئذٍ اعترف ايدومينوس الى منطور بانهُ احس
بقلبهِ انهُ لا احلى ولا اهناء على الفؤاد من ان يدرك الملك في
نفسهِ انهُ محبٌ من رعاياهُ وانهم في راحةٍ وهناء وقال كنت
اظنُ ان اهابة الملوك منحصرة في مادة التخويف والقاء الرعب في
القلوب وكنت احسب ان جميع الرعايا خلقت لمرضاة الملوك
وان لهم حقَّ التصرُّف فيهم كالعبيد وان راحة الرعية من فضل
الملك لا واجبة وما كنت اسمعهُ من التواريخ ان البعض من
الملوك كان محبًا من رعاياهُ ومسرورًا كنت اعدُّهُ من الاباطيل
والخرافات فالآن قد ظهر لي صدقهُ ووجد برهان على صحتهِ فصار
يسوغ لي ان احكي لك ايها الحكيم سيرة فساد قلبي بسمّ المداهنة
من عهد الصغر مما عاد عليَّ مدة حياتي بالوبال وحسب هذه
الحكاية ما فيها من المواعظ والعبر لمن اعتبر

انهُ في زمن صباي كان لي صاحبٌ اكبر مني بيسير يدعى
ابروطسلاس وكنت افضلهُ على جميع اصحابي لحدَّتهِ وجسارتهِ
وكان وفق مرامي يجاريني في اللهو واللعب ويشترك معي باغتنام
اللذات الدنيوية ويحسن جميع ما تسولهُ لي نفسي من الدنايا وكان
يحذرني من صاحب لي آخر يدعى فيلوفليس كنت أُحبهُ كذلك
لانهُ كان يخشى المولى متصفًا بالصفات الحميدة مبتعدًا عن

الامور الخسيسة يتكلم بلا تكليف و يطلعني على عيوبي بكلام لطيف يوافقني على فعل الحسنات ويخالفني بما اريد فعلهُ من السيئات تصريحًا وتلميحًا ففي مبدإ الامر كانت ترضيني صداقتهُ بهذا المعنى لاني تحققت انهُ لا غشّ فيهِ وقد افهمتهُ من نيةٍ صادقة اني اسمع كلامهُ سماع قبول واعتمدهُ قولاً وفعلاً حفظًا لنفسي من اهل الموالسة وكان يرغبني في التمسك باصول مينوس المبنية على العدالة ولم يبلغ في الحكمة والتدبير مبلغك يامنطور ولكن كانت مبادئهُ في حسن الادارة والتدبير حسنة وقد عرفت نفعها الآن وكان ابروطسلاس على غيرة عظيمةٍ منهُ فسلك معي سبيل الخداع والتحيل حتى جعل نفسي تشمأزُّ من فيلوقليس وتنفر منهُ وكان رجلاً متأنيًا في امورهِ فترك عدوَّهُ يتقرّب اليَّ بانواع الحيل واقتصر على ان يقول لي الصدق متى كنت ارغب سماعهُ

فلا زال ابروطسلاس يفهمني ان فيلوقليس رجلٌ متكبرٌ يعترض جميع افعالي واقوالي ولا يسألني شيئًا من العطايا تكبرًا منهُ وانهُ اعظم من كلّ عظيم بنصح لي بدون تكليف على ما اقع فيهِ من الخلل والسخافة و يغتابني عليهِ عند الناس وانهُ يكرهني ويخس بقدري في اعين حزبهِ ليجوز رونقًا عند اصحابهِ لعلّهُ يفتح

بذلك طريقاً لنفسهِ في الاستيلاء على المملكة و يوقعني في التهلكة هذا ما سعى بهِ اليَّ هذا النمام

وكنت لا اتصور في بدء الامر ان فيلوقليس يريد ان ينزعني من منصب الملك لان صاحب الفضيلة الصحيحة والاخلاق الرضيَّة والنفس الشريفة لا بدَّ ان يتصف دائماً بصفاء الباطن واخلاص الفؤاد ولا يزول عن حميد اخلاقهِ فلا حاجة الى التحذُّر منهُ ولكن تشديد فيلوقليس عليَّ مع ضعفي وميلهِ الى سلوك طريق الاستقامة كانا يوقعاني في الضجر منهُ وتحيلات خصمهِ ودسائسهُ وابتداعهُ انواع المسرات كما احبُّ كانت تسرُّ خاطري وتزيح عن قلبي الهموم وبذلك صرت اشعرُ بصعوبة اخلاق فيلوقليس ولا احتمل تشديده عليَّ في الامور فلمَّا رأى ابروطسلاس اني لم اصدق جميع ما افتراهُ في حقّ خصمهِ عسر عليهِ ذلك فصمَّ ان لا يخاطبني ابداً في شانهِ بكلمة قبيحةٍ وانما يثبت ذلك بحجة واضحه ولاتمام غشهِ اشار عليَّ بان ابعث فيلوقليس قائداً ورئيساً على السفن الحربيَّة المسافرة لغزوة سفن جزيرة كرباثيا ولكي يحملني على سرعة اتمام ذلك قال لي انت تعلم جيداً باني لستُ ذا شبهة في مدحي هذا الشخص بانهُ ذو فطنةٍ زكية في امر الحروب وانهُ شجاعٌ باسلٌ في المعارك فهو

اجلُّ من يقوم بخدمتك في هذا المعنى ولا يخفاك اني افضل خدامك الملوكيّة على ما بيني وبينهُ من الخصومة فحصل عندي من الفرح ما لا مزيد عليهِ اذ وجدت ان ابروطسلاس اتجه الى الانصاف وصار اهلاً لما آمنتهُ عليهِ فعانقتهُ من الفرح وشكرتهُ وحمدت الله تعالى على اسعادي باتمادي على رجلٍ قليل النظير يغلب نفسهُ وهواهُ ويجري التدبير الحسن كما يقتضيهِ صالح الحكومة ويوافق العدل

ولكن من سوء حظ الملوك يقعون دائمًا في وهاد الغرور والضلال فهذا الرجل كان يعرفني اكثر مما اعرف نفسي اذ كان يعرف ان الملك لا يخلو من الاشتباه واخذ الحذر لكثرة التجربة والاستقصاء من المستخدمين ووجود المنافقين المخاطبين بهِ فعلم انهُ متى غاب فيلوقليس لا يصعب عليهِ ان يوقع بيني وبينهُ فأنتقد خيانتهُ واتسبب في اهلاكهِ . فلما عزم فيلوقليس على السفر قال لي لا تنسَ ايُّها الملك انهُ من الان فصاعداً لا يمكنني ان اذبَّ عن نفسي وارفع عنها العدوان وانا اعلم جيدًا انك لا تسمع في حتى فيما بعد الا كلام خصمي النمَّام مع اني اخدمك مخاطرًا بنفسي ولا يكون جزائي منك الا الغضب والانتقام فقلت لهُ قد اسأت الظنَّ في ابروطسلاس فانهُ بريءٌ مما نسبتهُ

اليهِ من الغيبة والنميمة لانهُ دائمًا يثني عليك و يعتبرك ومعاذ الله ان اغتابك واعتبر قول احد فيك فاذهب مطمئنّاً البال صدق كما هي عادتك في خدمتك وكن ملازمًا الصدق والاستقامة فسار وخلاني وقد خلت الحكومة من اصدق الاصدقاء .

وكنت ارغب يامنطور في ان يكون عندي عدة ذوات مثلهُ استشيرهم في عظائم الامور واخذ رأيهم اذ لا عارَ عليَّ بذلك ولا يخلُّ بشرفي واعتباري بل فيهِ الصالح للملكي وهو خيرٌ لي من التفويض الى شخص واحد ليس عنده صلاح ولا اصلاح بل يفعل كيفما شاء ويتصرَّف بما اراد وكنت قد تحققت ان نصائح فيلوقليس كانت تبعدني عن الامور الخشنة وطالما جنبني الوقوع في اخطار لو اتبعت فيها رايَ ابروطسلاس لهلكت وكنت اتصوّر جيداً ان فيلوقليس متصف بمحاسن الاوصاف ولا اتصوّر مثل ذلك في ابروطسلاس ومع هذا قد ابحت لهُ ان يكون رايهُ قطعيًا في الاحكام ونفوذه قويًا في امور اكرهها وذلك اني سئمت من وجودي بين ذاتين متخالفين رأيًا وفعلاً لا يمكن التوفيق بينهما ولا يخفى ما في هذا من المشقة على نفسي فلراحة نفسي وخلاصها من ربقة السآمة سفَّرت فيلوقليس وبقي خصمهُ فهذا ما بعثني على ابعادي هذا النصوح الصادق وكنت لا استطيع افشاءه خجلاً

ولا زال يحوك في فؤادي حتى اظهره الحال

فهجم فيلوقليس على سفن الاعداء وانتصر عليهم نصرة عظيمة واخذ في العود لتدارك الدسائس القبيحة بحقهِ ولكن ابروطسلاس اذ كان لم يجد بعدُ فرصةً الى السعاية بهِ كتب لهُ من طرفي اوامر يخبره اني ارغب في ان يُدخل الجند ايضًا الى جزيرة كرباثيا و يستولي عليها و يضمها الى حكومتي وكان قد افادني هذا المعنى قبل الكتابة وحسن لي انهُ يسهل لنا فتح هذه الجزيرة والحاقها بمملكتنا ولكنهُ تصنّع وتكلّف عندي وقال انهُ يلزم الاسراع بارسال لوازم ضرورية الى فيلوقليس غير موجودة عنده وكتب لهُ اوامر ينتج منها عاقة الاستيلاء على هذه الجزيره ليوقعهُ في الملامة ولم يكتفِ بذلك بل تحيّلَ على اضرار خصمهِ بانهُ اتحد بخادم لا خلاق لهُ كان من المقرَّبين عندي جعلهُ كالجاسوس يخبره بكلِّ ما يفهمهُ مني ويطّلع عليهِ في ديواني وكلاهما اظهر انهُ يكره الاخر وان ليس بينهما اجتماع ابدًا

وهذا الخادم يُدعى طيموقراط فجاء ذات يوم وقال انهُ يروم ان يطلعني على سرٍّ مكتوم قد استكشفهُ ولا ينبغي كتمانهِ مني فيعدُّ خيانة . فقال ان فيلوقليس مرادهُ يتولى ملكًا على جزيرة كرباثيا واستعان على غرضهِ بعساكرك وهذا مكتوب منهُ الى بعض اصحابهِ

الاعزاء يؤكّدُ ذلك فلا يكون عندك ريبٌ ايها الملك . فقرأت المكتوب وتاملتهُ فاستبان لي انهُ بخط فيلوقليس لانها قلّدا خطّهُ تقليداً تامًّا فدُهشت دهشةً عظيمة وصرت اردّدُ قراءة المكتوب ولا اصدق انهُ صادر عن فيلوقليس لان افعالهُ السابقة تدلُّ على عدم طمعهِ وعدم خيانتهِ فأرى انهُ مزوَّر فتحيرتُ ماذا اصنع في مكتوب حاضر نصبَ عيني وهو بخطّ هذا الشخص

فلما رآني طيموقراط متردداً اتعمق في التخيُّل ودنا مني وهو يرجف وقال أَتسمح لي ان اتجاسر واخطرك بكلمة لعلك لم تلاحظها من متن المكتوب وهي ان فيلوقليس اشار الى صاحبهِ الذي كتب اليهِ ان يخبر ابروطسلاس ويعتمد عليهِ تدل على ان ابروطسلاس داخلٌ ايضًا مع خصمهِ في هذه القضية السرّية وانهما اصطلحا واتفقا وتحالفا على مخالفتك ولا يخفى عليك ايها الملك ان ابروطسلاس هو الذي حثّك على سرعة ارسال فيلوقليس الى غزوة الكبراثيين ثمَّ انقطع كلامهُ معك في حقهِ من ذلك اليوم وبعد ما كان يقدح فيهِ صار يبالغ في الثناء عليهِ ومن مدة كانا يجتمعان ويتقابلان معًا الطف المقابلات فلا اشكُّ ان ابروطسلاس اتفق مع فيلوقليس ان يقتسم معهُ مملكة كرباثيا بعد فتوحها ولا يخفاك انهُ شارع في العمل على خلاف الاصول

والقوانين فلو كان بينهما عداوة هل كان ابروطسلاس يساعد اغراض فيلوقليس بهذا القصد لا قائلٌ بذلك ولا بُدَّ ان يكون بينهما اتحادٌ حبًّا بالارتقاء الى درجة عالية وستنكشف لك الحقيقة وربما كان الغرض ايضًا سقوط كرسيّ المملكة واستنزال الملك من الملك والاستيلاء على مركزه فقد اطلعتك على هذا السرّ مع علمي اني لا آمن حقدهما عليَّ ما لم تلتفت الى نصائحي السابقة وتنزع ايديهما من الحكم حتى لا يكون بينك وبينهما اجتماع فانا اخبرتك الحقيقة قبل وقوع القيل والقال فلما سمعت ذلك تأثّرت من هذه العبارات كل التأثر وجعلت اجول الفكر في معانيها فتحققت خيانة فيلوقليس وغيّرت اعتقادي فيهِ وتحذرت من ابروطسلاس وثبت عندي انهُ صديقهُ وخليلهُ . ولا زال طيموقراط يكرّر العبارة وانا منتظرٌ ان فيلوقليس يتمّ فتح الجزيرة فقال طيموقراط بانتظارك هذا يفوت تدارك الخلل وينال مراده بالاستيلاء على الجزيرة بنفسهِ وينادي فيها باسمهِ . فكنت كثيرًا ما اشنّعُ على الموالسة والمداراة واكره التدليس واتحيّر فيمن اعتمد عليهِ فلما اطلعت على خيانة فيلوقليس قلت لم يعد على وجه الارض من يصلح لي ان اثق بهِ فصممت على ان افتك بفيلوقليس الخائن فتكًا ذريعًا ولكن خشيتُ من ابروطسلاس وصرت

متحيرًا ماذا اصنع لأَ بطش بهِ واتمنى ان لا يظهر لي انهُ مذنبٌ ولكن كنت اخاف من ان اؤتمنهُ بعد ما سمعت في حقهِ ما سمعت

حينئذٍ اخبرت ابروطسلاس اني متنبهٌ لفعل فيلوقليس فاظهر العجب والاستغراب لاتمام الحيلة وعرض لي ان سلوكهُ حسنٌ ومستقيم واخذ يبالغ في مدحهِ ويعدّد ما لهُ من الحسنات قدامي حتى ثبت عندي انهما متواددان متفقان واما طيموقراط فلا زال يبيّن لي ان بينهما اتفاقًا ويقيم البراهين على ذلك ليغريني على قتل فيلوقليس قبل فوات الوقت فانظر يامنطور حال الملوك فانهم ملعبة الملاعبين

فتفكرت ودبّرتُ امرًا عظيمًا من امور السياسة من غير ان اخبر ابروطسلاس وارسلت طيموقراط سرًّا الى العساكر البحريّة لقتل فيلوقليس فتمادى ابروطسلاس في ابهام الامر وتجاهل كأنهُ ما دري شيئًا وغشّني غشًّا عظيمًا حتى ظهر لي انهُ احمق متغفل فلمّا وصل طيموقراط وجد فيلوقليس في حيرة عظيمة يبذل جهده في تثبيت عساكرهِ وليس عنده شيءٌ من الذخائر والمهمات لان ابروطسلاس خاف ان المكتوب لا يكون سببًا في اهلاكهِ فاحتاط بامر اخر يعوقهُ عن الانتصار وهو عدم ارسال الذخائر لتفتر همتهُ ويأوب بالخيبة ويغضب الملك عليهِ واما هذا

القائد الصادق فقد عضد هذه الحرب بشهامتهِ وسلك مسلك الحزم والتدبير واستمال قلوب العساكر فجازفوا وخاطروا بانفسهم طوعًا واختيارًا ليبلغوا قائدهم العاقل ورئيسهم الشجاع الباسل قصده وكان طيموقراط يخشى من ان يغتالهُ بين عساكره ولكن الطامع الاحمق كالاعمى لا يبصر ما امامَهُ فاستسهل هذا الخطب ولم يفتكر في التهور ارضاء لخاطر ابروطسلاس اذ كان قد اتفق معهُ انهُ متى تمّ ذلك يحكمان معًا حكمًا مطلقًا فاستوثق برئيسين من روساء العساكر مقرَّبين من فيلوقليس ولهُ فيهما كل الامنيةً ووعدهما من طرفي بانعامات جزيلة ثمَّ قال لفيلوقليس انهُ حضر باوامر سرّية وتعليمات شفاهيةً وانهُ يريد يبديها بحضور هذين الرئيسين فاختلى فيلوقليس بهِ وبهما فطعنهُ طيموقراط بخنجرٍ قصد اهلاكهِ فاخطأَ في الطعن اذ مال فيلوقليس واسرع الى نزع الخنجر من يده وحمى نفسهُ من الثلثة بقوة ساعده وصاح مستغيثًا بمن كان حاضرًا امام الباب وكان مغلقًا فكسرهُ الحجاب وغيرهم ودخلوا اخذوهم ليفتكوا بهم تقطيعًا بالسيوف فمنعهم فيلوقليس واخذ طيموقراط وحده وانفرد بهِ ولاطفهُ بالكلام وسألهُ عن سبب هذا الارتكاب فخشي واظهر الاوامر الناطقة بقتلهِ من طرف ذاتي الملوكية ولما كان ارباب التدليس والتزوير غالبًا جبناء

اخساء لا قدرة لهم على كتم الاسرار اقتصر طيموقراط على تخليص نفسهِ من القتل وافشى خيانة ابروطسلاس واطلع فيلوقليس على حقيقة الحال

فارتعدت مفاصل هذا القائد الباسل من سوء طويّات ارباب الخبث والغدر وقصد قصداً ممدوحاً من اجلِّ المقاصد فاعلن امام العساكر ان طيموقراط بريءٌ واعطاء الامان واعاده الى جزيرة كريدوسلَّم قيادة العساكر الى بوليمينية الذي كنت عينتهُ في اوامري بدلاً عنهُ ثمَّ وعظ العساكر وحثّهم على امتثال اوامري وطاعة القائد ونزل ليلاً في قارب وسار حتى وصل الى جزيرة شاموس ولم يزل هناك اليف الفقر والراحة والعزلة عن الناس بصنع الصور والتماثيل ويبيعها لتحصيل القوت الكفاف

فعند ذلك قطع منطور كلام ايدومينوس وسالهُ هل مكثت مدة طويلة حتى ظهر لك الحق وكيف اهتديت اليهِ فقال قد وقعت العداوة بين هذين الخبيثين لانهما لم يلبثا متحدين الاَّ مدة يسيرة وحينئذٍ تبين لي تزويرهما فقال منطور وهل تخلصت منهما بعد ذلك فقال الملك آه يا منطور ايجهلُ مثلك ضعف الملوك وحيرتهم أَما تعلم انهم متى سلموا انفسهم لاناس

لاخلاق لهم اصحاب مكر وحيل لا يعود لهم قدرة على التخلّص منهم وان كانوا يريدون الخلاص وان عادة الملوك ان ينعموا على من هذه صفاتهم ويرفعونهم الى اعلى مقام فاني كنت اكره ابروطسلاس وقد فوَّضت اليهِ امر الحكومة طوعًا واختيارًا ولم اقدر على خلعهِ لتحيُّلهِ في ارضاء ما تشتهيهِ نفسي وكان لي عذرٌ ايضًا اعتذر بهِ لنفسي وهو ضعفي وعدم تمييزي الغث من السمين وكلَّما انتخبت اناسًا من المظنون فيهم انهم اصحاب سياسة حسنة واخلاق رضية خاب انتخابي وظهر لي العكس فاعتقدت انهُ لا يوجد احدٌ في الدنيا فيهِ الصلاح وان الصلاح عبارة عن اوهام وخيالات فقلت ما الفائدة من الخروج من يد انسان شرّير الى يد اخر اشرَّ منهُ

واما العساكر البحرية التي تولّى قيادتها بوليمينية فعادت الى كريد وصرفنا النظر عن فتوح كرباثيا وتكدر ابروطسلاس من خلاص فيلوقليس . فقال منطور كيف رضيت بعد هذه الخيانة ان تفوض اليهِ مصالح المملكة فقال ايدومينوس كنت عدوًّا للمباشرة كارهًا مناظرة الاشغال فعرفت اني لو باشرتها لانقلبت الحقائق وتغيَّرت الاحوال وكان يلزم لي رجل جديد يتعلم مني الاصول وانا لاقدرة لي على ذلك فغضضت البصر واغمضت العين

حتى لا ارى غشَّ هذا المخادع وافدتُ عدة اناس كنت أعتمد عليهم إني لا اجهل خيانة ابروطسلاس في الاحكام وبهذا تصورت اني لا أغش الا بنصف الغش لا كالاول وكنت افهمهُ حيناً بعد حين ان نفسي سئمت افعالهُ القبيحة وطالما ناقضتهُ في الاحكام وشنَّعت عليهِ وتهددتهُ بالعزل ووبختهُ على رؤوس الاشهاد وحكمت بدون اخذ رايهِ ولكن كان يعهد من اخلاقي الميل الى الكبر والكسل فكان لا يبالي بغضبي ويرجع الى عملهِ مصمماً على عناده فتارة يسلك طريق الخشونة واخرى يتحيل بالموالسة لا سيما اذا رآني مغبوناً فانهُ يجتهد بالبحث عما يسرُّني حتى الين لهُ ثمَّ يحتال فيوقعني في بعض مشكلات ليجد فرصة للزومهِ بحلها وجعلهُ كاتم اسراري هوَّن عليهِ وقوعي في حبائلهِ وخوَّف الناس منهُ فجفاني الغريب والحميم وتباعد عني شخص الصدق ودنا مني جيش الغش والخداع وهذا كان جزائي نظير اضاعتي فيلوقليس لتنفيذ اغراض ابروطسلاس ومن ذلك الوقت ضعفتُ عن استطلاب الصدق وظهرت عليَّ علامة الحزن وقنطت نفسي وجبني واستيلاء ابروطسلاس على قلبي قد تمكنا مني على تداول الايام وحطَّا بقدري وهكذا كانت احوالي حين تعين سفري الى ترواده:

فلما سافرت ابقيت ابروطسلاس في كريد وكيلاً عني في ادارة المملكة يتصرف كيفما شاء فادار الاشغال سالكاً مسلك الكبرياء والجور وكلٌّ يشكو من ظلمهِ ولا يعلمني بذلك علماً من الجميع باني لا احبُّ الوقوف على الحقيقة واني رخصت لهُ ان يحكم بما يحبُّ ويختار وقد اكرهني ان اطرد من خدمتي رجلاً شجاعاً يسمى مريونا كان قد تبعني في غزوة ترواده وجال في السجال اعظم مجال فكثر ميلي اليهِ فغار منهُ وحقد عليهِ حسب عادتهِ . فاعلم يامنطور ان كلَّ ما حصل لي هو من قبل ذلك الوكيل فليس قتل ولدي وحده كان الموجب لقيام اهل كريد وخروجهم عن طاعتي وطردهم اياي من البلاد بطريق العنف والقساوة بل غضب المولى عليَّ جزاء تهاوني بالامور وبغض الاهالي لي كان نظير تفويضي المصالح الى هذا الردي العنيد لاني لما ارقت دم ولدي وفاء لنذري كان الكريديون في غاية الضنك من احكامهِ وكانوا مملوئين من الغضب والخوف وعدم الصبر فقتل الولد ايقظ فتنةً كانت نائمة واظهر تعصبات كانت مستترة كامنة في الصدور

ولما كان طيمو قراط ممن تبعني في غزوة ترولدة كان يكتب سرًّا الى ابروطسلاس يفيدهُ كلما يطلع عليهِ فكنت اشعر

بنفسي انني اسيرٌ لهذين الشخصين وحينما وصلت الى كريد وخرج الاكثرون عن طاعتي كان اول من فرّ ابروطسلاس الخبيث وطيموقراط اللعين ولا اشكّ انهما قصدا تركي عرضةً للبلايا لولا اني اكرهت على المهاجرة بعدهما بيسير زمن ولا يخفاك ايها الحكيم ان ارباب الوقاحة والتكبرُ اجلُّ الناس زمن عزهم واذلهم زمن نحسهم . فقال منطور بعد أن عرفت هذين الخبيثين كيف ابقيتهما الى الان في الخدمة فاني اراهما معك في السفر والاقامة فاجابه الملك اما تعرف ان جميع التجارب بالنسبة الى الملوك المعتادين على الجبن والكسل لا تجدي نفعًا فقد مضت عليَّ السنون العديدة وانا مقيد باغلال هذين الرجلين يغريانني على ارتكاب ما لا يليق ففي مدة وجودي هنا اوقعاني في ورطة الاسراف والتبذير كما رايت وفي ربقة هذه الحرب التي انقذتني منها فسأل منطور الملك عن سلوك ابروطسلاس بعد هذا التغيير فقال له قد بالغ كلَّ المبالغة في التحيُّل والخداع حين حضورك ومكثك هنا وبذل جهده من غير ان يظهر في الميدان والقى في قلبي الخوف والشك اذ كان يوصل اليَّ كثيرًا من اهل الفصاحة والبلاغة قصد الايقاظ والتحذير فيقولون لي كن من هذين الاجنبيَّين على حذر ولا تثق بهما لانهُ يخشى منهما ان يكونا

مضمرين لهذه المملكة ضميرًا خفيًا يوقعها في الاخطار واما ابروطسلاس فكان لا يصرّح بشيء بل يلوح ان الاصلاح الذي افهمتني عنه مضرٌ وانهُ من باب مجاوزة الحدود في الادارة ويشير اليَّ اني اذا جعلت الاهالي في حالة الراحة والثروة يتركون الاشغال الشاقة ويتكبرون وربما يخرجون عن طاعتي فلا احسن لهم من الفقر والمذلَّة لينكبوا على الطاعة واسباب المعيشة

وطالما كان يناقضني في ارآئي ويقول ان سلوكي هذا مقصور على مساعدة الرعيَّة وانهُ يوصل الى انحطاط عظمة المملكة فاجبتهُ اني اعرف ان اضبط الرعية بدون رأيك واحملها على محبتي وطاعتي ومحبة الوطن وأُمسكُ زمامها بعقاب المذنبين فلما قلت لهُ هذا يامنطور فهم اني مصمّ على اجراء هذه الاصول فذهب مذهبًا آخر وابتدا يسلك في الادارة حسب رغبتي وافادني اني اقنعتهُ وعلمتهُ ما لم يكن يعلمهُ وشكر فضلي ولا زال الى الان مجدًّا في قيام ما انا شارع فيهِ طبق ارادتك وهو يثني عليك كل الثناء وطيموقراط قد ابتعد عن ابروطسلاس وتحولت المحبة التي كانت بينهما الى عداوة . فتبسم منطور وقال للملك كيف تركت نفسك محكومًا مظلومًا عدة سنين وانت تعرف ما وقع منهما من الخيانة والمكر وتقابل ذلك بالسكوت مع ادمانهما على ذلك فقال الملك

انت تعرف ايُّها الحكيم تسلط المداهنين الموالسين على قلب ملك ضعيف مبلبل البال تارك الاشغال وقد اخبرتك اني فوضت الى مثل هذين الشخصين جميع الاحكام وارتحت من الاثقال وقلت لك ان ابروطسلاس قد فهم ملاحظاتك الجليلة وادار المصلحة العامة عليها

فقال منطور قد اتضح لي ايُّها الملك ان الملوك لا يعتبرون اهل الاستقامة والصلاح وانهم يفضلون اهل الشرّ والفساد على اهل الخير والرشد وانك من صفّ الملوك المتمسكين بهذا المذهب الباطل فقد قلت قبلاً انك شرعت تستيقظ وتلتفت الى احوال ابروطسلاس وانك لا تغضُّ الطرف عن افعالهِ حتى لا يسلك كالاول واراك الان قد فوَّضت اليهِ كلَّ المصالح مع انهُ رجل لا يستحق ان يعيش فضلاً عن الانتباه الى اطوارهِ فاعلم ايُّها الملك ان ارباب الخبث والقباحة ليسوا دائمًا غير مستعدين لفعل الخير وصنع المعروف بل يصنعون الخير ولا يبالون بهِ وانما فعلهُ يصدر منهم بشرط ان يكون عائداً اليهم بالمنفعة الخصوصيَّة واما فعل الشرّ فهو طبيعيٌّ لهم لا يتكلفون اليهِ لانهم مجردون عن حسن الشمائل وليس عندهم شيءٌ من الصفات الحميدة التي تأبى ارتكاب المحارم ففعل الخير منهم ناتجٌ من

فساد الاخلاق ليظهر ولى مظهر الاخيار فهو ايضاً من قبيل الغش والنفاق . فان كان قصدك فعل الخير حقيقةً فلاتركن بفعلهِ الى ابروطسلاس لانهُ يفعلهُ حفظاً لناموسهِ فاذا رأى منك رائحة التهاوُن فاقرب ما عندهُ الرجوع الى مذهبهِ القديم فهل يمكنك ان تعيش معهُ سعيداً موفقاً ما دام يضلك ويغويك ويقتدر على ردّك الى عيوبك السابقة . وكيف تلاحظك عين السعادة وانت متغاضٍ عن فيلوقليس صاحبك القديم مع علمك انهُ لم يزل حيًّا في جزيرة شاموس في حالة الفقر والمسكنة . فما اضيع صفقة الملك الذي يعرف اهل الهدى والضلال ويتعلق باذيال اهل الغيّ وما اقرب نسيان الملوك خدمة الخادم الصادق البعيد عن العين

المقالة الرابعة عشرة

ثمَّ بعد ذلك ابتدأ منطور يثبت للملك وجوب طرد ابروطسلاس وطيموقراط وجلب فيلوقليس واعادتهُ الى مقامهِ. فلم يجد الملك مانعاً من رجوعهِ الا خوفهُ من تشديده عليهِ لاجراء الامور العادلة فقال لمنطور اعترف لك الصحيح اني اخشى من اعادتي فيلوقليس مع اني أودّهُ واعلم انهُ معدودٌ من الاخيار

عند جميع الناس لاني كنت قد اعتدت في زمن صبائي على المدح والمبادرة الى اتباع اوامري ونحو ذلك مما لا اجده في هذا الشخص لاني حينما كنت افعل شيئاً غير مستحسن ارى عليهِ اثار التقطيب والكآبة فكانهُ ينكر ذلك ويشنع عليَّ ضمناً فاذا اختلينا معاً تظهر احوالهُ مع الاحترام والتوقير في غاية اليبوسة . فقال منطور ارى انك من الملوك الذين افسدهم الملق والرياء الذين يجدون الخلوص وصفاء النيَّة يبوسة ويظنون ان من لا يوفي الدناءة حقَّها لا يعدُّ من الرجال لانهُ لا يمدحهم على ما يستحقون عليهِ الذمَّ فلو فرضنا ان خلق فيلوقليس يابس ويقطب وجههُ عند رؤية ما يكرههُ اما هو احسن من اخلاق وزرائك المنافقين الذين يظهرون ضدَّ ما يضمرون فمن اين تجد انساناً لا عيب فيهِ . فاذا وجدت انساناً يقول الصدق ويعرف الصواب لا ينبغي ان تخشى منهُ بل اخش من اهل الغدر والخداع فاقول انهُ يلزم لاشغالك رجلٌ مستقيم لا يحب الاَّ الحقّ ويحبُّك بعد الحقِّ فيصدقك جبراً عنك ويغلب على طباعك وهذا الرجل هو المحبُّ المخلص فيلوقليس واعلم ان الملك لا يكون سعيداً الاَّ اذا رزق برجلٍ كريم النفس متصف بالصدق وقول الحق كهذا فوجودهُ من سعد الملك وفقدهُ من اعظم المصائب على المملكة

فيجب عليك ان تعرف مثالب الاخيار ولكن لا تتجنبهم وتأبى استخدامهم بل يجب عليك تقويم اودهم وتجريدهم عن الهفوات وان لا تسلّم لهم الامور تسليم اعمى بلا ملاحظة ولا تدقيق فاسمع منهم صحيح الكلام واترك فاسدهُ حتى يظهر للجميع انك تميّز الغث من السمين واحذر ان تدمن اغماض الطرف عن المصالح الخيرية كما هي عادتك الى الآن فان عادة الملوك المسيئين مثلك ان يقتصروا على احتقار الرجال الذين لا خلاق لهم ولكن يعتمدون عليهم في ادارة المصالح المهمَّة ويميلون الى معرفة الاخيار ولكن لا يكرمونهم الاَّ بالمدح والثناء دون منحة ولا مقام

فلما تدبر الملك هذا الكلام قال اني خجلٌ من تاخير خلاص هذا الرجل المظلوم لاستخدامهِ كما اني خجلٌ من الابطاء بعقاب من غشني وحملني على ظلمهِ . فحمل منطور الملك على نفي ابروطسلاس حالاً فاجابهُ بالقبول وارسل في تلك الساعة حاجبًا من حجابهِ يدعى هجاسيبة قائلاً لهُ خذ حالاً ابروطسلاس وطيموقراط الى جزيرة شاموس واتركهما في السجن هناك منفيين واحضر معك فيلوقليس المحجوز هناك فتعجب هذا الحاجب من امر الملك المستغرب ولم يملك نفسهُ من اظهار الفرح حتى ذرفت عيناه الدمع وقال للملك الان تفرح بك الرعايا لانك ازلت

عنها الترح فان هذين الرجلين سببُ شقائك وشقاء امّتك
فهما منذ عشرين سنةً يسيئان الا الاخيار ويحسان باهل
الاعتبار ولم يقتدر احدٌ على التشكي خوفًا من ظلمها وشرّهما ثمّ
اطلع محاسيبة الملك على عدة خيانات لم يسمع بمثلها من احد
من الناس ومن جملة ما اطلعهُ عليهِ تحزُّب سرّيّ على قتل
منطور فقفّ شعر الملك لما سمع هذه القضية . . ثمَّ بادر المندوب
الى اجراء اوامر الملك وقصد اخذ ابروطسلاس بصورة غير
مرضيّة فلما دخل المنزل وجدهُ قصرًا يشبه قصر الملك زينةً
ومنظرًا وبناء وحين دخولهِ كان هذا الوزير مقيماً في رواق
عظيم مرخّم بالمرمر مضطجعًا على فراش من السندس الاحمر المطرز
بالقصب المذهب وكان في هذا الاضطجاع معجبًا بنفسهِ مظهرًا
التعب والنصب من اشغال النهار وحولهُ الامراء والاعيان
جلوسًا على بسط ثمينة غاية في الجودة ووجوههم مقابلة لوجههِ
وابصارهم لا تنظر الا اليهِ وقبل ان يفتح فاه بعبارة او يشير الى
معنى يصيح من في مجلسهِ بالاستحسان واحد الرؤساء يحكي لهُ ما
ينشطهُ من مستظرف الحكايات والنوادر ويقص عليهِ ما صنعهُ
هذا الوزير لمنفعة الملك والبلاد ويبالغ في مدحهِ مبالغةً تفوق
الحدّ وآخر من الاكابر يقول لهُ انهُ ولد في قران المشتري مع

اسطع النجوم الزُهر. واحد الشعراء ينشدهُ بدائع الاشعار وينسبهُ الى انهُ ارتضع ثُديَ الادب وصار من امراء الانشاء وان فكرهُ يخترع بنات الافكار وانهُ من الشعراء المفلقين وثمَّ شاعرٌ آخر يتغالى ويبالغ بالاطراء وينشدهُ قصائدهُ المدجيَّة ويطلق عليهِ فيها انهُ واضع العلوم والفنون ويجعلهُ ابا الرعية وبيده عنان الهناء والسعادة وهذا الوزير مسرور بسماع مدح نفسهِ ولكن يرى ان ذلك بالنسبة الى ما هو اهل لهُ دون الطفيف فكان يعهد من نفسهِ انهُ يستحق اضعاف ذلك وان لهُ الفضل في سماع هذه القصائد التي لا تفي حقَّ مديحهِ وكان عندهُ متملق اخر جسور فدنا من اذنهِ واسرَّهُ بكلمة يسخر بها في حقّ منظور استهزاء بترتيبهِ الشارع بهِ فتبسم من هزلياتهِ السريَّة وضحك الحاضرون قبل معرفة ما قيل ثمَّ عاد ابروطسلاس بعد التبسم الى هيئة الوقار والكبرياء فلزم كلٌّ الصمت وكان في مجلسهِ جماعة من وجوه الناس لهم حاجة اليهِ يتوقعون منهُ الالتفات لعلهُ يشملهم بنظره وهم خاشعون صاغرون فكان كل من في المجلس يظهر لهذا الوزير غاية المحبة والوداد ويستحسن ما يصدر منهُ مع ان جميعهم اعدى عدوٍ مبين والحقد مخبوء في ضمائرهم

فكان دخول رسول الملك فجأةً وهم على هذه الحالة وكلٌّ

يعظّم هذا الوزير ويجلّهُ فاخذ منهُ السيف واعلن لهُ من طرف الملك انهُ ذاهبٌ بهِ الى جزيرة شاموس فخجل ووجل وفارقتهُ الوقاحة وسقط تعظمهُ سقوط صخر منفصل من ذروة جبلٍ شامخ واخذتهُ الرعشة والخفقان ووقع على قدمي المأمور وهو ولهان حيران ينوح نوح الثكلى ويناغي مناغاة الاطفال وكان قبيل لحظة يستنكف من النظر اليهِ والذين كانوا في مجلسهِ يعطرونهُ بشذا المديح ويذكون فخارهُ بنفحات الطيب لما راوا ذلك انقلبوا من الثناء الى الهجاء ومن المدح الى القدح فقادهُ المأمور ولم يرخص لهُ ان يودع اهلهُ ولا يدخل محلهُ لياخذ بعض اوراق سرية تضرُّ بهِ بل ضبط جميع اوراقهِ ودفاتره وارسلها الى الملك وكان ايضًا طيموقراط قد وقع في قبضتهِ فتعجب من خيبة ظنهِ لانهُ كان يظن انهُ ما دام مخاصماً ابروطسلاس لا يقع معهُ في نكبة فسافروا في سفينةٍ معدة لهم حتى وصلوا الى جزيرة شاموس فابقاهما المأمور فيها منفيين في مكان واحد فصار كلٌّ منهما يوبخ الاخر ويعدد لهُ ما فعل من القبائح التي اوجبت عزلهما ونفيهما مع الاهانة وتاكد عندهما عدم الرجوع الى سلانتة وانهما عوقبا بالجلاء عن الوطن والاهل والولد مدة حياتهما ولا يبالي انهما عوقبا بمفارقة الاصحاب والاحباب لانهما لا يحبهُما احدٌ

وعاشا بالذل والمسكنة بعد العزّ والنعيم

ثمّ سال هجاسيبة عن مسكن فيلوفليس لياخذهُ معهُ فقيل لهُ مقيم في كهف في جبل يبعد عن البلد مسافة ساعة وكل انسان يمدحهُ على ما عندهُ من الانسانية والمروّة والمعروف والصبر على المكاره والجلد على الشغل الذي كان يعيش منهُ فذهب المامور الى الكهف فوجدهُ فارغًا لا باب لهُ اذ لم يكن لفيلوفليس ما يحوج الى غلق باب لفقرهِ لانهُ كان مقتصرًا على حصير فقط لاجل فراشهِ يقتات مدة الصيف من الاثمار الرطبة ومدة الشتاء من الاثمار اليابسة كالتين ونحوهِ ويشرب من ماء عين في القرب من مسكنهِ وعندهُ بعض كتب لتسليتهِ والآت للنحت والتصوير ثمّ تأمّل في الكهف فرأى تمثالاً على صورة المشتري مستنيرَ الوجه مهابًا حتى اذا راهُ احدٌ من الحكماء او الاحبار يعرف انهُ هو الفياض الاول الذي عليهِ التدبير المعقول في جاهليَّة اليونان ثمّ رأى صورة المريخ مرسومة يتراءي منها التخويف والتهديد وهو الكوكب القاهر فياض الحروب وتمثال كوكب عطارد المفرِّج الكروب وهو صورة الحكمة المدوّنة العلوم والفنون النافعة يظهر عليهِ اللطف والحرية والعدل طويل القامة مظهر النشاط كانهُ يريد الحركة ثمّ خرج من

الكهف فلمح شجرةً كبيرةً وتحتها فيلوقليس جالسًا على رياض العشب وبيده كتاب يقرأ فيهِ فمال نحوهُ فلمحهُ فيلوقليس فداخلهُ التحيُّر وقال في نفسهِ هل هذا الشخص هجاسيبة او خيالهُ قد خرج بعد موتهِ من برزخ الاموات وبقي متردّدًا الى ان وصل اليهِ فعرفهُ وعانقهُ وسلم عليهِ سلام حبيب بعد فرقة ووحشة وقال لهُ أيُّها الحبيب ما سبب حضورك وهل هو بغضب من الملك كما حصل لي . فاجابهُ لا بل هو من قبيل الرضى ثمَّ حكى لهُ حكاية ابروطسلاس وطيموقراط وما حصل على ايدومينوس بسببهما بعد رجوعهِ الى كريد وهروبهِ الى سواحل ايطاليا وتاسيس مدينة جديدة فيها وحضور منطور وتلماك اليها وافادهُ ان منطور نصح الملك وانهُ ربُّ حكمة وديانةٍ وبيَّن لهُ نفي الخائنين وانهُ احضرهما معهُ وختم الكلام بقولهِ ان معي اوامر من الملك باحضارك الى سلانتة لانهُ عرف براءتك واناط بك ادارة مصالحهِ والنعم عليك بما انت اهلهُ

فاجابهُ فيلوقليس انظر هذا الكهف تجدهُ لا يصلح الاَّ خباء وحش ومع ذلك قد ذقت فيهِ في مدة عشرين سنةً حلاوة الراحة اكثر مما ذقت في قصر كريد المذهب الذي هو مقرُّ البطر لانني تباعدت عن تدليس المدلسين ونفاق المنافقين

فلا حاجة لي باجتماع الناس والتالف معهم بعد ان اعتادت يدي على الاشغال التي أستحصل بها ما يسد الرمق ويستر العورة فانا اتمتع هنا بالحرّية التامة والراحة الكاملة التي هي اجلّ المقاصد وعندي من كتب الحكمة ما يسليني في هذه الخلوة فيا ايها الاخ العزيز لا تحسدني على راحتي ولا تتمنى لي زوال هذه النعمة فان ابروطسلاس اراد ان يخون ملكهُ فخان نفسهُ واضاعني وعوض الشرّ والمضرة صنع معي خيرًا عظيماً لانهُ انقذني من اسر المصالح السياسية ورق الخدمة والعبودية فلهُ الفضل عليّ بذلك · فعد ايها الصاحب الى الملك الافخم وساعده على حمل الاثقال القليلة الجدوى اذ فُتحت عينهُ الغامضة عن الحق زمنًا طويلاً بواسطة الرجل الذي تسميه منطور واما انا فلا اترك برّ السلامة الذي وصلت اليهِ بعد غرقي في لجج المهالك فدعني يا اخي في الفقر والمتربة فانهما احبُّ اليّ من الرفعة وعلوّ المرتبة · وكان هجاسيبة اثناء ذلك يديم النظر اليهِ ويتعجب من حالهِ التي استحالت الى احسن حال وبلغت من الصحة والعافية درجة الكمال اذ كان قد رآهُ سابقًا في كريد وهو منوطٌ بادارة المصالح المهمة نحيف البدن ضاويًا قليل القوة لكثرة اجتهاده في اصلاح الامور وتاثره من عدم الاستقامة باجراء المصالح ذات البال

فلمح منهُ ذلك فيلوقليس وقال لهُ متبسماً اظنك تعجب من كوني تغيرت من حال الى حال فاعلم انهُ ما اعطاني هذه النضرة غير الوحدة فبها اكتسبت الصحة والعافية فقد هاداني اعدائي اعظم هدية امرضى ان اضيع ذلك فلا تكن اقسى قلباً من ابروطسلاس لان من كان مثلك لا يتمنى لي زوال الراحة والهناء فقال لهُ مجاسيبة اما تشتهي ان ترى الاحباب والاصحاب المنتظرين عودك بفروغ صبر فكيف تأبى العود وانت تخاف الله وكيف تقول ان خدمة الملك كلا شيء مع انها من الواجب المفروض عليك من المولى لتؤدي جميع ما يريد من فعل الخير للبرايا وكيف تقدم سعدك على سعد الوطن وهذا من الخصال الذميمة فاذا تماديت على الامتناع يُظن انك بغيض للملك واما كونهُ فعل بك الشرَّ فعن غير معرفة وغرَّهُ من ادعى فيك سوء العمل فان الملك لم يكن مريداً اهلاك فيلوقليس الحقيقي المستقيم بل اهلاك رجلٍ آخر يعني رجلاً هو انت متصفاً بصفات ضد صفاتك ولكن الان عرفك حقَّ المعرفة وصار لا يخطىء فيك ولا يشتبهُ فقد احس بعود محبتهِ القديمة وانها تولدت في قلبهِ بعد الفناء فهو ينتظر حضورك ليرفع شانك فهل بلغ قلبك من القساوة والجفاء ان لا تعطف على ملك احبك قلبهُ ومال اليك ولزن

نهجر الخلان والاصحاب الذين قلوبهم تحنُّ الى لقائك

فلما سمع فيلوقليس هذا الكلام صعب الامر عليهِ ولزم السكوت وكانهُ لم يدخل شيءٌ في عقلهِ من وعظ الماءمور ثم اخذ بالانعطاف الى الرجوع اذ استخبر من اهل الكهانة والعرافة وظهر لهُ من طيران الطيور بالزجر والعيافة وغير ذلك ان لابد لهُ من المسير مع الماءمور فلم يتوقف بل تجهز للارتحال وقال مودعًا الكهف الذي استوطنهُ انني اتاسف على هجرك ايُّها الكهف اللطيف الذي تمتعت فيك بالراحة والوحدة وانني على ما جاورك من الماء الزلال وكان يجهر بصوتهِ ويكررهُ حتى بلغ في الخلاء مسافة بعيدة ثم سار مع المأمور الى المدينة قصد السفر وظن ان ابروطسلاس اذا رآهُ يخجل منهُ ولكن كان الامر خلاف المظنون لان ارباب الاخلاق الفاسدة يهون عليهم كلُّ شيءٍ اذ لا حياء عندهم ولا خجل فاختفى خشية ان يراهُ فيزداد هماً وغماً ولكن كان ابروطسلاس يترقب مقابلتهُ لعلهُ يرثي لحالهِ ويشفع لهُ الى الملك في العود الى سلانتة فاجتمع بهِ ووعدهُ بصفاء نية انهُ يجتهد بذلك وان كان يعرف ان عودهُ يضرُّ واظهر لهُ الرافة والشفقة ووعظهُ لعلهُ يرضي مولاهُ ويتخلق بالاخلاق الحسنة وان يصبر على الشدة ولا يتكدر من نكبات الزمان ولما كان فيلوقليس

عالمًا ان امر الملك صدر بضبط اموال ابروطسلاس وضمّها الى الى بيت مال الحكومة وعدهُ بشيئين ووفي لهُ بهما بعد ذلك انهُ يشمل اهلهُ واولادهُ المقيمين في سلانتة بانظاره ويردع عنهم المبغضين لابيهم وان يبعث لهُ بعض دراهم الى الجزيرة لينفقها على نفسهِ فيخفف عنهُ التعب وكان كذلك

ثمّ هبت الرياح المساعدة الاسفار فبادر مجاسيبة الى السفر واقلع مع فيلوقليس فلما رآهما ابروطسلاس قد ازمعا الرحيل ونزلا السفينة شخصت عيناهُ نحو الشاطئ ولما تحرَّكت السفينة حدّق اليها وهي تشق الماء اخاديد وتتباعد عن البر وبعد قليل اختفت عن عينيهِ فتلوّن وتغير واشتد بهِ الغيظ وتكدر حتى كاد يجنّ وصار يدعو على نفسهِ بالويل والثبور وينتف شعرهُ ويتمرغ على الرمال ويتمنى الموت ولايجدهُ وهكذا كانت حالتهُ مدة حياتهِ

فباستمرار الريح الطيبة دخلت السفينة الى سلانتة سالمة ودرى الملك بوصول فيلوقليس مع المامور الى الميناء فحضر بنفسهِ ومعهُ منطور لاستقبالهِ فلما وقع بصر الملك عليهِ عانقهُ عناق ودادٍ قديم واعتذر لهُ عما جرى وكان واظهر الندم واقام لهُ لقبول عذرهِ اقوى حجة وبرهان واقرار الملك بخطائهِ لم يزريهِ

بحقهِ عند الناس ولا عدّوهُ من باب الضعف والعجز بل من حسن الشمائل وكرم النفس فهطلت دموع السرور من عيون الجميع حين شاهدوا هذا الرجل وأمّلوا حسن المستقبل واصطلاح الاحوال ولا زال الملك يلاطف هذا القادم والناس تهنيئهُ وتمدحهُ وهو يتلقى ملاطفة الملك بالادب والاحترام ويرجو العامّة الكف عن مدحهِ لانهُ يأباهُ ثم سار مع الملك الى الديوان وائتلف مع منطور كانهما شقيقان ارتضعا لبان الاخوّة وسكنا العمر معًا وهذه منحة من الباري ان ارباب الفضيلة متى اجتمعوا في محل واحد تالفت قلوبهم على التودد والفضل

ثم التمس فيلوقليس من الملك ان يعيش في سلانتة منعزلاً كما عاش في شاموس فسكن في الخلاء وحدهُ وصار الملك ومنطور يذهبان كل يوم الى زيارتهِ في محلهِ فيتذاكرون معًا في تمكين القوانين والاحكام واستحسان صورة لاسعاد الرعيّة وراحتها وكان مدار المداولة في تربية الصبيان وطريقة العيشة في زمن السلم . فقال منطور ان ما يخص اولاد المملكة الذين نتوقف عليهم الراحة والسعادة من الحقّ هو للملك والجمهور لا لابائهم فقط فالاولاد في المملكة هم ابناء الحكومة والوطن ففيهم للوطن الامل والرجاء فامر تربيتهم موكول الى الحكومة والمملكة

وإذا أُهملوا حتى فسد امرهم فلا سبيل الى اصلاحهم بعد الفوات
واما ابعادهم عن المناصب والوظائف اذا فسد حالهم لعدم
تربيتهم فهذا امرٌ هين ولكن تدارك الشرّ قبل الوقوع والتبصر
في ابعاده قبل وقوعهِ خيرٌ واولى وامرٌ معلوم ان الملك ابو الرعية
عموماً وابو الفتيان خصوصاً لانهم زهرة الرعيّة فتعهدهم بالاصلاح
واجبٌ ولا شك انهُ متى ازهر الشجر وبدا صلاحهُ وتجهز للثمر
فيجتنى ويقطف للمنافع فلا ينبغي للملك ان يستنكف من ان
يلاحظ بنفسهِ او بوكيلهِ من يباشر تربية الاطفال والغلمان
لتكون طبق ترتيب الحكومة المقرّر بمقتضى اصول مينوس التي
توجب تربية الاطفال على وجهٍ حسنٍ فيبثّ في افكارهم
استسهال الالام واقتحام الاخطار عند الاقتضاء وان السعادة
في اجتناب التنعم وان العار القبيح والدنس والخسّة قرينةُ الظلم
والكذب وان كفران النعم والجبن وصفات النقص في الاقوال
والافعال هي اكبر الموبقات فلا بدّ من اجتنابها والتخلص منها
ويعلّمون انشاد مديح فحول الرجال والابطال الذين ذبُّوا عن
الوطن والدين ولا بدّ ايضاً من تدريبهم على سماع الاصوات
الحسنة والانغام التي تجذب القلوب الى اللطف الممنوح وتلطيف
الآلام وتوجد فيهم سلامة الطبع والرقّة وتبعدهم عن الخشونة

الطبيعية وينبغي ان يعتادوا على محبة الاخوان وان يحفظوا انفسهم من الحنث في الاقسام ويصدقوا مع المحالفين والمعاهدين وان يرجعوا على انفسهم عند الارتكاب باللوم والتوبيخ والتخويف من عذاب الاخرة فاذا تعلموا هذه العلوم كلها في زمن الحداثة وتمكنت منهم فلا تضيع فيهم التربية

ثمّ قال ويجب ايضًا ان يرتب مكاتب عمومية رياضية تعودهم على حركات الابدان لابعاد الارتخاء والبطالة وغير ذلك مما يفسد الطباع التوليدية والجبلات الغريزية وينبغي ايجاد ترتيب الالعاب المتنوعة وانشاء ميادين يتنزه فيها الناس ويتفرجون على المخترعات الحسنة المبتدعة ليتنعش جميع الاهالي وتجدد فيهم الهمة والنشاط وتتولد لذة المسرة ويُرتب لهم ايضًا قصب السبق والجوائز لمن يفوق الاقران في حلبة الميدان حتى تحصل المنافسة والمسابقة والغيرة والهمة ونهى منطور عن زيجة الغلمان قبل زمن الرشد ويختار الاباء من النساء صحيحات الابدان والعقول من تحل عند الابناء محل القبول حتى تحصل المحبة القلبية بين الزوجين ونهى عن ان تفضل اغراض القرابة على المصلحة الزوجية

ولما انتهى منطور من هذا الكلام اخذ فيلوقليس يخطب في

فن الحرب لانهُ كان مولعًا فيها فقال لمنطور اذا اشتغل الغلمان
في هذه الرياضات والملاعب وتركوا بلا قتال ولا نضال أما
يخشى عليهم نسيان فن الحرب وجهل الحركات العسكرية في
زمن الخطوب لانهم خليين من الاقدام والاحجام في حومة الميدان
وهذا يضعف الامة بتوالي الايام فاجابهُ منطور مصائب الحرب
تدمر الحكومة وتنفذ ماعندها من الاموال والرجال واما طريقة
تعويد الاهالي على الشجاعة فانها في زمن السلم لا تكون مضاعة
فقد فهمت صورة رياضة الابدان وكيفية احراز قصب السبق
والجوائز وعلمت اداب الفخر والفضيلة التي يتعلمها الاطفال
بانشا مديح الرجال الابطال فهذا كلّهُ مما يعود اليهم بالقوة
والشجاعة وثمَّ شيء اخر وهو انهُ متى حصل حربٌ مع امة معاهدة
للحكومة يجب على الملك ان يرسل زبدة الشبان وخلاصة
الشجعان الذين فيهم الملكة العسكرية وفضيلة فن الحرب
ليكتسب شهرة عند الملوك المعاهدين وتصير معاهدتهُ محبوبة
وكلٌّ من احبابهِ ومعاهديهِ يخشى عليهِ الضياع ويود ان يفديهِ
بالمال والرجال ويدافع عنهُ كل الدفاع فبهذا يصير عندهُ
شجعان وابطال حرب من ابناء الوطن دون ان يعمل حربًا في
بلاده وينبغي ان لا يهمل حسن المعاملة والاعتبار لجنوده ولو

كانت السلم مستمرَّة في مملكتهِ

فبعد ان خطب منطور هذا الخطاب تعجب فيلوقليس من وعظهِ وامسك عن الاجابة وصار ينظر تارة اليهِ وتارة الى الملك فسرَّ حين راى الملك يصغى الى قولهِ ويتلقى كلامهُ بالقبول وان كلامهُ جدير بالحفظ والانتقاش في لوح الفؤاد لان التجليات الالهية بالحكمة الربانيَّة على قلب منطور ظهرت على لسانهِ فنظمت في سلانتة من الاحكام الجليلة واصول الفضيلة ما يبلغ الحكومة في حسن التدبير والسياسة شأ وَ المعالي وكذلك ارادت أن تعظ تليماك عند حضورهُ من الحرب موعظة محسوسة بهذا التحسين وتفهمهُ ان الحكومة الحسنة التدبير بحسن التفكر هي التي يكون عليها مدار سعادة الامة وملكها يحوز المفاخر العلية

المقالة الخامسة عشرة

لما ارتحل تليماك من سلانتة بعد نصائح منطور اجتهد في اكتساب محبة رؤساء الجيوش وشيوخ العساكر والقواد المجرَّبين في الوقائع فاستمال اليهِ الجميع لا سيما نسطور فانهُ صار عندهُ كالولد بالنسبة الى الوالد يعلمهُ ويفيدهُ كل ما يلتمسهُ منهُ من

الفوائد وكان يحكي لهُ جميع ما جرى لهُ في عهد الشباب ويقصّ
عليهِ ما عاينهُ مدة عمره من النوادر والعجائب لان حافظة هذا
البطل الذي بلغ من العمر مدةً طويلة كانت تغني عن تاريخ
الازمنة القديمة · واما فيلوفطاطيس فلم يكن في بداءة الامر يميل الى
تلماك نظير نسطور لانه كان يحقد على عولس من مدة اعوام
وهذا كان سببُ النفور من ابنهِ وكان يغار منهُ اذا توسم فيهِ انهُ
يبلغ مبلغ فحول الرجال ولكن ما جُبل عليهِ تلماك من التواضع
وحسن الخلق استمال اليهِ خصم ابيهِ واستولى على قلبهِ فاخذهُ
على انفراد وقال لهُ انت صرت الآن عندي بمنزلة احد اولادي
فاخبرك بحديثي انهُ من حينما دمَّرنا مدينة ترُوادة الى الان لم
يصفُ قلبي لابيك طرفةَ عين لعداوة حصلت بيني وبينهُ
ولكن لما رايتك في هذه النواحي حليف فراقٍ شعرت من نفسي
انها لا تستطيع الاَّ حبك وطالما وبختها على هذا الخطا فابت الاَّ
ذلك لما فيك من اللطف والتواضع وسهولة الاخلاق ثمَّ شرع
يحكي لهُ ما اوجب اضرام نيران البغض في قلبهِ من جهة ابيهِ فقال
لا بدَّ انك تعذرني متى سمعت قصتي فلا يخفاك اني كنت
اقتفي اثر هرقولس الاكبر من مكان الى آخر لانهُ كان من اعظم
فحول الرجال واقوى ارباب الشجاعة والابطال لانهُ كان قد

قطع الوحوش الكواسر والغيلان من الدنيا وجميع ما حصل لي ولهُ من المصائب نشأ من شهوة دنية وهي داء العشق والغرام فان هرقولس وان كان قد غلب جميع الحيوانات الهائلة لم يستطع ان يغلب نفسهُ الميالة الى العشق والغرام بل ضلَّ في وادي الصبابة وتاه في مفاوز الوجد وظهرت عليهِ آثار الخزي والخجل واستبدل الحماسة بالغزل ونسي فخارهُ ومجدهُ وذهب الى اومفالة ملكة لوديا ليغازلها وكان الباعث لهُ سلطان العشق وطالما اقرَّ لي ان هذه المثلبة تدنس فضائلهُ وتمحو فخارهُ من صحائف اعمالهِ الشجاعيَّة ولكنَّهُ ما استقرَّ على حال فان الطبع غلاَّب وهوى النفس جلاَّب بل عاد الى العشق وصادتهُ حبائل الغرام بعد ان كان ينفر منها فعشق جينيرة بنت ملك كاليدون وتزوج بها وما كان اسعدهُ لو بقي ثابتًا في هواهُ على حالة واحدة فان هذه الزوجة ابهى تحفة وابهر هديَّة ولكن عشق بعد ذلك يولة بنت اوروطوس ملك اوخاليا ذات اللطافة والظرافة وشغف بحبها وعدل عن زوجتهِ واهملها فاحترق قلب جينيرة واشتدَّ بها الحسد والغيرة فتذكرت القميص الذي تركهُ لها القنسطورس نسوس حين قتلهُ زوجها وكان افهمها حينما اعطاها اياه انهُ اذا اهمل العاشق عشيقتهُ والبسهُ اياه يهيج عشقهُ وحبهُ ويرجع اليها

وكان هذا القميص مشربًا بدم القنسطورس المذكور الممزوج بسم السهام التي اصيب بها من يد هرقولس فقتلهُ ولا يخفاك يا تليماك ان هذه السهام كانت مسقية من دم تنين مشهور عنهُ انهُ كان لهُ مائة راس وبعضهم يجعلها نحو الخمسين وانهُ قتلهُ هرقولس عند نهر لرنة في مملكة ارغوس في جزيرة المورة فسمّت السهام من دمائهِ فلما رماهُ هرقولس بها تمرّغ في قميصهِ واعطاهُ لجينيرة قصد الانتقام واخبرها انهُ للمحبّة كما تقدم

فارسلت جينيرة هذا القميص الى هرقولس لعلمها انهُ للحب فلبسهُ فاحسّ حالاً بنار لعبت في بدنهِ ودبت في مخ عظامهِ ولم يدر السرّ المكتوم فصاح صياحًا شديدًا اصدت لهُ الجبال والوديان وهاج البحر وماج وتلاطمت الامواج بالامواج وكان الذي احضر لهُ هذا القميص من طرف جينيرة خادمهُ لوقاس وهو لا يدري بخاصيتهِ فلما دنا من هرقولس وهو على ظهر جبل شامخ مشرف على البحر اخذهُ من يدهِ حال غيظهِ وقذفهُ من اعلى الجبل الى امواج البحر فاستحال لوقاس حالاً الى حجر لكنهُ على صورة البشر وهو باقٍ الى الان تحت جبل اويطا على شكل الادميّ تضربهُ الامواج من كل جانب ويخشى الربانيون من خطره فبعدما وقع للوقاس ما وقع خشيت من هرقولس واختفيت

في كهف عميق لاتخلص من الهلاك فشاهدتهُ على بعد وهو يقلع
أشجار السنديان القديمة العهد باحدى يديهِ ويحاول بيده
الاخرى نزع القميص المسموم عن بدنهِ فلا يقدر لانهُ التصق
بجلده فصار كلما مزّقهُ يتمزّق الجلد واللحم معهُ فيسيل الدم كالينابيع
ولكن شجاعتهُ لا زالت غالبة على الآلامِ وقد ظهرت فضيلتهُ حين
صاح عليَّ قائلاً يا ايها الخلُّ الوفي ان ما ارسلهُ الله اليَّ من
العذاب قد اوجبتهُ على نفسي لاني عصيتهُ وقد منَّ عليَّ بحسنةٍ
من الحسنات وهي زوجتي جينيرة التي عاملتها بالخيانة مقابلة
ما عندها من العفة والصيانة وبعد ما غلبت ما لا يحصى من
الاعداء تركت نفسي سدىً وملت عن طرق الهدى وعشقت
اجنبية وتركت الحليلة التي احرزتها بعقد الزواج فلهذا آل امري
الى الهلاك فانا راضٍ بموتي الذي فيهِ رضى المولى ولكن ايها
العزيز لماذا تهرب مني وتتأى عني نعم ان شدة الآلام اوقعتني
فيما الوم عليهِ النفس لاني عاملت خادمي لوقاس بالقساوة مع انهُ لا
ذنب لهُ لانهُ لا يعلم ان القميص مسموم ولا تظن اني انسى ودادك
ومعروفك فاقتلك شرَّ قتلة لا وحقِّك لا يصدر مني ذلك فانا
باقٍ على حبك ان مت او حييت فانت تحضر احتضاري وخروج
روحي الذي صار قريباً وانت تجمع رماد الرمَّة قال كلُّ ذلك

ولم اكن برأيٍ منهُ بل اسمع كلامهُ كلمةً كلمةً ثمَّ قال يحدث نفسهُ
اين انت مني اليوم ياعزيزي فانت مطلوبي لا غير

فلما سمعت ذلك سعيت اليهِ مهرولاً فمدَّ اليَّ ذراعيهِ
للعناق ثم رجع عن ذلك مخافة ان يسري اليَّ مافيهِ من الاحتراق
فقال واأسفاه قد آل بي الامر ان احرم من كل شيءٍ حتى من
عناق الاحباب قبل الفراق وصار يجمع ما قلعهُ من الشجر
والحطب وعمل منهُ تنوراً اعلى من ذروة الجبل ووثب عليهِ
مسرعًا بسكون وثبات وفرش جلد اسد غابة نيمة الذي كان
يأتزر بهِ متى ذهب من احد طرفي الخافقين الى الطرف الاخر
لحرب الوحوش الكاسرة وتخليص العالم من افتراسها ثمَّ اتكى على
رمحهِ وعلامات الرضى تلوح منهُ وامرني ان اوقد النار في التنور
فارتعشت يداي وداخلني الوجل ولم استطع الا الاجابة خشية
ثوران غضبهِ فلما راى اشتعال النار في جزل الغضا هشَّ وبش
وقال الان قد عرفت انك صديق حميم وشقيق شفيق لانك
آثرت راحة نفسي على ابقاء روحي معذبة مدى الحياة فاسال الله
ان يحسن اليك كما احسنت اليَّ والان اوصي لك باعز ما عندي
من حطام الدنيا الفانية وهو سهامي المسقية من دم تنين ذي
ماية راس وهو تنين لرنة فهذه السهام جرحها عضال لا ينجع

فيهِ دواء وتنتصر بها دائمًا على الاعداء ٠٠ واعلم اني على حبك اموت واقبر فان كنت من اهل المودة والشفقة فارفق بحالي واقبل مني وصية واحدة وعدني انك تفي بما اعاهدك عليهِ من السر وهو انك لا تكشف الى مخلوق من عباد الله سرّ هذه الموتة الشنيعة والقبر الذي تضم فيهِ رماد جثتي في هذه البقعة وحلفت لهُ بالايمان والاقسام ودموعي تسقي التنور مما ينسجم منها فلاحت على وجههِ حين الوعد علائم الفرح والسرور ثمّ صعد على حين غفلة وقذف بنفسهِ في التنور فاكتنفهُ اللهيب من كل جانب فمكثت لحظات وانا المح من خلال اللهيب نضرة وجههِ الاصلية لم تتغير ولا تكدر بل كان كانهُ في وليمة بين اصحابهِ واحبابهِ فاحرقت النار مادّة جسده وسرت روحهُ الى برزخ الارواح

ثم اخذت السهام التي اراد ان انتصر بها فحصل لي بسببها ما لا مزيد عليهِ من الآلام وحكاية ذلك انهُ بعد برهة وجيزة تصدّى الملوك المتعاهدون والامراء اليونان للانتقام من باريس بن بريام ملك تروادة نظير كونهِ عشق هيلانه بنت ملك اسبرطة زوجة ميتيلاس المسينيّ وسلبها منهُ قهرًا واقتضى لذلك حرب طويلة عادة على اليونان بالمصائب وقبل الشروع فيها عملوا

الاستيخارات وسالوا من كهانة هيكل الشمس عن هذه الغزوة واستفادوا انها لا تتمّ الاَّ بسهام هرقولس وان هذه السهام هي التي تدمر مدينة تروادة

وكان والدك عواس اعظم جميع الملوك تدبيرًا ومعرفة فتكفل امام هوءلاء الملوك ان يحضرني معهم في هذه الحرب وكان يعتقد ان السهام عندي اذ كان هرقولس انقطع عن الدنيا خبره وظهرت الوحوش والغيلان بعد ان كانت قد اختفت وتحير اليونان في امره فبعضهم يقول مات ميتة غير جلية وآخرون يظنون انهُ سار الى القطبة الشمالية لمطاردة الامم واما عولس فقد قال بموتهِ عن يقين كانهُ عالمٌ بهِ واراد ان يسالني حتى اقرّ لهُ بذلك لاعتقادهِ أني كنت عليهِ الحفيظ الامين فحضر عندي في الوقت الذي كنت فيهِ مصابًا بموت اعزّ الناس اليّ وهو هرقولس وكنت لا احبُّ ان ارى احدًا من الناس ولا ان انتقل من الجبل الذي مات فيهِ هذا الصاحب فوصل اليّ والدك واخذ يجذب قلبي بالتلطيف ويغريني بالبراهين والحجة القوية على ان قلبهُ على هذا البطل اسيف واظهر انهُ حزين مثلي عليهِ وشاركني بالبكاء والنحيب فاستولى بهذه الافعال على قلبي فأمنتهُ واعتمدت عليهِ ثمّ اخذ يعطف قلبي على ملوك اليونان

وقال انهم يحاربون لمصلحة عمومية يونانية وان مقصدهم ممدوح
ولا تتم هذه الغزوة الا بي وكان لا يقدر ان يتحقق مني موت
هرقولس ولكن كان لا يشك في موتهِ فصار يلحُّ عليَّ أن اطلعهُ
على محل عظامهِ التي استحالت الى رماد وكنت اخشى من الحنث
فاجبرني ان ارتكب التورية حتى لا احنث ففعلت ذلك ولكن
عوقبت نظير هذه التورية لاني ضربت برجلي على ثرى ضريحهِ
وسياتي لك ما نالني من العقاب وما ذقتهُ من العذاب الاليم
نظير هذا التأويل ثمَّ ذهبت وانضممت الى معسكر الملوك
المتعاهدين ففرحوا بي كانهم قابلوا هرقولس ولما دخلت جزيرة
لمنوس وانا مسافر اطلعت جميع اليونان على سهامي وخواصها
وصرت اباهي فيها وتجهزت لصيد بقرة وحشيَّة كانت تعدو في
خلال اشجار الغابات وسدَّدت السهم لأُصيبها فوقع على رجلي
جرحني جرحًا لم ازل احسُّ بالمهِ الى الان فذقت من العذاب
الاليم نظير ما ذاقهُ هرقولس فملأت الجزيرة من الصياح اناء
الليل واطراف النهار وكان يخرج من الجرح دمٌ اسود منتن
فكان يفسد بهِ الهواء ويتتشر منهُ الوبأ حتى فشا في عساكر
اليونان وسرت العدوى فنفر العسكر مني وجفوني حين راوني
على هذة الصورة الهائلة

وكان عولس هو الحامل لي على الدخول في عقد هذه المعاهدة والاشتراك مع هولاء الملوك وكان اول من بعد عني وجفاني حتى تكدرت بيننا كاس الوداد وعدمت وفاءهُ نظير بقية الاخوان فصبّرت نفسي وقلت لعلهُ آثر المصلحة العموميّة التي فيها فخر اليونان على المحبة الخصوصية ومكارم الاخلاق فما عاد امكن القيام في الجزيرة لان رائحة جرحي كدرت الجميع وافسدت لحوم ما يقرّب ويذبح من القربان فساروا وخلوني كما اشار عليهم والدك فتكدرت منهُ وقلت هذا من باب الخيانة وقلّة المروّة والانسانية والحال اني كنت اعمى لا ابصر الحقيقة ولا فهمت ان ذلك كان غضبًا عليّ من المولى نظير الحنث بالاقسام فاقمت في الجزيرة اكثر مدة حصار تروادة وحيدًا لا معين لي وقطعت الامل وصرت اليف السقام لا اسمع الا صوت امواج البحر تضرب الصخور فلمحت في وسط هذه الجزيرة كهفًا فارغًا في وسط صخرة عالية وفيها عين ماء نابعة فذهبت اليه بعد ان جمعت بعض اوراق شجر لانام عليها ولم يبقَ عندي من المتاع سوى قصعة خشبية وبعد اطمار واسمال كنت اعصب بها جرحي لحجز الدماء وهكذا كنت اقضي الزمان بتفويق السهام لاصابة الطيور التي تحوم فوق هذا الجبل فاذا اصبت بعضًا منها زحفت

على الارض متأ لمّا لاقبض عليهِ واقتات بهِ

نعم ان اليونان ابقوا لي بعض قوت لكنهُ يسيرٌ وكنت اقتبس النار من الاحجار وانفخ بها ما يسد رمقي وكانت هذه العيشة عندي خيرٌ من التأنس بارباب الجحود المجردين عن كرم النفس ولولا آلامي وتذكري قصتي المحزنة لكانت من اجلّ النعم فكنت اقول في نفسي كيف هولاء الناس يحملوني على هجر وطني ويتركوني بمثل هذه الجزيرة كيف يرحلون عني وانا في غفلة الرقاد لانهم لما رحلوا كنت راقدًا فلما استيقظت وجدت نفسي كالضالّ الهائم فتصوّر يا تليماك كيف كان استعجابي ودهشتي حين صحوت وامعنت النظر ورايت سفن اليونان تشق لجج البحر فجاد حينئذٍ انسان عيني بالدموع وغاض ماء عشمي من العود الى وطني ولم يكن لي اليف في الجزيرة سوى الاسقام

ولم يكن لهذه الجزيرة ميناء ولا يرد اليها احد طوعًا الّا من نكبهُ الزمان واكرهتهُ العواصف على الالتجاء اليها وكلٌ من حضر لا يرضى ان ياخذني معهُ خوفًا من غضب المولى وربما يخشى ان ذلك لا يرضي ملوك اليونان فمكثت نحو عشر سنوات اقاسي ما اقاسي حتى قطعت املي ورضيت بما انا عليهِ فبينما خرجت

ذات يوم لابحث عن نباتات طبية لنفع جرحي اذ لمحت وانا راجع الى الكهف شابًا ذا لطافة وملاحة فتصور لي انهُ اخيلوس لانهُ متصف بتقاطيعهِ وشكلهِ ولكن لما امعنت النظر وجدتهُ غيرهُ لان هذا شابٌ وذاك شيخٌ مسنٌ فلما رآني اجبو على الارض وازحف رقَّ لحالي وعطف نحوي فقلت قبل الوصول ما جاء بك الى هنا ايها الانسان فما ردَّ جوابًا ولا ابدى خطابًا فقلت لا تطِل عليَّ السكوت فانهُ لا صبر لي على عدم سماع كلامك فقال لي انا يوناني الجنس فصحت قائلاً ما احلى الكلام بعد طول الصمت ثمَّ قلت لهُ يابني اية مصيبة قذفتك الى هنا لشفاء اسقامي واطفاء نيراني الملتهبة فاجابني انا من جزيرة اسقوروس والان راجع اليها وعلى ما يقال اني ولد اخيلوس واسمي نيوبطليموس وانت تفهم الباقي وسكت مختصرًا الكلام

فقلت لهُ انت ولد رجل من اصدقائي وقد طالت عشرتي مع ابيك الهمام فيامتربّي في ديوان لوقومودة ملك اسقوروس كيف جئت الى هنا فاجابني انهُ جاء من حصار تروادة فقلت لهُ الم تكن هناك في الغزوة الاولى فقال وهل كنت فيها فقلت اراك لا تعرف فيلوقطاطيس من الامراء المتحالفة ولا عندك خبرٌ بما جرى لهُ فانا هو فاني تعيس وعبرة لاولي الابصار فهل يجهل

اليونان اني مقيم هنا اقاسي العذاب فقد خلّوني على هذا الحالة وساروا ثم حكيت لهُ كيف خلاني اليونان في تلك الجزيرة وحيداً ابكي على مصابي بالدموع الغزيرة

فلما سمع نيو بطليموس شكواي اراد ان يحكي إلي قصته فقال اعلم انهُ بعد موت اخيلوس ربّ الشجاعة فقلت سامحني ياولدي اذا قطعت كلامك لارشّ هذه البطاح بدموع عينيّ واكثر البكاء عليهِ فطالما صنع معي المعروف فقال لي سليتني بقطع الكلام والبكاء على والدي فانك اعظم صديق لهُ ثمَّ عاد الى حكايتهِ فقال بعد موت اخيلوس جاءني عولس وفينيش يستصحباني في الغزوة وقالا لا يمكن تدمير تروادة ان لم تكن حاضراً فذهبت معهما باختياري لان حزني على موت والدي ورغبتي في وراثة فخرهِ حملاني على ان اتم في هذه الغزوة ما لم يتممهُ لسوء حظهِ فحضرت الى المعسكر واجتمع حولي جميع الجند وكلٌّ يحلف انهُ شاهد بحضوري اخيلوس ولكن لسوء حظي لست انا وهو على حدٍّ سوى في الوقائع والطوالع لاني شابٌ خالي التجربة والاختبار فكنت اظن اني انال المقصود من هؤلاء الذين يغالون في مدحي فطلبت منهم قبل الشروع في الكفاح ما تركهُ والدي من السلاح فاجابوا جواباً قاسياً اننا لا نمنعك من ارث

ابيك الاَّ من السلاح فانَّا اعددناهُ لعولس فتكدرت من ذلك وبكيت غيظاً ولا زال عولس ساكتًا يرى انهُ احقّ مني بارث السلاح ثمَّ قال لي يا ايها الشاب الصغير انت لم تكن معنا كلّ المدة في معاناة الحصار فلا تستحق ميراث هذه الاسلحة واراك الان تتكلم كلام المتكبر فلا تمدّ لها يداً ولا تلمسها ابداً فلما جرّدني عن ميراثي تركت المعسكر وانا راجع الان الى جزيرة اسقوروس غضباً وهذه قصتي فقلت كيف صنع حينئذٍ اجاش ولِمَ لم يعنك ويدفع عنك الظلم وهو من وطنك فقال لقد مات وبقي عواس وحده على وجه الارض فقلت لعن الله هذه الحرب قد حصدت اعمار الاخيار وابقت ارباب الشرّ والفساد فان عولس يبقى حيًّا وربما طريست الذي هو اضحوكة الجيش وتفنى الاخيار واهل التقى ففي اثناء غضبي وتكلمي بحقٍ والدك كان نيوبطلموس يخادعني ويخلبني في الامور ثم قال قد فارقت الجيش الذي انهزم فيه الخير وانتصر الشرّ وقصدت ان اعيش مرتاح الفؤاد في جزيرة اسقوروس منعزلاً عن الامراء اليونانيين فالوداع الوداع فقلت لهُ ناشدتك الله يا بني لا تتركني وحيداً حليف ما تراه من الاسقام والاوجاع ولو كانت مصاحبتي ثقيلة عليك فعارٌ لك تركي هنا وانت من الكرام فاطرحني في مؤخر سفينتك حيث لا اضرّ

عليك فانك كريم النفس وابن كريم فأنشلني من هذه الجزيرة وسر بي الى وطنك وادخل بنا جزيرة انير بوز التي ليست بعيدة من جبل اويطا ومن تراشينتة ومن سواحل نهر اسبرخيوس لعلي اسير الى والدي من هناك واخشى ان يكون قد مات لانني كنت قد سالتهُ ان يرسل اليّ سفينة خصوصية وما ارسل فاما ان يكون قد مات او الذين اوصيتهم ما اخبروه بذلك فالآن اتضرع اليك ان توصلني اليهِ وانت تعلم ان الدنيا نعيم وشقاء

فلما قلت لهُ هذا وعدني انهُ يصحبني معهُ فصحت من الفرح ما ابرك والطف هذا الشاب فياأيها الرفيق التمس منك العذر في توديع هذا الكهف المحزن الذي قاسيت فيهِ ما قاسيت من الآلام فبعد ان تكلمت بهذا واردت ان اقرأ السلام على الجزيرة واخذت قوسي وسهامي قصد التجهيز للارتحال مع هذا الصاحب التمس مني الاذن بلثم هذه الاسلحة الهرقولوسيّة ذات اليمن والتقديس فقلت لهُ يا بني انت صنعت معي معروفًا واردت ان ترجعني الى وطني وتجمع شملي باهلي فلذلك الثم هذه الاسلحة المباركة وافتخر على جميع اليونان باطلاعك عليها حينئذٍ دخل الغار قصد التفرّج عليها وتقبيلها وكنت اذ ذاك قد اعتراني الم شديد فتغيرت احوالي وصرت لا اشعر بما كنت افعل ثمّ سقطت على الارض

صريعاً من شدة الالم فعرقت عرقاً عظيماً صحوت بهِ وخرج من الجرح دمٌ اسود منتن خفَّف الاذى من رجلي وفي اثناء هذه الغفلة سهل على نيوبطليموس ان ياخذ اسلحتي ويخرج من الكهف بطريقة حسنة فلما افقت عرفت انهُ اضمر في نفسهِ ما اضمر فقلت لهُ اراك تريد اخذي بغتةً فماذا جرى فقال يلزم ان تسير معي الى غزوة تروادة ففهمت مرادهُ وقلت لهُ يابني ردَّ عليَّ هذهِ القوس ولا تكن خائناً فلم يفه بكلمة بل صار يطيل النظر اليَّ وهو صامت فناديت بصوت يملأ الوديان ياايها الشواطيء والسواحل والوحوش الكواسر اليك ابثُّ الشكوى فانت الشهود على بكاءي ونحيبي فهل يسوغ ان يظلمني وانا على هذه الحالة ابن اخيلوس الهمام ويسلبني سلاح هرقولس ويذهب بي الى معسكر اليونان ويريد الانتصار على جريح ميت لا على رجل صحيح ليتهُ اغار عليَّ في زمن العافية ويا ليتهُ اظهر غدرهُ حال صحوتي فلو كان كذلك لكانت سهامي كافية لنصرتي. ثمَّ قلت يابني ردَّ عليَّ ما استلمتهُ مني وكن ابن ابيك بالله عليك كن متصفاً بالحلم والانصاف قد حيرتني فلاادري ماذا اقول. انظر فاني عريٌّ البدن فقير الحال منبوذٌ هنا لا قوت لي فلامحالة اني اموت هنا وحيداً الفقد قوسي وسهامي واصير عرضةً لفتك وحش الفلا

وانت يا ابني لا يظهر منك انك غادر خبيث بل لا بدَّ انك مغرٍ برأي الغير على هذا الفعل الذميم فردَّ عليَّ قوسي وسلاحي واذهب من هنا بسلام

فبكى حينئذٍ وهمس قائلاً ليتني ما خرجت من جزيرة اسقوروس ونحن في هذا اذ لمحت شبحًا بعيدًا عني فقلت اظنُّ هذا عولس فاجاب حالاً نعم انا هو فلما سمعت منهُ ذلك ارتعبت وظننت انها انفتحت لي ابواب جهنم ورأيت فيها اهل العذاب وصحت يا جزيرة لمنوس و يا شمس الضحى لي عليكما هذه الشهادة ستطلب منكما عند التقاضي فاجابني عولس بالهدوّ والثبات وكان وصل اليَّ هذا شيء ارادهُ المولى واجراهُ على يدي وغير ما قدّر لا يكون فقلت اتجسر ان تنسب الى المولى زورك و بهتانك دع العذر من الغدر وانظر الى هذا الشاب الذي هو مفطورٌ على عدم الغش والخيانة وقد اجبرتهُ على فعل ما يرضيك وما خطر ببالك وافسدت جنانهُ فقال عولس لم نحضر للغش والخيانة ولا لاضرارك بل لخلاصك من الهلاك واظهار شرفك وفخرك لانهُ بك تدمر مدينة تروادة ثمَّ تعود الى وطنك فانت يا فيلوقطاطيس عدوّ نفسك وليس عولس عدوًّا لها ولم يقصدها بسوء

حينئذٍ اسمعت اباك من الكلام القبيح ما لا مزيد عليهِ وقلت

لهُ خلّني هنا مطروحًا في زوايا الاهمال لاي شيءٍ تريد بقائي فاذهب عني ودعني في متربتي والامي ولا تاخذني انتصابًا لاني صرت عديم المنفعة ولماذا لا تعتقد الان كالسابق اني عاجز عن السفروان عفونة جرحي تفسد المعسكر وتضرُّ بتقريب القربان وتجلب الوبأ فياعولس انت السبب في ما اصابني من النكبات واردت ان ادعو عليهِ ثم عدلت اذ قلت ان الدعاء على الغير غير مجاب وينقلب على الداعي شرًا ووبالا وقلت ايها الوطن العزيز هل من سبيل الى العود اليك وهل اراك ابد الابدين اسالك يامولى الموالي فانت الحكم العدل ان تجيرني وتجازي عولس بما يستحق من العذاب فلما فرغت من ذلك اشتفى غليل قلبي وسكنت آلامي . وفي مدة هذا التكلم كان ابوك ساكتًا ساكنًا يسمع وينظر اليَّ بعين الرافة لا يغتاظ ولا يغضب بل يتحمل كلامي ويعذرني وقد شبهتهُ في هذه الحالة التي طاش فيها عقلي براْس طودٍ تنسفهُ الرياح وهو يهزأ بها علمًا منهُ بان زمن الغضب لا بدَّ ينقضي . فلما كلّت همتي وذهبت حدة الغضب عني قال ايُّ شيء جرى لعقلك وشجاعتك فانهما لم يذوقا طعم التعب وقد جاء اوان استخدامها والانتفاع بهما لمصلحة الاوطان فان سرت فمرحبًا بك والاَّ ودَّعناك وودعناك وعلمنا بانك

لست اهلاً لانقاذ اليونان من الذل والهوان فاقم هنا ونحن ناخذ هذا السلاح منك وننتصر بهِ على اعدائنا ويبقى الفخر لنا مدى الزمان ثمّ قال لنيوبطليموس أرحل بنا فلا فائدة من الكلام مع هذا البطل الباسل لان الشفقة على رجلٍ واحد لا توجب ترك مصلحة عامة فسلامة عموم اليونان اولى من خلاصهِ

حينئذٍ التهب غضبي وصحت يا ايها الكهف فيك أعيش وفيك اقبر حيث لا طعام ولا عشم استطعام من لي بسهام او سنان لاطعن نفسي وازهاق روحي ليتها تنشب بي مخالب جوارح الطير فلست استطيع الآن صيدها بقوسي ويا ايها القوس السعيدة المباركة طالما انتصر بك هرقولس وبارك عليك وانت ياهرقولس الساكن في بطن الرمس اذا كنت حيّاً في برزخك هلاّ تغضب مما احسّ بهِ عنصرك النوريّ فليست القوس اليوم في يد محبك بل هي في يد عولس الخائن ويا ايتها الطيور الضارية والوحوش الكاسرة بادري الى افتراسي اذ لا قوس بيدي ولا سهام أمانع بهما عن نفسي

فلما بذل والدك مجهودهُ بجميع الوسائل ولم يجده ذلك نفعاً اشار الى نيوبطليموس ان يردهُ اليَّ فقلت لهذا انت ابن اخيلوس حقاً دعني اطعن عدوي فارشت السهم واردت ان اطعن اباك

فمنعني نيوبطليموس وافادني ان الوهم قد غيَّر حالتي وطمس الحزن على بصيرتي فلا ابصر الاشياء كما يجب واما ابوك فلم يتحرك من اراشة سهمي ولا تأثر من سبي وشتمي فاوجد في قلبي لهُ شفقةً ورحمة لشجاعتهِ وشهامتهِ وداخلني الخجل والندم لاني اردت ان اطعن هذا الشهم بسلاحي وانا في حالة الغضب لاسيما انهُ هو الذي ردَّ سلاحي عليَّ وهذا معروف منهُ وانما كان غضبي لم يصل الى درجة الانقطاع فشقَّ عليَّ ان يكون الفضل لخصمي بردّ سلاحي وهذا عندي من العيب ثمَّ قال لى نيوبطليموس اعلم ان هيلانوس الكاهن ابن بريام خرج من مدينة تروادة بالتيسير الالهي ليفيدنا بالاعلان والاعلام فنطق بلسان الكهانة وقال ان مدينة تروادة لا ينحط قدرها ولا تسقط دولتها الا بحضور بطل همام مثقل بالاوجاع والاسقام حفيظ على سهام هرقولس التي يكون بها الفتوح وهذا المريض لا يشفى الاَّ امام هذة المدينة بمعالجة الاطباء ابناء اصقلابوس فيعود كما كان وتؤخذ بعد شفائهِ هذه القلعة الحصينة

فلما سمعت ذلك احسست بان قلبي نقسم واضطرب فترددت في امري وكنت اتفكر في صفاء قلب نيوبطليموس وخلوص نيتهِ وفي معروفهِ بردّ قوسي بطيب خاطر واهم بالانقياد

والمطاوعة ولكن متى تذكرت افعال عولس ارجع عن ذلك
فبينما انا في الحيرة والتردُّد اذ سمعت صوتًا لا كاصوات البشر
ولحت هرقولس من خلال السحاب كالضياء واشعة فخاره كالنور
وتصوَّرت صفاتهِ بما فيها من الشدة والشجاعة كانهُ غب انتصاره
على الوحوش والغيلان يقول بافصح لسان . انا هرقولس الذي
تسمع صوتهُ قد خرجت من البرزخ وجئت لافيدك ما ارادهُ
الاله في هذه الحالة لا يخفاك اني بحسن اعمالي قد احرزت البقاء
والتخليد في دار النعيم وقد اقتضت الحكمة ان تذهب مع ابن
اخيلوس لتقتفيا اثري في سن الفخار فهناك تبرأ من جرحك فقد
تمَّ البلاء وهناك تطعن برمحي باريس الذي هو اصل كلّ
النوائب وبعد فتح مدينة تروادة ترسل على ضريحي في جبل
اويطا كل ما تكتسبهُ من الغنائم لان النصرة كانت بسهامي
ثمَّ خاطب ابن اخيلوس بهذا الخطاب يا ايها النجل المنسوب الى
اخيلوس اعلم انك لا تنتصر بدون فيلوقطاطيس كما انهُ لا
ينصر بدونك فاذهبا كليتي غاب يسعيان الى غنيمة وانا ارسل
اسقلابوس الى تروادة لعلاج فيلوقطاطيس فيشفى جرحهُ ثمَّ
وعظنا بقولهِ يا معشر اليونان حافظوا على دينكم وتمسكوا بهِ فما
عدا الدين يفنى وهو باق ببقاء الزمان

فلما سمعت ذلك منهُ صحت يا ايها الشمس المنيرة قد اطعتك في المسير وانا مرتحل بعد وداع هذه الصخور والآكام فودعت الكهف وما حولهُ من الهضاب والبطاح وسرنا حتى وصلنا الى حصار ترواده فعالجني هناك طبيبان بطب اصقلابوس فعجل المولى بالشفاء وسامح بما مضى وصرت في الحالة التي تراني عليها الان وبحضوري كان الفرج على يدي اذ فتكت بباريس وتركتهُ صريعًا مجندلاً وبعد الفتك بهِ دمرنا ترواده وجعلناها رمادًا ويخفاك بقية الامر فكان لم يزل شيءٌ في نفسي من والدك الحكيم يحوك في صدري ويزداد كلما تذكرت تلك الآلام ولكن لما رايتك على صورتهِ وشكلهِ المعهود لم امتنع من محبتك والميل اليك ومالت النفس الى محبة ابيك تبعًا لمحبتك

المقالة السادسة عشرة

كان فيلوقطاطيس يقصُّ هذه الرواية وتلماك يشخص اليهِ مصغيًا يراعي أساليب الكلام ويعجب من حوادث الابطال كهرقولس وعولس ونيوبطليموس وكان يظهر عليهِ في اثناء الرواية كانهُ يتفرس مضارب الامثال ويتصور وقائع الحوادث

وكان احياناً يقطع كلام فيلوقطاطيس ويظهر الاستحسان او الاستقباح وتارةً يظهر انهُ يتصوَّر اشياء دقيقة وانهُ يتدَّبر معانيها ولما حكى فيلوقطاطيس حيرة نيوبطلموس واندهاشهُ ووصفهُ بانهُ لا يعرف الغش لاحت على وجهِ تليماك عين تلك الصفات حتى أن من رآه آن الحكاية خالهُ نفس نيوبطليموس

وكانت عساكر المتعاهدين في اثناء هذه الحكاية تسير على اتمّ نظام قاصدة قتال ادرستة ملكة الدونية وكان بين البعض من الروساء والقوَّاد بعض عوارض وضغائن فازالها تليماك واوجد بينهم الوفاق فاحبهُ الجميع ومالوا اليهِ كل الميل ولكن كان تليماك مع ما هو عليهِ من حسن الطبع وصفاء السيرة وكرم النفس لايخلو من العيوب الطبيعية التي ربتهُ عليها امهُ قهراً عن منطور كالانفة والكبرياء اذ كان يرى في نفسهِ انهُ من جنس اخر عن بقية الناس اصحاب الامارة والمراتب وان غيرهُ خُلق لخدمتهِ وكان يحب نسبة كل شيءٍ اليهِ كانهُ مدبر الاشياء بعنايتهِ فكان من يراهُ على هذه الصفة يعتقد انهُ لايحب غير نفسهِ وكان ذلك ناشئاً من حدتهِ وانعطافهِ الى اتباع هواه ومن ملاطفة امهِ لهُ من زمن المهد وهذه العادة من المصائب التي يبتلي بها من ينشأُ في حجر الرفعة والمراتب السامية

فايام الشدة التي مرت عليهِ من عهد الصبا لم تلطف اخلاقهُ ولا اضعفت كبرياءه حتى انهُ لما كان مهجوراً كسيف البال عرضةً للمصائب كان لم يزل يتعالى ويتعاظم كانهُ نسمةٌ لم يخلق مثلها فصار كالنخلة السحوق النامية اذاتها لا ينفع الاجتهاد في خفضها لقوة انباتها . ولكن مدة ما كان مع منطور لم تظهر عليهِ هذه المثالب بل كانت تتلاشى شيئاً فشيئاً ومتى انفصل عنهُ كان كالفرس الجموح يصهل في الفلا ويعدو في الانجاد والوهاد ولا يعرف الاَّ صوت فارسهِ ويدهُ في زمامهِ وهكذا كان تليماك ذا حدَّة قوية لا يمسك زمامها الاَّ منطور بارشاده وكانت النظرة من منطور كافية في ضبطهِ وامساكهُ . فكان لذلك لا يستطيع ان يتحمل وقاحة اللقدامونيين ولا سوء خلق فلانتة ملكهم وهولاء كانوا مولفين من اللقطة الذين ولدتهم امهاتهم من الزنى مدة حصار تروادة كما سبقت الاشارة في غير هذا الموضع وكان فلانتة ينتهز الفرصة لمخالفة تليماك ويجتهد في مناقضتهِ ويغتابهُ ويهزأ بهِ ويصفهُ بسخافة العقل والطياشة والتكسر النسائي ويحاول ان يوقع العداوة بينهُ وبين جميع الملوك والامراء ويجعلهُ مكروهاً عندهم . . وكان مما وقع ان تليماك أَسر جماعة من الدونية في الحرب وقادهم الى المعسكر ولما حضر

فلانتةادعى انهُ هو الذي اسرهم بقوتهِ وشجاعتهِ وان تلماك ما
حضر الى الحرب الا بعد انهزام الدونية فقاد الاسرى الى المعسكر
لانقاذهم من القتل فقال تلماك ان ما ادعاهُ فلانتة امر منكر وانهُ
هو الذي اوقف فلانتة عن الانهزام اذ كان جندهُ قد انكسر
وعلمهُ تنكر فردَّ القوم عنهُ وانتصر على الدونيَّة ولولا ذلك لكانت
الهزيمة على فلانتة وقومهِ فالتأم مجلس عام من الملوك المتعاهدين
لاقامة هذه الدعوى بين الاثنين وفصلها فتخلق تلماك في المجلس
وغضب غضبًا شديدًا وتهدّد فلانتة في وسط المجلس ولولا
دخول ارباب المجلس بينهما لافضى الامر الى القتال

وكان لفلانتة اخٌ يدعى هيباس موصوفًا بالشجاعة والبسالة
شهيرًا بالحيلة في الحرب طويل القامة عظيم الجثة مهابًا عند
الجميع فلما راى ما صدر من تلماك في المجلس بحق اخيهِ ذهب
حالاً واخذ الاسرى ليرسلهم الى ترأنتة ولم ينتظر فصل الدعوى
فناجى بعض الناس تلماك بهذا الامر فاغتاظ غيظًا شديدًا
وخرج يتطلب خصمهُ قابضًا بيده الرمح ليطعنهُ حيثما وجدهُ فلما راهُ
اشتد بهِ الغضب وخرج عن الاطوار البشرية وصار كأنهُ ليس هو
الشابّ العاقل الذي هذَّبت الحكمة اخلاقهُ وصاح على هيباس
قف عندك ايها الجبان الى اين تذهب بالاسرى وتسلبني ما

اغتنمتهُ وانا حاضرٌ هنا فلا بدَّ ان اذيقك كاس الممات ثمّ طعنهُ
بالرمح بلا تسديد ولا قياس مسافة فاخطأ الرمح فانتضى السيف
ليعدمهُ الحياة فالتقاهُ هيباس بقوتهِ وشجاعتهِ ومسك السيف
من يده فتكسر السيف من شدة عزمهما فتقابضا وتضامًّا وصارا
كوحشين كاسرين وكلٌّ منهما يريد تمزيق الاخر فاحمرت اعينهما
من الغضب وصارا يقومان ويقعدان حتى تخدَّش جسداهما
وجرى الدم منهما والتحما كانهما جسدٌ واحد ولكن كانت هيئتهما
مختلفة في عين الرائي لان هيباس كان اكبر سنًا واشدَّ عصبًا من
تلماك فرجح عليهِ حتى ضاق ذرعًا وزهقت نفسهُ واهتزَّت ساقاه
فلما رآه هيباس على هذه الحالة وانهُ فقد الموازنة ضاعف جهده
وقوتهُ ليقلبهُ ويجعل عاليه سافلهُ ويظهر عليهِ وكان ابن عوليس
قد اشرف على السقوط والانخفاض ليذوق جزاء المجازفة والجسارة
وحدة الغضب المفضية الى الهلاك الا ان الحكمة لا زالت تعينهُ
وتراعيه وهو على بعدٍ ولم تدعهُ يصل الى هذه الحالة المخيفة الاّ
للاختبار والاتعاظ والاعتياد على ممارسة الاخطار ولذلك
انتهت النصرة الى تلماك

وذلك ان الحكمة المتشكلة بهيئة منطور بقيت في قصر
سلانتة وبعثت بقوس قزح الذي هو ساعي الكواكب الساطعة

فطار في الجوّ بلطيف جناحهِ الملوَّن وشقَّ الفضاء الواسع سائرًا فوق شاطئ البحار الى قرب معسكر الامم المتعاهدة والقى عصا التسيار هناك فرأى من بعيد العراك والقتال بين المتناضلين فشقَّ عليهِ حال تلماك مع خصمهِ فقرب منهُ متدرجًا في سحابة لطيفة مكوَّنة من الابخرة الدقيقة الشفافة والبسهُ المغفر الذي ارسلتهُ معهُ الحكمة امانة فلما شعر هيباس من نفسهِ بالقوة على تمام النصرة كان تلماك قد احسَّ ان المغفر شدَّ ازرهُ وادرك من نفسهِ قوة العزم والانتعاش وصار يتقوَّى تدريجًا حتى تكامل عزمهُ واشتدَّ جسمهُ واما هيباس فكان عكس ذلك لانهُ شعر ان قوتهُ اخذت تضعف وجسمهُ ينحط فتكدر بالهُ وتغيرت حالهُ فزاحمهُ حينئذٍ تلماك وصارعهُ فامالهُ شرَّ ميلة ولم يبق لهُ وقتًا للاعتدال فالقاهُ على الارض طريحًا وعلا على ظهرهِ وبهت وذلك انهُ لما حضرت القوة الى تلماك حضر معها في آنٍ واحدٍ العقل والحكمة فبهذا حقن دم هيباس واستبقى عليهِ ولم يعزم على قتلهِ فبمجرد وقوع هيباس تحت تلماك ادرك هذا خطأ نفسهِ اذ ناضل اخا احد الملوك المتعاهدين وهو قد حضر معهم ليكون لهم معينًا ومساعدًا فتذكر نصائح منطور السابقة فخجل من نفسهِ وعلم عدم لياقة هذا الفعل وعند ذلك حضر فلانتة

متميزًا من الغيظ ونهض لاغاثة اخيهِ وبيده الرمح وهمَّ ان يطعن تلماك ولكن خاف منهُ ان يقتل هيباس المجندل على الثرى وكان قد سكن غضب تلماك فقام من فوق خصمهِ وصاح حسبي ياهيباس ان ايقظتك حتى لاتحتقرني من الآن فصاعداً لصغر سني وقد استبقيت عليك ووهبتك نفسك وشهدت لك بالشجاعة واذ قد اعانني المولى عليك فارض بحكمهِ وقضائهِ ولا تفتكر من الان فصاعداً ان يقاتل بعضنا بعضاً

حينئذٍ قام هيباس مغبرًا دامي الجراح كئيبًا لابسًا سربال الخزي والغضب واما اخوهُ فلانتة فكان واقفًا موقف الخجل يكاد يشرق بريقهِ فنهض الملوك المتعاهدون سريعًا وفرقوا بين الخصمين وابعدوهما خوفًا من وقعة فظيعة وذهب هيباس خجلاً لا يستطيع ان يرفع راسهُ في احد فتعجبت العساكر من ان تلماك شابًا لين العظام يقلب هيباس القوي الجبار ولكن كان تلماك غير فرح بهذا الانتصار وعرف ان اقدامهُ على ذلك من باب الغرور والكبرياء فذهب الى خيمتهِ نادمًا على ما فعلهُ واقام فيها يومين منعزلاً عن الناس يلوم نفسهُ ويوبخها ويقول كيف يمكنني ان ارى منطور بعد هذا اليوم وهل استحق ان ادعى ابن عولبس الحكيم وهل حضرت الى هنا لاكتسب عداوة هولاء

الملوك او لاساعدهم على حرب الدونية وبقي مدة هذه العزلة يتاسف ويتندم على ما صدر منهُ ثمَّ قدِم عليهِ كلٌّ من نسطور وفيلوقطاطيس اسوأ مقدم وقصدا ان يبديا لهُ ان ما فعلهُ كان مجردًا عن اللياقة ولكن نسطور العاقل الفاضل ادرك من حال هذا الشاب الاسف والندم والحزن على ما فرط منهُ فضرب عن خطابهِ بهذا الشان صفحًا واخفى الغضب واظهر الرضى والسماح ولاطف تلماك بالكلام ليهوّن عليهِ الخطب

وكان الملوك مدة هذا الجدال قد اوقفوا الحرب اذ لا يمكن المسير الى العدوّ الاَّ بعد ايقاع الصلح بين تلماك والاخوين وكانوا متخوفين من هجوم عساكر ترانتة على من كان من العساكر صحبة تلماك أخذين الحذر من ذلك ليلاً ونهارًا وكانوا لا يستطيعون تسيير العساكر خوفًا من الاقتتال والعراك اثناء الطريق وكان كلٌّ من نسطور وفيلوقطاطيس يتردد من خيمة تلماك الى خيمة فلانتة لوعظ هذا المصم على الغدر والانتقام ويخاطبانهِ بشان العفو والسماح حتى عجزا عن ذلك وكان جميع المعسكر على غاية من الخوف والحزن من وقوع هذه البلية

وفي اثناء هذا الاختلال سمع الجيش اصواتًا مزعجة ثمَّ تبين انها اصوات مشي عربات وقعقعة سلاح وصهيل خيل وعجيج

اناس بالبكاء والنواح ونظروا غبارًا يتصاعد الى السماء ومثار النقع احاط بجميع المعسكر ودخانًا كثيفًا متصاعدًا كدّر الهواء ثمّ اعقبهُ دويٌّ شديد يستنكرهُ العقل فحصل الخوف في جميع القلوب وتجدد في المعسكر حالة مقلقة . وسبب ذلك ان ادرستة كان يقظًا لا تكل همتهُ وفطنًا لا تخبو فكرتهُ فهجم على عسكر الملوك المتعاهدين على حين غفلة وكان قد اخفى سيره عنهم فمشى عليهم مسرعًا وكان يعلم حال مسيرهم حطًا وترحالاً فقطع في مسير يومين مسافة لا يصدق عليها العقل لانهُ قطع جبلاً وعرًا ضيق المسالك محافظًا على عقباتهِ وطرقاتهِ من الملوك المتعاهدين ظنًا منهم انهم متى حافظوا على هذه العقاب والمسالك امنوا من هجومهِ وانهم يهجمون عليهِ من وراء هذا الجبل بعد ان تاتي العساكر التي هم بانتظارها واما ادرستة فكان يبذل الدرهم والدينار لمعرفة سرّ اعدائهِ فعرف ما عزموا عليهِ لان نسطور وفيلوقطاطيس مع وفرة عقلهما وفضلهما كانا غير معتادين على كتم الاسرار واخفاء ما في فكرهما من المشروعات كما ينبغي لا سيما نسطور فانهُ لكبر سنهِ كان قد اخذ بالانحطاط وصار يحكي ما يفتخر بهِ ويمدح عليهِ واما فيلوقطاطيس فكان بالطبع قليل الكلام الا انهُ كان اقلّ شيء يثير غضبهُ فيقول ما لا يجب ان يقولهُ حال

الرضى فيبج بالسر ويظهر ما استتر في ضميره ولا يحسب عاقبة ذلك فارباب المكر والخداع عرفوا مفتاح ضميره وانه بمجرد ما يغضب يرعد ويبرق وينفث ما سيفعلهُ فينفلت منهُ ويجول في ميدان الاعلام والاعلان حتى لا يبقي في صدره على شيء

وكان ادرستة قد رشا اناسًا خائنين لكي يطلعونهُ على ما يصمم عليهِ هذان الملكان من الاجراءت والحركات فكانوا يغتنمون الفرصة لاستكشاف ما في ضميرهما اذ كانوا يمدحون نسطور ويذكّرونهُ ما وقع لهُ من الانتصارات وينصبون الاشراك لفيلوقطاطيس بذكر ما يجزع منهُ ويقلّ صبره فيجند منهُ ويفشي ما عنده من الاسرار

واما تلماك فكان اعقل منهما في حفظ السرّ والاحتراس من الناس لانهُ كان قد اعتاد على ذلك مما جرى لهُ من النوائب لا سيما انهُ كان من صغر سنهِ متربيًا على كتم الاسرار فكان يحكي جميع ما يصلح ان يحكى بدون ان يترتب على كلامهِ عاقبة رديئة وكما كان يحسن الكلام كان بالطبع يحسن السكوت عما يخص الاشياء القابلة الشك والتردد مما يفضي الى ايقاع الشبهة

وكان تلماك قد فهم ان قرار المجلس لا زال يفشي في عموم المعسكر فنبه نسطور وفيلوقطاطيس على ذلك وانهُ يجب الكتمان

فلم يستيقظا ولا التفتا الى نصيحتهِ لانهما كانا قد شابا على هذه الحالة فلم تؤثر فيهما النصيحة وكان في المعسكر رجل منافق من جزيرة دولورية يدعى اوروماكوس ولكن كانت طباعهُ محبوبة اذ كان متملقًا متداخلاً يحسن موافقة الامزجة والطبائع مع جميع الملوك وكان صاحب تخيُّلات مخترعة وتحيُّلات مبتدعة وتدابير متنوعة يجد دائمًا الطرق والوسائل لارضاء مطامع الملوك وسرور رؤساء الافاضل فاذا قال اسهب ووافق الغرض واذا سئل عن رايهِ فهم المقصود من السوال وادرك ما يتطلب السائل واعجب واغرب في الاجابة وكان ذا مجون وهزليات وضحك على سخفاء العقول يصطنع المعروف مع من يخافهُ ويحسن لهُ المقال وكان يلبس لكل حالة لبوسها فبهذا كان يعيش مع الملوك والامراء ولو انهُ غير مستقيم الحال بخلاف ذوي النيات الخالصة والطويات المخلصة فانهم غالبًا لا يكونون مقبولين عندهم وكان اوروماكوس متقنًا فن العسكرية ومقتدرًا على ادارة المصالح الملوكية وكان قد ربَّاهُ نسطور واعتمد عليهِ في الاشغال العمومية والخصوصية فاعتاد على استخراج ما في ضميره بالمدح والتملق لان نسطور كان يفرح بالمدح واما فيلوقطاطيس فكان لا يعتمد على اوروماكوس ولا يأتمنهُ بل كان لما يناقضهُ يحتد ويغضب ويفشي ما في ضميره

فيفهم المقصود منهُ ويفي لادرستة بما ارتشى فيهِ من الدراهم وكان لادرستة المذكور في المعسكر عدة جواسيس مظهرين الفرار يجولون من جهة الى اخرى حتى لا تظهر خيانتهم فكان اور وماكوس يبعث بما يطلع عليهِ من الاسرار مع واحدٍ منهم شفاهًا حتى اذا وقع احدهم في يد احدٍ من المعسكر لا يشتبه فيهِ بكتابة ولا تعرف خيانة اور وماكوس ولذلك كان ملك الدونية يعرف كل ما يحصل في مجلس الملوك المتعاهدين وكان تليماك يديم البحث عن اسباب عدم النجاح وينبّه نسطور وفيلوقطاطيس على كتم الاسرار ولم يحصل على فائدة بل كان كل منهما اعمى لا يبصر مضرة هذه البلوى

وكان قد وقع الاتفاق بينهم ان لا ينتقل الجند من مكانهِ حتى يحضر الجيش المنتظر قدومهُ وارسلوا ليلاً ماية سفينة الى مرسى معين لاستقبالهِ واحضاره لان قدومهُ كان محقق عندهم وكانت معابر الجبل القريبة منهم محروسة وهم في امان من الدخول منها وكانت العساكر ضاربة الخيام على جانب نهر غالس القريب من البحر مقيمة في سهل فسيح كثير المرعى والفاكهة وعساكر ادرستة وراء هذا الجبل الوعر وكلٌّ يعتقد ان لا قدرة لهُ على اجتياز هذا الطود الوعر ولكنَّ علم ملك الدونية ضعف

اعدائهِ وانتظارهم الامداد ووقوع الفشل في المعسكر بسبب الخصام بين تلماك وفلانتة سهل عليهِ سلوك هذا الجبل بدون ان يعلم احد بهِ فجدَّ المسير ليلاً ونهارًا ووصل الى شاطئ البحر وغلب كل الموانع بجسارتهِ ثمَّ استولى بغتةً على المائة السفينة ونقل عساكرهُ فيها الى فم نهر غالس وصعد حالاً على امتداد النهر وتتبع السواحل حتى وصل تجاه عساكر المتعاهدين فظنت مقدمتهم ان هذه هي الامدادات والاعانات المنتظرة فصاحت فرحًا واما ادرستة فقبل ان يعلم المتعاهدون خبرهُ حمل وغار بغتةً على عساكر الاعداء وكان مختلاً نظامهم واتفق هجومهُ على الجهة التي كانت فيها عساكر فلانتة وكانوا قليلي الخبرة في ممارسة الحروب لا سيما انهم عُزْلٌ فاندهشوا وتحيروا وبينما كانوا يبحثون عن سلاحهم اضرم ادرستة النار في مهمات الاعداء فتصاعد اللهب والدخان حتى بلغ السحاب وسرت النار بواسطة الهواء فافنت جميع مهمات اللقدامونية

ولما كان فلانتة اقرب الى الخطر من غيره لم يجد دواءً غير الفرار وتاكد انهُ ان لم يفر مع جنده احترقوا جميعًا بالنار ولكن لما ادرك ان فرارهُ امام العدو بالاخلال يخشى منهُ عليهِ شرع يخرج شبانهُ ليخلصوا من الحريق ولم يكن احد منهم شاكي السلاح

ولكن ضايقهم ادرستة وأثخنهم بالجراح اذ سلط عليهم من الجهة الواحدة رماة النبال ومن الجهة الاخرى رماة الاحجار بالمقاليع فصارت النبال والاحجار نازلة عليهم نزول المطر وبعد ذلك انتضى ادرستة سيفهُ البتار امام فرقة من شجعان قومهِ على ضياء النار مقتفياً آثار الفارّين من عساكر فلانتة فاسر منهم من نجا من الحريق وقتل وذبح وخاض في دماء اعدائهِ اذ كان متلبساً بالغضب فكان فعلهُ فعل الوحوش الكاسرة فانكسرت عساكر فلانتة شرَّ كسرة وذهبت منهم الشجاعة وصار اكثرهم رمماً بالية

ولم يزل فلانتة حافظاً شجاعتهُ وقوتهُ فرفع عينيهِ نحو السماء واستدعى من مولاه ابدال الغضب بالرضى وكان ادرستة قد طعن هيباس برمحهِ في احشائهِ فسقط على الارض طريحاً يتمرغ بالتراب ويتضرج بدمائهِ وكان سقوطهُ جانب اخيهِ فلانتة فوجدهُ على هذه الحالة وقد عجز عن اغاثتهِ وشغل بما حولهُ من اعدائهِ المجتهدين في اهلاكهِ ومغفره كان قد تخرَّق من السهام وكثرت في بدنهِ الجراح وقصرت يده عن جمع الباقين من عسكره ولم يكن احد مطلعاً على احوالهِ الا المولى سبحانهُ وتعالى وهو يرجو من كرمهِ الرحمة والرافة

المقالة السابعة عشرة

فالحقُّ سبحانهُ وتعالى اراد ان يعرّف الناس سرّ حكمتهِ ويريهم حالة المتعاهدين في درجة الانهزام وحالة ادرستة في درجة الظفر فكانهُ يقول عبرةً لاولي الابصار الكل مني واليّ وانما الحالة الراهنة حالة غرور لا يعول عليها فان ادرستة الخائن لكفره لا يتم لهُ النصر العزيز ونصرتهُ الظاهرة ليست عائدة عليهِ بالعز بل الحكمة فيها جزاء الملوك المتعاهدين اذا افشوا السر الذي هو شعبة من الدين فكان ذلك تكفيرًا لسيئاتهم وبهِ تنتهي الحال الى حسن حالهم وفوزهم بالنصر وتظهر الحكمة شرف تليماك

وقد وصل خبر هذه الهزيمة الى كلٍّ من نسطور وفيلوقطاطيس وعرفا ان فلانتة لا يستطيع مقاومة الاعداء وحدهُ فجمعا حالاً رؤساء الجنود وامرا بالخروج من الخيام للخلاص من الحريق واخذا يبحثان عن طريقة لانقاذ مهجهم من النار وكان تليماك اذ ذاك في حالة الحزن والقلق فلما سمع ذلك نسي همومهُ وحزنهُ ولبس المغفر وتقلد ما كانت قد اهدتهُ اليهِ الحكمة المتشكلة بشكل منطور من الاسلحة التي كان اخذها منطور من

صانع بمدينة سلانتة كان الصانع قد اصطنعها في الظاهر لكنها كانت في الحقيقة من مصانع بركان مدبّر الصنائع الحديدية وكان معملهُ في جبل النار المسمى بركان اتنا في جزيرة صقلية فكانت اسلحة مشهورة باليمن والنصر مصقولة كالمرآة لامعة كالشمس في رائعة النهار وكانت صورة الحكمة مصوّرة عليها في جانب صورة البحر المحيط على هيئة تفهم انهما يتنازعان الفخار في شان بناء مدينة جديدة على وجه الارض يروم كلٌّ منهما تسميتها باسمهِ ليكون مؤيدًا على صاحبهِ فشرع كلٌّ من الحكمة والبحر يبدي ما عندهُ من العجائب الغرائب فاخذ البحر صدفةً عظيمةً وضرب بها السواحل والبرور فانفلقت فخرج منها فرس البحر العجيب الخلقة لكنهُ شموس جموح تقدح عيناهُ شررًا ويخرج من فمهِ رغوة وزبد ويلعب بمعرفتهِ فيتموج عرفهُ ويميد وتمتد قوائمهُ اللينة مطاوعة حركاتهِ القوية فلا يمشي مشيًا وانما ينط ويثب بقوة وصلابة ويسرع النهوض ولا يؤثر حافرهُ فيما يجول عليهِ وانما يصهل صهيل الخيول البرية وهذه هي الاعجوبة التي تخلقت من البحر واظهر بها الفضيلة على الحكمة

واما صورة الحكمة فانها بادية الصلاح مصورة على الاسلحة انها تعطي المدينة الجديدة غصنًا من الزيتون ثمارهُ يانعة من

الزيتونة المباركة التي غرستها يدها فنمت واثمرت وهذا الرسم كناية عن اجتماع الصلح المقبول مع الخير والبركة فكان اختراع الزيتون اولى وافضل من توليد حصان البحر الذي هو صورة الحرب فانتصرت الحكمة في ميدان الفخار على البحر اذ اهدت الى الجميع الهدايا البسيطة النافعة واستحقت بذلك ان تسمى المدينة باسمها فسميت اثينا لان معنى اثينا باليونانية مدينة الحكمة والحكماء

وكانت صور الفنون المستظرفة مصورة حول صورة الحكمة على شكل اطفال صغار لهم اجنحة يحومون حولها كانهم يلجأ ون اليها خوفًا من الحرب التي تستلزم التدمير وفي هذا الرسم مصوّر ايضًا ان الحكمة تنافست مع ارباب الفنون فاظهرت براعتها في الفوائد والمنافع لا في المصنوعات المزخرفة واغتاظت على من قدم لها منها وفي الرسوم صورة الحكمة في حرب عمالقة اليونان تعطي جبابرتهم الذين تحملهم على الحرب شدة الجور والطيغان النصائح والوصايا بعظات صلحية الهيّة تحير العقول ومصورة ايضًا على الاسلحة برسم رمح ومغفر على سواحل زانطة وسيمويس ماسكة عولس بيدها لينتصر ومنعشة قلوب العساكر اليونانية الفارّة ومشددة قوى روساء الغزوة التروادية وقد احيت قوة الباسل هقطور كما انها ادخلت عولس في الدولاب المنحوس

الذي هو السبب في تدمير تروادة في ليلة واحدة وانقراض مملكة بريام

وعلى الدرقة التي ينتصر بها تليماك صورة البركة على شكل السنبلة في مغارس صقلية الكثيرة الخير وحولها الخلق من جميع الاطراف يحثون عن الصيد والقنص واجتناء الثمرات اليانعة من الاشجار النابتة بنفسها وتعلم هولاء الناس فن الفلاحة والغرس وسقي الارض لتبدو لهم السنابل الذهبية اللون وعلى الدرقة صورة الذين يحصدون النباتات الزراعية الناتجة من كدِّ الحرَّاثين مكافاة لهم ويترآى ما هو مصور حول الدرقة ان الحديد المصطنع آلآت حربية في البلاد الاخرى لا يصطنع في صقلية الا للحراثة او لما يفيد المملكة من العمران وعلى هذه الدرقة صور عذارى ابكار متوجات بتيجان من الازهار راقصات على بساط الرياض حول الحدائق والبساتين وحولهنّ مفيض التدبير على الالات والالحان يغني لهنّ بزماره وهنّ محفوفات بالظباء والغزلان تدنو من الجميع دوالي الاعناب التي تجنى بالبنان ويعتصر منها الرحيق القرقف وتجد في جميع جهات الرسم رسم امةٍ كثيرة الاهل منتظمة في سلك الاجتماع ومشائخها يذهبون الى المعابد ليتصدقوا فيها بباكورة الحصائد والشبان

تلتقيهم نساؤُهم وهم راجعون من اشغالهم مساء ومعهنَّ الاولاد الصغار يفرحون بهم ويلاعبونهم في اثناء الطريق ورسم رعاةٍ يغنون واخرون يرقصون على صوت المزامير فهذا كلهُ صورة الصلح الدائم والخير والهناء يذكر الانسان عهد زمن السرور المسمى بزمن الذهب في تاريخ جاهلية اليونان فخلع تلماك الدرقة المعتادة من غير ان يشعر بهِ احدٌ ولبس هذه الاسلحة المباركة والدرقة التي ارسلتها لهُ الحكمة مع ساعيها قوس قزح وسار حالاً الى المعسكر وصاح صيحة هائلة يستدعي حضور جميع رؤساء الجيوش فاحيا همتهم بصوتهِ الجهوري وكانت الدهشة قد تمكنت منهم وداخلهم الرعب والذُعَر وصارت عينا تلماك تقدحان الشرر ولكن لا زال متطلقاً خالص الحرية ملازماً الامر والنهي كانهُ شيخ كبير رئيس عائلة واخذ ينظم فتيانهُ باسرع ما يكون وقد احسَّ كلٌّ من نسطور وفيلوقطاطيس ان تلماك استولى عليهما فانقادا اليهِ نظير سائر الروساء والقوَّاد حتى ان الغيرة التي هي شيءٌ طبيعي في الناس ذهبت من قلوب الجميع وامتثلوا رايهُ من دون ابداء ملاحظة ولا اعتراض فنهض تلماك حالاً وصعد الى راس اكمةٍ واستطلع صفوف الاعداء ونزل اسرع من البرق وامر بالهجوم عليهم لانهُ راى ان جندهم في اختلال

منهمكين على احراق المعسكر وصارفين النظر عن قدوم الجند عليهم فطاف تليماك بالعساكر سريعًا حول الاعداء وتبعهُ روساء الرجال المجربين وهجم على الدونية من وراء جيشهم من حيث لا يشردون فما شعروا حتى احاطوهم من كل جانب فوقعوا بين يدي تليماك فابلاهم بالذل والهوان ونثرهم نثر اوراق الشجر في آخر الخريف اذا نسفتها الرياح العواصف وسقاهم كاس الهلاك وطعن ايفيقلاس اصغر اولاد ادرستة في حشاهُ فالقاهُ على الارض طريحًا والموت يغشاهُ وكان هذا الشاب نظير تليماك جميل الشكل لطيف الصورة قويًا شديدًا هامًا شجاعًا معتدل القامة عزيزًا عند اهلهِ ثمَّ جندل اوفوريون اشهر رجال الدونية ثم قتل بالسيف اقليومنوس المتزوج حديثًا وكان قد وعد العروس بانهُ يتحفها بغنيمة سنية من سلب من يقتلهُ من المتعاهدين

واما ادرستة ففار دمهُ واختلت حركتهُ لفقد اعز اولادهِ وتضعضعت رؤساء عساكره وباء بالخيبة بعد النصر وانتعش فلانتة بعد ما كان قد اشرف على الهلاك اذ سمع صوت تليماك وهو قادم عليهِ ليغيثهُ من اهوال الحرب وردَّت روحهُ اليهِ وارتدت عساكر الدونية عنهُ خوفًا من تليماك الذي كان يبحث عن ادرستة في ميدان المعركة ليقتلهُ ويريح الناس من شرهِ

ولكن طالع ابن عولس لم يساعدهُ الان على تمام الانتصار بل قد اتاح لهُ ان يتحمل اكثر من ذلك ليتعلم تدبير الاحكام ويعتاد على حسن الادارة فابقى ادرستة الى يوم آخر ليحوز النصر بوجه اوضح فلذلك جادت السماء بسحاب متراكم انتشر في الجوّ فجأةً حتى ملأ الفلا وتبعهُ رعدٌ قاصف ووميض برق كاد يخطف الابصار واظلمت الدنيا وكثر الضباب وانهلّ المطر في الحال فكان ذلك سببًا لانفصال الجيشين فاغتنم ادرستة الفرصة التي سخرها المولى لاجلهِ ولم يعترف بقدرتهِ فاستحق بكفران النعم تاخير الاجل ليعذب اشدّ العذاب فبادر هذا الكافر الى ارجاع جيشهِ الى محل المعسكر الذي احترق بعض احتراق ودبر ذلك احسن تدبير حتى ان رجعتهُ دلّت على انهُ جيد القريحة حاضر العقل همام شجاع وكانت عساكر المتعاهدين قد قويت قلوبهم بوجود تلماك فهمّوا ان يقتفوا اثرهُ ليهلكوهُ فمنعتهم العواصف ونجا منهم فعادوا الى المعسكر لاصلاح ما وقع من الخلل فلما دخلوهُ وجدوا فيهِ من الامور الفظيعة ما ينتج عادةً من الحرب اذ شاهدوا كثيرًا من الجرحى لا يقدرون على الخروج الى خارج المعسكر وانهم يقاسون ما لا مزيد عليهِ من الآلام فتمزّق قلب تلماك لما رآهم على هذه الحالة وصاح صياح الاسيف يشكو مصائب الحرب

والنكبات التي تعقبها ثمَّ شرع يبحث عما يلطفها ويخففها فكان يذهب الى خيام العساكر لعيادة وعلاج الجرحى ويعطيهم الادوية النافعة ويصبرهم ويسليهم بامثلة الحكمة الساطعة

وكان معهُ من الذين صحبوهُ في هذه السفرة من الكريديين شيخان وفوران اسم احدهما طر ومافيل واسم الآخر نوصوفوج وكان الاول منهما في حرب تروادة مع ايدومينوس فاكتسب علم الطب من ابناء اصقلابوس وكان بارعًا في مداواة الجروح فكان يدرُّ على الجرح العميق دواء سائلاً طيب الرائحة يأكل اللحوم المنتنة فيشفى الجريح بدون عملية جراحية بآلة من الآلات واما نوصوفوج فانهُ لم يجتمع بهولاء الاطباء بل كان عندهُ كتاب من كتبهم اخذهُ من فاريون وهو كتاب نفيس مشتمل على الفوائد الطبية كان قد اعطاهُ اصقلابوس لابنائهِ فكان يستنبط الطب من هذا الكتاب ويطبب المرضى وهو رجل من ارباب التقى والصلاح فكان يرسل تلماك هذين الطبيبين الى مداواة المرضى والجرحى فيعطيان الدواء للداء حكم اللازم ويبذلان الجهد في تعجيل الشفاء وكان يتفقد احوالهم ويجتهد في ايجاد الراحة والنظافة لمنع الاهوية الرديئة ويحثهم على الحميَّة في زمن النقه خوفًا من النكس فصار جميع العساكر يقدمون لهُ الشكر

والثناء ويحمدون المولى الذي سخر لهم تلماك لمعالجة جرحاهم وتلطيف بلواهم

فخرج تلماك ذات ليلة حسب عادتهِ ليطلع على احوال العساكر خوفًا من ادرستة فسمع مدح الجميع فيهِ مدحًا مجردًا عن الشبهة والملق خاليًا من التصنع والنفاق صادرًا عن صميم الفؤاد المبني على الود الصحيح لا كمدح الملوك الخارجي فلما سمع منهم مدح نفسهِ في غيبتهِ حلَّ عندهُ محل القبول وشعر بسرور باطني انشرح بهِ صدرهُ وسرّت بهِ سريرتهُ فكانت هذه منحة الهية جزاء ما اتصف بهِ من الفضيلة ولكن كان يتذكر ما فرط منهُ من الذنوب فيما سلف فتزدحم عليهِ بلابل الافكار ويفرُّ منهُ السرور ويفتكر في ميلهِ الطبيعي الى العلو والتكبر وعدم مبالاتهِ بالناس وحبهِ للجسارة وان هذه العيوب معهُ غريزية وما عداها خارجيٌّ فينسب الى نفسهِ جميع المثالب الطبيعية ويعزو الى الحكمة حسن الفضائل والمناقب معتقدًا انها من فيض احسان المنعم فصاح قائلاً يا ايتها الحكمة التي سخرت منطور لتاديبي وتحسين اخلاقي انتِ تفضلتِ عليَّ بكمال العقل والقريحة لكي اندم على ما وقع مني من الهفوات القبيحة واعود على نفسي باللوم والحذر من الوقوع في مثل ذلك مرةً ثانيةً ومسكت عنان لذّاتي

الباطلة ومنعت عني مكايدها واذقتني حلاوة اغاثة الملهوفين ولذة صنع المعروف وجعلتني محبوباً لا ممقوتاً

فتعجب كلٌّ من نسطور وفيلوقطاطيس من تغير حالة تلياك وكيف تهذبت اخلاقهُ ولان جانبهُ وانكبَّ على عمل المعروف مع الجميع حتى اشتهر صيتهُ وانتشر مدحهُ وقد زاد تعجبهما واستغرابهما حين وجداهُ يفتش بين القتلى على جثة هيباس حتى اخرجها وكانت غريقة في الدم مغيرة الشكل من المحل الذي كانت فيهِ كامنة تحت صبرة من اجساد القتلى فلما استخرجها غسلها بدموعهِ المنهلة كالديم وقال من شدة الحزن عليهِ يا ايها الجسد المجرد عن الروح هل تعلم الان اني اعتبر عزم شجاعتك الممدوح كل الاعتبار نعم ان تعظمك اغضبني الغضب الشديد ولكن عادة التعظم ان تكون من الشبيبة ومعلوم عندي ان من الصبا ربهُ معذور وذنبهُ مغفور ولو بقيت حياً لجمعنا الود من الطرفين وكنا كروح في جسدين والان اعترف اني كنت غير منصفٍ في حقك فيا ليتك بقيتَ حياً حتى نكون قد اصطلحنا لتقف على حقيقة حالي ثمَّ امر تلياك بغسل الجسد في المياه المعطرة واصدر امرهُ باجراء العادة اليونانية من عمل تنور لحرق الجثة فقطعت الاشجار من الجبال العالية وجلبوها الى شاطئ نهر غالس

وصنعوا منها موقدًا عظيماً في ذلك التنور واشعلوا النار حتى اشتد اللهيب وامتلأ الجوّ دخانًا وحضر الترنتيون منكسين السلاح خافضين الرؤوس اشارة الحزن والاسف معلنين البكاء والنواح ساحّين العبرات كالمطر ثمّ حضر ابو الميت المسمى فراقيد وهو شيخٌ طاعن في السن مهدود القوى بموت هيباس الذي كان قد رباهُ بنفسهِ من صغرهِ فصار يرفع طرفهُ نحو السماء ودموعهُ تنهلُّ وامتنع من تناول الاطعمة وحرم لذيذ المنام وهجمت على قلبهِ جيوش الاحزان فمشى وراء الجنازة مرتعش الخطوات مدهوشًا متحيرًا لا يدري الى اين ذاهب ولا يفوه بكلمة لفقد قواه العقلية واختلال حواسهِ ولكن لما ابصر اشتعال النار في التنور ظهرت على وجههِ حدة الغضب والتفت الى هيكل ولده وقال هيباس هيباس هل اراك بعد هذا اليوم وهل يسوغ لي ان اعيش بعد فقدك ثمّ قال ايها الحبيب انا قتلتك لاني كنت قاسي القلب في حقك اذ قد ارشدتك الى استسهال الموت واقتحام الاخطار وقد كنت ارجو ان يدك تغمض عينيّ وان خروج روحي هو الذي يفرّق بيني وبينك فيا ايها الدهر الخؤون كيف اعيش بعد فقد ولدي وكيف ارى بعيني انقطاع حبل اجلهِ فيا ايها الولد العزيز الذي ارضعتهُ اثداء التربية والتهذيب كيف ارى

امك بعد سكناك الرمس وهل اقدر ان اسمع ملامها وكيف تكون حالي اذا قابلت زوجتك البديعة الجمال وشاهدتها تضرب صدرها بيديها وتنتف شعور راسها وانا السبب في حملك على الحرب فيا ايتها الروح دعيني اسيراً اليك الى برزخ الاموات فاني لا استطيع ان ارى احداً بعد فقد هيباس . . . .

وكانت جثتهُ مطروحة على تابوت مرخىً عليهِ ستار السندس المخيش بالقصب وقد طفيَ نور عينيهِ ولكن بقيت نضرة وجههِ وبهجتهُ وما كان عليهِ من اللطافة فكان يشاهد على عنقهِ البلوريّ المائل على كتفيهِ شعوراً مرخية طويلة سوداء مسدولة واصلة الى اردافهِ وفي احد جنبيهِ يشاهد المطعن العميق الذي كان السبب في قطع عرق حياتهِ . . . ثمَّ ظهرت على تليماك علامات الحزن فصار يمشي قرب النعش وينثر عليهِ الازهار حتى دنا التابوت من التنور فقربوهُ من النار فاشتعل الكفن وثار الدخان والقتار فلما راى تليماك ذلك بكى عليهِ وعدد محاسنهُ بالطف العبارات واحزنها حتى ابكى جميع العساكر واخذوا يعددون مناقبهُ وفضائلهُ وانساهم موتهُ ما فعلهُ من المساوئ في عنفوان الشباب

ثمَّ لما احترقت الجثة كلها رشَّ تليماك بيدهِ المياه العطرية

على رمادها وصاغ لهذا الرماد اناء من الذهب الابريز ووضعهُ
فيهِ وحنطهُ باكاليل الازهار وحملهُ الى فلانتة على هيئة مؤذنة
بالهيبة والاحترام وكان فلانتة حليف الفراش من كثرة الجراح في
بدنهِ الاَّ انهُ كان قد قارب الشفاء بواسطة الطبيبين اللذين
ارسلهما تلماك وشعر بقتل اخيهِ فقال واسفاه لاي شيء طببتما
جروحي فالموت خيرٌ لي بعد فقد اعزّ الاخوة صاحب الفتوة
والشجاعة من كان زينة حياتي واخذ يعددهُ ويبكي والطبيبان
يلطفان خاطرهُ حتى لا تثقل عليهِ الاحزان وتمنع الدواء من
التاثير وتحدث اعراضًا اخرى ثمَّ لمح تلماك حاضرًا لديهِ ومتمثلاً
بين يديهِ فخفق قلبهُ بحركتين متنافيتين الاولى حركة انفعال في
النفس اذ كان الحقد باقيًا في قلبهِ بسبب ما جرى بينهُ وبين
اخيهِ في شان الاسرى وقد تقوت بفقد هيباس والثانية ضدّها
لانهُ كان يعلم يقينًا ان خلاصهُ من القتل كان عن يد تلماك
اذ نزعهُ من مخالب ادرستة وكان مخضبًا بدمائهِ ولكن لما راى
الاناء الذي وضع فيهِ رماد جثة اخيهِ اشتدَّ بهِ البكاء والنحيب
وعانق تلماك عناق الحبيب للحبيب وكان لم يقتدر ان يفوه بكلمة
من شدة ما اعتراهُ من الشهيق والانين ثم تكلم بصوت
ضعيف قائلاً

يا ابن عولس ما بدا لي منك من الفضائل اجبرني على عقد المحبة بيننا فانني ممنون لك بهذه الحياة وبمعروف اعظم من حفظ روحي وخير من مداواة جسدي اذ كنت الحفيظ الامين على جثة اخي التي لولا وجودك لكانت غنيمة للنسور والرخم ولحرمت الجنازة والدفن فقد اديت آخر واجب على الاحياء للاموات واقمت شعائر جنازتهِ في هذه الارض الموات فاصنع معي مثل هذا الواجب ليتم لك الفخر والشرف وتحوز الشكر مني مرة ثانية

فما ختم هذا القول حتى اعتراهُ سقم وهجم عليهِ المرض واشتد بهِ الالم فلما صحا وافاق وعادت اليهِ القوة والاحساس اخذ الاناء من يد تلياك بسماح ولثمهُ مرات عديدة واذرف عليهِ الدمع كالماء ثمَّ قال يا ايها الرماد العزيز ليتهُ انضم معك رماد جثتي في اناء واحدٍ حتى لا يبلغ الدهر الخؤون مقاصدهُ بالتشتيت والتفريق فيا روح هيباس كاني مجتمع بك عن قريب في برزخ الاموات اجتماع الحبيب بالحبيب ولا شك ان تلياك ياخذ لنا بالثار من اعدائنا ويكون اعزَّ الحماة والانصار ولا زال يتناقص مرض فلاتئة من يوم الى اخر بمعالجة الطبيبين حتى عاد الى الصحة وكان تلياك ملازماً لها في الزيارة والعيادة لاحياء عزمها وسرعة الشفاء واظهر بذلك شفقتهُ ووداده حتى تعجب الجميع من هذه العناية

ولا برح يظهر العزيمة الجليلة ويبحث عن اشغال الحرب ويتدارك اسباب النصرة فكان قليل النوم كثير السهاد لتوارد الاخبار التي تصل اليهِ على ممر الاوقات ويكثر من زيارة الاخطاط العسكرية ومناظرة الفرق الحربية ويحرّض الجميع على التيقظ والانتباه ثمَّ يعود الى خيمتهِ وهو يتصبب عرقًا وكان خفيف القوة شديد النشاط يأكل مثل اكل العساكر ليقتدوا بهِ في القناعة والصبر وبذلك كانت تتجدد قوة الاعصاب وصارت قوته قوة رجال لهم في الشجاعة ثبات وفي الحرب وثبات

المقالة الثامنة عشرة

وكانت عساكر ادرستة قد تناقصت تناقصًا عظيماً في القتال فذهب بهم ليلجأ الى جبل اولون ويترك الحرب مدةً وينتظر الامداد ليتمكن من الاغارة على اعدائهِ مرةً ثانيةً لعلَّهُ يفوز بقصدهِ . واما تلياك فقد اعتنى بترتيب العساكر وتنظيمها ثمَّ تصوَّر لهُ ان يتم ما نواهُ ولم يبدهِ لاحد من البشر وذلك انهُ من مدة حدث لهُ وسواس مستمر وكثرت عليهِ الخواطر وتبلبل بالهُ من ذلك وهو انهُ كان يرى اباهُ دائمًا في عالم المثال وكانت الرؤيا

تهجم عليهِ آخر الليل فكان اذا غشيهُ في ذلك الوقت لطيف النعاس يطرقهُ طيف الكرى ثمَّ ينتبه فلا يجد اباهُ فكان تارةً يراه عريًا من الثياب في جزيرة سعيدة على شط نهر في حديقة يانعة الازهار وتارةً يرى انهُ يسمع كلامهُ من اعلى قصر مزين بالذهب وحولهُ جمٌّ غفير من الناس يسمع كلامهُ وكلهم متوّج بأكاليل الازهار فرح بالتقاط درّ نظامهِ وطورًا يراهُ في وليمة بهية مشتملة على جميع انواع المسرّات

فكان اذا صحا من نومهِ يحزن من هذا الرُؤى ويفتكر ان افراحها انتقالات ويقول يا ابتاه ان اخوف الاحلام لديَّ الطف من هذه الاحلام فانها تلقي في قلبي الاتراح والاوهام فهذه التصورات تدل على ان مدلولها خرج من دار العناء وحلَّ بدار النعيم المقيم فما رايتهُ من الاحلام هو صورة الجنة ولكن ما اصعب قطع الرجاء من الاجتماع بالوالد ولو سعد بسكنى اشرف المنازل فيا ابتاه قد فرقتنا الى الابد يدُ الدهر الخوون فواحزناه قد يئست من عناق احبّ الناس اليَّ وقطعت الرجاء من سماع كلامهِ الناطق بالحكمة ولا امل لي بلثم يدهِ القاهرة الاعداء وهي الآن مغلولة عن تاديب طلاب زوجتهِ فلا رحم الاله مكايد الايام التي سلطت عليَّ هذه الاحلام فقطع امل اللقاء فلا عيش

الى بعد هذه الحيرة اذ قد غلب على ظني ان ابي ليس هو الآن مع الاحياء فلا معنى للبحث عنهُ في هذه الديار بل الاليق ان ابحث عن روحهِ في ديار الارواح فانزل اسفل سافلين ثمَّ اصعد اعلى عليّين فقد راح قبلي ظيسبوس لغرض فاسد ودخل الهاوية بلا اذن الربانيين لانهُ عشق بها ملكة فانية وهو فاجرٌ ومقصدهُ رديٌّ واما مقصدي فهو حسن ونزلها قبلي هرقولس لخلاص طيسيوس لانهُ كان بها مقيداً بقيود الاسر فبعد ان خلصهُ عبثت بصاحبهِ في الطريق يد الهلاك وهل انا دون العاشق المولع اورفه الذي بثَّ شكواهُ الى حارس الدرك الاسفل وحكى حقيقة حالهِ للربانيين وكلٌّ عطف عليهِ واظهر لهُ الشفقة ومكنهُ من اعادة محبوبتهِ الى دار الهوان فانا اولى بالعطف عليَّ من اورفه لان مصابي اعظم من مصابهِ فمن يقيس محبوبةً مثلها كثير في النساء بعولس الملك فالذهاب الذهاب ولو افضى بي الى الموت وعدم الاياب فيا حارس الهاوية لا بدَّ من زيارة حكومتك السفلية لارى هل انت كما يقال فيك جبار او تقبل عذري وانت يا ابتاه قد تطلبتك في البرور والبحور والان ابحث عنك في دار البقاء عسى ان اجتمع بك في برازخ الارواح فهذا ما خطر ببال تليماك من الخواطر فداخلهُ وهو بين النوم واليقظة

حالات تخطف العقول وتواترت عليهِ الهواتق وكان بالقرب من المعسكر مملكة واطية والدخول فيها مهلك وبعدها مملكة عالية كانها فراديس الجنان فتخيل لتليماك عند حالة الانسلاب ان يسري بنفسهِ للاستكشاف عن والدهِ اما في المملكة الواطية او في العالية فتمثلت لهُ هذه الصورة في سفرتهِ

فشرع في النزول الى تلك المملكة الواطية من طريق مدينة شهيرة قريبة من المعسكر تسمى اخرونيطا ذات كهف قبيح ومنهُ ينحدر الساري الى نهر اخرونط الذي هو من النهور السفلية وهذه المدينة واقعة على صخر كانهُ راس شجرة وبسفح هذا الصخر الكهف الذى لا يدنو منهُ ارباب الخوف والكفرة حتى ان الرعاة يبعدون الماشية عنهُ خوفاً من الضر وتخرج من فوهتهِ ابخرة كبريتية من بحيرة تسمى اسطوجيان يحدث عنها عفونة في الجوّ تفسد الهواء ويحصل اوبئة ولا ينبت حول البحيرة عشب ولا ازهار ولا تهب هناك نسمات تنعش الابدان ويتواتر من ذلك الكهف خروج دخان اسود كثيف يسدّ الافاق حتى يجعل النهار مظلماً فيقدّم اهل تلك النواحي القربان لاذهاب هذا الدخان معتقدين ان الشياطين قد هاجت في جهنم واثارت النيران . فتصوّر تليماك انهُ يتوصل بالعبور من هذا المحل الى

الدار السفلى وان الحكمة تلاحظهُ وان طالع المشتري قبل رجاء الحكمة وارسل عطارد الذي عادتهُ ايصال الاموات الى دار النعمة او النقمة ليستأذن الحافظ في دخول تلماك بدون ان يلحق بهِ ضررٌ وتخيَّل لتلماك انهُ بعد ان اختفى ليلاً من المعسكر سرى على ضوء القمر واستعان بهذا الكوكب على حسن المسير ولا سيما ان محبة ابيهِ ارشدتهُ الى صوب مقصده

فلما دنا من الكهف سمع من باطن الارض الغليان والزفير واحسَّ بان الارض ارتجت وتزلزلت تحت قدميهِ وكأنَّ السماء ارعدت وابرقت وجادت بالصواعق فخفق فؤادهُ واضطرب جنانهُ ووجس في نفسهِ وسح بعرق بارد ولكن لم تفتهُ الشجاعة فاومأ ببصره الى السماء وبسط اكفَّ الضراعة واعتمد على مولاه وقال قد تفاءلت بنجاح المقصد وبلوغ الارب فاستعين بك يا ايها الاله وهرول حتى وصل الى باب الكهف فتفرَّق الدخان الكثيف الذي يمنع من الدخول فلما دنا من المدخل انقطعت الرياح السمية هنيهة فدخل وحدهُ وكان معهُ اثنان من الكريديين مطلعين على سرّهِ فاوقفهما بعيداً وقد يئسا من عودهِ ولا نزالا في انتظارهِ يقول احدهما للآخر هيهات ان يعود وقلبهما ومفاصلهما في ارتعاد وارتعاد ملقىً عليهما السنة والسبات كأنهما في

جيرّ الاموات

واما تلماك فقد تصوَّر انهُ انتضى سيفهُ ودخل في الظلمات الهائلة فلمح بعض ضوء مشوب بالظلام كضوء براعة ولمح اشباحًا كالظل تتحرك وتطير حولهُ كالطيور ثمَّ رأى شطوطًا سبخة على نهر كدرٍ تدور المياه بهِ كالشيمة في البحر المالح والدور دور وعلى هذه الشطوط اشباح الاموات الذين لا يحصون عددًا وتخيل لهُ انهم هم الذين حرموا الدفن في الدنيا ورآهم يحضرون افواجًا الى الى الحارس الموكل بهذه الدار وهو وقورٌ مهيبٌ لكنهُ يعامل القادمين عليهِ بالتهديد والقساوة ويدفعهم الى مقرّ حكومتهِ بمقامع الحديد ولكن ادخل قبل الجميع في هذه المملكة تلماك في قارب ليوصلهُ الى مقصودهِ فسمع تلماك وهو في القارب انين شيخ ينتحب وينوح من نكال تعذيبهِ فناداهُ تلماك على بعدٍ قائلاً ما هي بلواك ومن انت من البشر وماذا فعلت من المكروه فاجابهُ انا بختنصر ملك بابل الذي لم يكن لي مثيل في ملوك الشرق كان يرتعب الجميع من ذكر اسمي وكلٌّ يمتثل امري وكنت قد حملت جميع اهل مملكتي على عبادتي من دون الله والهت نفسي وبنيت لها هيكلاً عظيماً وجعلت فيهِ تمثالي ليسجد لهُ الشعب اناء الليل واطراف النهار حفظًا لشرفي وناموسي وكلٌّ يعمل مرضاتي

ويحدث ما يجلب لي السرور والتسلية وكان ديواني محاطاً بجميع ما تشتهيهِ الانفس ويروق بالاعين ومتُّ في زمن الصبا ولم اشبع من حلاوة عز الملك والسعد ولا من الفخر والسلطة وكنت متزوجاً بامراة احبها غاية الحب ولم تكن تحبني فلما وجدتني ادَّعي الالوهيَّة قتلتني بالسم لتريح العباد مني وحين موتي صنعوا لي ضريحاً عظيماً ليدفنوا فيهِ رماد جثتي الذي وضعوهُ في اناء من الذهب الخالص وبكوا عليَّ ونتفوا الشعور ولطموا الخدود وقرعوا الصدور ولبسوا الحداد كانهم فقدوا اعزَّ عزيز واظهروا انهم يريدون احراق انفسهم مع جثتي وان العيشة بعدي حرام والحال ان كلَّ ما اظهروهُ من الحزن والاسف كان رياء لان مناقبي واطواري كانت عند الجميع في غاية القبح لا تستحق الاَّ اللوم فلذلك انا الآن حليف العذاب والعناء جزاء افعالي

فعجب تلماك من ذلك وقال لهُ مع كلّ هذا العز والمجد هل ذقت لذة الصلح فقال لا ولا خطر لي ببال ولا كنت اعرف ما معنى هذه اللذة وانما كنت اسمع الحكماء يمدحون الصلح ويقولون انهُ خيرٌ وابقى ولكن انا ما اشتهتهُ نفسي بل كنت مدمناً السكر متلذذاً بنشوتهِ دائماً فانا صحوت وعاد رشدي كان هذا عندي من امرِّ الاحوال فهذا ما تمتعت بلذتهِ وكنت اعدُّ غيرهُ من

الخرافات وهذه هي السعادة التي ابكي وانوح واتندم عليها

وكان قريبًا منهُ البعض من عبيدهِ الزبانية فسلمهم الحفيظ للساعي مع ملكهم ليقودوهُ الى جهنم واذن لهم مطلقًا في تعذيبهِ فقيدوهُ بالسلاسل والاغلال وسحبوهُ على وجههِ واذاقوهُ أمرَّ العذاب واستهزأوا بهِ فقال لهُ احدهم الم نكن بشرًا مثلك فلماذا تألهت علينا ونسيت اصلك وكيف عميت بصيرتك عن تذكر اسلافك حتى تكون الهًا وهم من جنس البشر وتعرَّض لهُ آخر بالسبّ والشتم وقال متهكمًا يحقُّ لك ان تقول انك لست من البشر لان شكلك غريب خارج عن حدّ البشرية بفقد الانسانية وقال آخر اين منك ارباب النفاق والملق الذين كانوا مسعدين بك فياأشقى الخلق قد جفاك ارباب المؤالسة والوكلاء وصرت تحت أسر أسراك ولا تستطيع خلاص نفسك فصار جزاؤك بعد ذاك العزّ هذا الهوان

فلما سمع بختنصر هذا الكلام نطح الارض براسهِ فقال الحفيظ للعبيد اسحبوهُ بالسلاسل والاغلال واوقفوهُ على اعقابهِ فلا راحة لهُ من العذاب ثمَّ ناداهُ الحارس يا ايها البابلي المدعي الالوهية هذا ابتداء عقابك فاين منك الختام فجهّز نفسك لحكم الحكم العادل فكان الحفيظ يتكلم والقارب يسير حتى رسى قرب البرّ

الذي فيهِ رئيس الحفظة الاكبر الذي يسميهِ اليونان بولوطون فهرولت الارواح الساكنة لتنظر الشاب الذي جاء من دار الاحياء فاحاطوا بهِ على بعد واطالوا اليهِ النظر وعجبوا من عبوره هذا الطريق فلما دنا منهم تلماك هربوا فجاء الساعي الذي صحبهُ بصورة مالوفة للبشرية وقال لهُ اذ قد اقتحمت الحكومة المظلمة التي لا تدخلها الاحياء اسرع الى اجراء مقصدك وانتقل الى مملكة الحفيظ الاكبر فهو كريم شفوق ياذن لك في زيارة المحال التي لا اقدر ان ابوح لك بسرّها واطلعك على حقيقة امرها

فسار تلماك مسرعًا وشاهد من الارواح ما لا يحصى عدًّا فتحيّر واضطرب وتردد في عاقبة امره وتفكر في صنع المولى وامتلأ قلبهُ من الهيبة الالهية ولزم الصمت وارتعب وقفّ شعر راسهِ لما تمثل بين يدي الحافظ الأكبر وشاهد ان لا شفقة عندهُ على اهل الدرك الاسفل واحسّ ان رجليهِ اهتزّت وعجز عن التكلم وبعد الجهد قال يا ايها الحفيظ اشمل بالنظر ابن عولس الذي جاء يسالك عن ابيهِ هل هو في دار الاموات او باق في الدنيا ..

وتصوّر لتلماك ان هذا الحفيظ جالس على سرير من الابنوس وانهِ كئيب الوجه عابس غائر العينين منتصب شعر الحاجبين

مقطب الوجه ذو منظر مزعج وكانهُ يكره منظر الاحياء وبالقرب
منهُ الحسناء المسماة ابروسربينة التي هي على معتقد اليونان صاحبة لهُ
وكان يظهر انهُ يحنو عليها وان جمالها يزيد كلّ يوم بهجةً وانها
رغماً عن صفاتها الحسنة قد اكتسبت قساوةً منهُ وتخيل لتلماك
بعض صور واشكال مرسومة حول كرسي هذا الرئيس فرأى
صورة الموت مخيفة الشكل كالوحش الكاسر وبيدها مناجل
الاعمار تلعب بها وتهزُّها وحولها صورة بشعة وهي صورة الهموم
والانكاد سوداء اللون تحوم جانب الموت ويليها صورة الظن
بالناس والحذر منهم ثم صورة اخذ الثار والانتقام ملطخة بالدماء
كثيرة الجراح ثمَّ صورة الحقد والبغضة وصورة الشح والبخل
وبيدها مبرد تبرد نفسها ورأى صورة القنوط واليأس تمزّق
ذاتها وصورة الحرص والطمع وهي في شدة الغضب وشاهد صوره
الخبل والاختلال تفسد كلّ شيء ورای ايضاً صورة الغدر
والخيانة تحاول ان تغتذي من الدماء ولكن لاتحظى باثمار ما
تريد ان تجرّهُ لنفسها من المطامع وقرب ذلك صورة الحسد كانها
تصب سمها القاتل على نفسها لترعاها ثم تغتاظ من عجزها عن
اضرار الغير ومنع الخير ثمَّ عاين صورة الوساوس الفظيعة
والهواتف والخيالات المزعجة على صورة الاموات ثم عاين صورة

الاحلام الرديئة ثم صورة السهاد والقلق والسهر والارق فوجدها اقبح من صورة الاحلام فجميع هذه الصور الهائلة كانت مستولية على اصحابها في الدنيا فاردتهم وادّت بهم الى السكنى في هذه الديار حتى امتلأت من الاشرار

فلما تكلم تلماك بما قد سبق اجابهُ الرئيس بصوت منخفض بالنسبة اليهِ ولكن رنّ هذا الصوت وخفق حتى صار يسمع من قرار جزيرة اغربوز فقال ايها الشاب القادم الينا من الاحياء قد سمح القضاء والقدر بدخولك هذا المحل الذي هو ماوى الاشرار فامتثل ما قدّر ولا اقول لك شيئًا في شان ابيك بل اعطيك الاذن المطلق لتبحث عنهُ في حكومتي واذ كان في الدنيا من الملوك فابحث عنهُ هنا بين الملوك الذين اقترحوا السيئات او في دار السعادة بين الملوك الذين امنوا وعملوا الصالحات ولكن لا تدخل دار السعادة الاَّ بعد البحث في هذه الدار فسارع بالسفر ثم بادر بالخروج من هنا

فتصوَّر لتلماك انهُ اسرع وطار في فضاء واسع لعلهُ يرى اباهُ فرأى امامهُ دار الاشقياء الذين ساءت اعمالهم يخرج منها دخان كثيف اسود ريحهُ قتال ورأى ان هذا الدخان يغطي نهر الجحيم والزمهرير الذي يدوي دوي الرعد

ثمّ تصوّر لتلماك ان الحكمة البستهُ سترها فصار في امان ودخل في هاوية عظيمة عديمة القرار فوجد في فوهة ابوابها كثيرًا ممن عاشوا في الدنايا والخسائس واكتسبوا الاموال بالغش والخيانة والظلم ووجد كثيرًا من الكافرين والمنافقين الذين تلاعبوا بالدين لمجرّد بلوغ المقاصد واستهزأوا بالمومنين ومن الذين قتلوا الوالدين والبعول

ثمّ ظهر امام تلماك اناسٌ يظنُّ فيهم في الدنيا ان ذنوبهم خفيفة والحال انهم يعذبون اشدّ العذاب وهم الجاحدون النعم والكاذبون والمتملقون ومثلهم القضاة الذين يقضون بدون معرفة ولا وقوف على حقيقة الدعاوى والبينات ويتبعون الاقوال المنحرفة عن الحق لانهم اضرّوا ارباب الحقوق وعضدوا المبطلين ومن الجاحدين النعم المنكرين الفضل من يكفر بنعمة المولى الخالق فانهُ اشدُّ عذابٍ من جميع الخلائق

ثمّ تصوّر تلماك ثلاثة موكلين بحساب المجرمين يسالونهم واحدًا واحدًا ويذيقونهم العذاب فاستفهم عن ذنب احد المسئولين المرتكبين فاجابهُ المسئول المحاسَب بقولِهِ انا ما فعلت شرًّا ابدًا بل كان ميلي الى فعل الخير فكنت كريمًا مواظبًا على فعل الجميل والاحسان حليماً منصفًا متصفًا بمكارم الاخلاق

وفعل المعروف مع جميع الناس فلا اعهد اني فعلت شيئًا استحق عليهِ الملامة فقال لهُ الموكل بالحساب لا شيء عليك من حقوق الناس ولكن حقوق المولى عليك كثيرة فكم ارتكبت من حيث لا تدري في حقهِ تعالى فما افتخارك بالعدل والانصاف وقولك انك لم تقصّر في حقوق العباد فما هي حقوقهم بالنسبة الى حقوق الخالق نعم انك اتصفت في الدنيا بمكارم الاخلاق لكن كنت تنسب ذلك الى حولك وقوتك لا الى الملك الخلاَّق فقد نسيت انهُ هو الذي خصَّك بهذه الفضيلة وهداك الى هذا العمل واعتمدت على نفسك كانك رضيت ان تكون لها اسيرًا فاسالها هل تطمئنّ بذلك ولا تعدُّهُ من القبائح فانت الان فريق عن الناس الذين كنت تفعل ذلك امامهم للرياء وصرت وحدك مع نفسك اللوامة او ما علمت ان لا فضيلة في الدنيا حقيقية لاعمال الانسان المحمودة المقبولة عند رب البرية الاَّ ما يفعلهُ لمرضاة المولى الذي انعم عليهِ ووفقهُ الى العمل وان لم يقصد ذلك فهو محض رياء فانت فعلت ذلك لتغرَّ الناس الذين تعجبهم الامور الظاهرة فليست افعالك مقبولة عند الاله ولا تعد من الحسنات فالناس الذين لا يحكمون على الفضائل والرذائل الاَّ بما يوافق نفوسهم ويعدون ما تستحسنهُ النفس فضيلة وما تستقبحهُ

رذيلة هم عميُ الابصار والبصائر فلا يميزون الحسن من القبيح فهنا تعكس الانوار الالهية الصحيحة ويظهر قبح ما استحسنوه وحسن ما استقبحتهُ عقولهم

فلما سمع المسئول هذا الكلام وكان في الدنيا من كبار الفلاسفة وراى ان محاسبهُ غلبهُ واقام عليهِ الدليل والحجة ضاقت عليهِ الدنيا بما رحبت واستحال رضاهُ على نفسهِ الى سخط فادرك ان ما انساهُ في الدنيا نسبة الاشياء الى القدرة والارادة هو الحاكم عليهِ بالعقاب فخفق قلبهُ واضطرب واستبان لهُ قبح ما فعلهُ وعاد على نفسهِ باللوم فتكدر بالهُ وحصل لهُ الخزي والمذلة فتركهُ الزبانية وكيلاً على تعذيب نفسهِ نظير الرياء في العمل

وراى ايضًا تلماك الملوك الذين يعذبون بدون حدٍّ محدود نظير ظلمهم فراى الزبانية الموكلين بعذابهم يحضرون لهم مرآة يبصرون فيها ما فعلوه من القبيح ويشاهدون صداقتهم لارباب النفاق والموالسة وتراخيهم عن مباشرة المصالح بانفسهم وعن الحكم بالعدل ويطلعون في هذه المرآة على زينتهم واسرافهم من اموال الرعية وعلى مطامعهم الفاسدة واشتراء المفاخر بسفك دماء الرعايا في الحرب وقد راى لتلماك ان واحدًا من هولاء الزبانية يسمع الملوك مدائحهم التي مدحهم فيها ارباب الملق في

الدنيا ويريهم فرح وجوههم حال المدح فكانت مداومة منظر
الصورتين المتباينتين عقوبة لهم فتجد هولاء الملوك في دار العقاب
في الدرك الحالك لا يبصرون ولا يسمعون وانما يلعن. بعضهم
بعضاً وعذابهم الملاعنة والتشنيع على بعضهم ورأى ايضاً هناك
من رؤساء وامراء الممالك والولاة وجوهاً مشوهة خاشعة ذليلة
يعلوها الحزن والكآبة حتى تصير كالاشباح ويخالطهم القلق
والخوف وينزعجون من رؤية بعضهم البعض ويجدون خيالاتهم
هائلة تذهب معهم اينما حلوا فيتمنون الموت مرة اخرى ظناً منهم
انهم بالموتة الثانية يتخلصون من العذاب

هذا ما رآه تلماك من حالة الملوك والامراء ورؤساء الاحكام
الذين حادوا عن طريق العدل والانصاف ولكن قد قفّ
شعرهُ وحار فكرهُ وعقلهُ حين راى عدة من ملوك لوديا يذوقون
عذاب الهون ووجدان اسباب عذابهم التراخي والتنعم وتركهم
اداء حقوق المملكة وهولاء الملوك سلسلة متوالية اولياء عهدٍ
يتوارثون مملكة لوديا خلفاً عن سلفٍ يلوم بعضهم بعضاً على
عماهم وعدم تبصرهم بالعواقب فيقول الوالد لولدهِ وهو معادٍ لهُ
أما عاهدتك في آخر عمري ونصحت لك قبل موتي انك حين
تخلفني تصلح ما وقعت فيهِ من الزلات فيجيبهُ الولد بقولهِ يا ايها

الاب المخس انت الذي اوقعني في الخسران وعودني على الابهة واورثني الجبر والقساوة والظلم لاني لما رايتك مدمناً عليها تبعتها ولم اتلقن عنك معرفة سياسة المملكة فالان اتعذب مقابلة كوني اقتديت بك فصار الابن يوبخ اباه ويضمّ الى التشنيع عليهِ السبّ واللعن وكذلك الاب يسب الابن ويلعنهُ ويقول في وقاحة ابنهِ وقلة ادبهِ ما يقول وهكذا كان يتشاتم السلف والخلف ويحوم حولهم اشباه العقاعق والبوم وكان الوقت ليلاً فاستبان ان هذه هي الوساوس واحاديث النفس وانها خيالات اوهام باطلة اتصف بها رؤساء الممالك والحكومات فاوجبت عندهم قساوة القلب على الرعية وحبتهم بالحطام الفانية واكتساب الفخر بالظلم وقد وُجد بعض الملوك يُعاقَبون على انهم فرّطوا في عمل الخير وصنع المعروف

وما اوعب قلب تليماك جزعاً انهُ راى في الهاوية المظلمة عدة ملوك كانت سيرتهم في الدنيا جميلة واخلاقهم حسنة يذوقون من العذاب ما يذوقهُ الاشرار فبالسوال عنهم استبان انهم وكلّوا امر الملك والحكومة الى اناس لا خلاق لهم خبثاء ارباب غش وتدليس واذنوا لهم الاذن المطلق بالتصرّف في سياسة الرعايا فكان عذابهم نظير ذلك وهذا بسبب فقد الفطنة التي هي منّة

من الله

المقالة التاسعة عشرة

ثمّ خرج تليماك من هذه الاماكن المخيفة فاحسّ من نفسهِ انهُ هان عليهِ الامر وسلم من حرّ الوطيس فقال في نفسهِ ويلٌ ثم ويل للذين احرزوا عزًّا وملكًا بين الانام فهم اغراض واهداف للمخاوف والمهالك وعرضة لعقاب الجحيم فتكدر باطنًا وتواردت عليهِ الافكار ولكن كلما بعد عن مقام الظلمات كان يتجدد عزمهُ حتى دخل مقام اهل الكرامة مسكن الملوك الذين تمسكوا باجراء العدل وحكموا مدة حياتهم بحسن التدبير وقانون الحكمة . فاقبل على هولاء الملوك فوجدهم في قصور عالية ذكية الروائح مقعد صدق عند مليك مقتدر تجري من تحتهم الانهار وتهب عليهم النسيمات اللطيفة ويطربون بنغمات الطيور الحسنة الاشكال تتولد عندهم ازهار الربيع وتجدد لديهم اثمار الخريف الدانية القطوف فلا تجد عندهم حرارة الشعرى ولا السموم ولا زمهرير الشتاء المضرّ بالجسوم ازمنتهم ازمنة صلح واعتدال وصحة وسلام فليس ثمّ حرب ولا طعن ولا سقام ولا حسد ولا حقد ولا غيرة

ولا خيانة ولا خوف ولا وسوسة ولا اماني كاذبة ولا ملاذ عاطلة فكلٌ هذه تتنزه عنها دار السلام نهارها لا آخر لهُ والليل عند اهلها مجهول

فاخذ تلماك يبحث عن ابيهِ بين هولاء الملوك وكان قبل ذلك يخشى ان يراهُ في هذه الدار ولكن لما رأى ما اشتملت عليهِ من السعادة تمنى لو رآهُ فيها منتظماً في سلك الارواح واقام معهُ لو امكن المقام فلم يجدهُ معهم وفي اثناء ذلك اقبل عليهِ شخص وقور ذو هيبة لا يشبه الشيوخ الذين طال عمرهم وهدَّ الهرم قواهم وانما يتراآى انهُ بلغ قبل الوفاة هذه الدرجة وانهُ جامع لوقار الشيخوخة وجمال الشبيبة فاقبل هذا الشيخ على تلماك مهرولاً كانهُ احبُّ الناس اليهِ وصار ينظرهُ متهللاً ويتامل فيهِ تامل محبة وداد واما تلماك فلم يتعرَّفهُ بل وقف باهتًا متحيرًا

فقال لهُ الشيخ عذرك يا ولدي مقبولٌ عندي اذ لم تعرفني فانا ارقسيوس ابو رايرطه جدّ والدك عولس قد انتقلت الى دار السعادة هذه قبل ان يسافر حفيدي عولس الى غزوة تروادة وانت كنت حينئذٍ طفلاً رضيعًا فمن ذاك الوقت توسمت فيك الخير واحسنت فيك الظنّ فما اخطأَت فراستي اذ انني اراك الان تستقصي عن ابيك في دار السعادة بعد ان تطلبتهُ في دار

الهوان وقد اعانك المولى على هذا المشروع فيالك من ولدٍ سعيدٍ يحبهُ مولاه وما اسعدني بمشاهدتك في هذه المنازل فلا تبحث عن والدك هنا فانهُ لم يزل حيًّا محفوظًا بالعناية ومقدرًا لهُ ان يعمر منزلنا في طيا كي متى حلَّ فيها وجدُّك رايرطة لم يزل حيًّا ايضًا ولا يموت حتى يحضر ولدهُ عولس فياولدي الناس كالازهار يزهرون في الصباح ويذبلون في المساء ويمرُّون كموجات البحر السريعة فلا يغرنَّك عنفوان الشباب ولا نضرة منظرك وجميل صفاتك فلا بد ان تتغير هذه كلها وتذهب منك القوة والعافية كاضغاث احلام وتتوارد عليك الشيخوخة المضعفة المنابذة اللذات فينكمش الجبين وينحني الظهر وتضعف الاعضاء وتفقد الحواس وتستولي عليك الهموم والاحزان . فالان يظهر لك ان هذا بعيد وان ما قلتهُ لك خطأ فاقول لك انهُ سريع الحضور وكانك بهِ وهو مقبل عليك فكل آتٍ قريب والحالة الحاضرة دوامها محال فهي تذهب كلمح البصر بل هي اقرب فلا تحسب للحال ابدًا حسابًا ولا تعتمد على الوقت الحاضر بل ينبغي ان تسلك في منهج الحق وتسير في سبل الصدق فجهز نفسك باخلاق صافية وافعال مرضية وتزوَّد لهذة الدار حبَّ العدل والانصاف وتجمل بالخصال الحسنة وجليل الاوصاف ليكون

لك محل فيها على قدر منزلتك وتعيش بالراحة الدائمة في هذه الدار المعدة للاخيار

واعلم انك قريبًا ترى والدك ملكًا على جزيرة طياكي وانت تكون وليّ عهدهِ فتملك بعدهُ ولكن ياولدي ما اثقل حمل اعباء الملك لان المملكة توقع صاحبها في الغرور فاذا نظرها الانسان عن بعد ظنها عبارة عن العزّ والتنعم ولكن متى دنا منها وجدها محفوفة بمكاره الحدثان فالعاقل الذي لا يريد ان يدنس نفسهُ يؤثر العيشة الهينة والحالة الخاملة على الظهور . فالفرد من آحاد الناس يمكنهُ ان يعيش سعيدًا بغير شهرة وتكون نفسهُ طاهرة شريفة خلافًا للملك فانهُ لا يمكنهُ ان يختار العيشة الهينة والراحة والهناء الاَّ اذ قضى ايامهُ في الفتور والكسل وصرف النظر عن ادارة المصالح وهذا يدنس عرضهُ فلا تامن يابنيّ من وظائف هذا المنصب الملوكي فخف عواقبهُ المضرة واحذر ان لا تقوم بوفاء ما لهُ من الحقوق والواجبات فانهُ مقام خطير ولذلك تجد من قام بواجبات المملكة وتمسك بالاستقامة والعدل من الملوك والامراء والولاة يتمتع هنا بالهناء والسعادة الكاملة من فضل ذي الفضل العميم

فكان جميع ما يصدر من لسان ارقسيوس من الموعظة

يرد الى فؤاد تليماك ويرتسم في لوح قلبهِ وكانت هذه النصائح الحسنة كانها مصباح منير وشعاع لطيف الهي ينبثّ نورهُ في ذهن هذا الشاب فتحصل منهُ حركة نفس حماسية وتاثيرات لطيفة احساسية فراق خاطره وهدأ بالهُ فتأمّل في وجه جدّ ابيهِ فرأى فيهِ سمات جدّهِ رايرطة كلها وتذكر ايضًا ما كان برح من فكره من سمات وجه ابيهِ فوجدهُ على صورة جدهِ وان التقاطيع الموجودة في الجدين مشابهة لذات ابيهِ قبل سفره · فتذكر هذه المشابهة جعلهُ يحنُّ على جدّهِ فطفحت منهُ دموع المسرَّة واراد ان يعانقهُ ليظهر لهُ المودة فعاقتهُ الموانع عن نيل ذلك لان صورتهُ كانت تهرب من اللثم والعناق هروب الماء من امام الظمآن في الحلم ثم سالهُ عمَّن حولهُ ليتم فائدة السياحة

فاجابهُ يابنيّ هؤلاء هم الذين كانوا في الدنيا زينة القرون واتاحوا لاهلها السعادة ومنهم قليل من الملوك الذين أيدوا الممالك وتخلقوا باخلاق الرحمن واما الذين تراهم منفصلين عنهم قليلاً فهم دون هولاء الاخيار فهم فحول الرجال وارباب الجهاد في سبيل الله فلم يبلغوا رتبة الملوك العادلين المتصفين بالحلم والانصاف فهذا الذي يظهر على وجههِ الحزن والتقطيب هو طيسوس فكأنهُ شعر ببلاء مطاوعتهِ امراة مدلسة وهو حزين

من جرى غضبهِ وتعريض ولده هبولوطس للغرق في البحر ولم يعد يقدر ان يحفظهُ وهذا ايضًا اخيلوس في صورة متكيءٍ على رمحهِ بسبب ما اصابهُ في عقب قدمهِ من جرحهِ العضال الذي حصل لهُ من باريس الجبان فافضى بهِ الى الموت فلو كان عندهُ من العقل والحلم بقدر ما فيهِ من الجراءة والشجاعة لطال عمرهُ وخلف ولدهُ بيلة ملكًا على جزيرة اغريبوز ولكن المولى قد حرمهُ من ذلك لما فيهِ من البطش وسرعة الغضب فآل امرهُ لصرم حبال عمره في زمن الصبا بعد ان كان سلطهُ المولى على تدمير ترِوادة ليقتصَّ من خيانة لاعوميدون الجبان وجسارة باريس الذي سلب هيلانة فكان اخيلوس آلة لغضب الجبار واداة انتقام من طرف القهار

وهذا الرجل الخالي وجههُ من الانسيَّة هو اجاش بن طلمون وابن عم اخيلوس وفخرهُ في الحرب محقَّق عند الجميع ومما جرى لهُ انهُ كان تطلب اسلحة اخيلوس بعد موتهِ وادَّعى انهُ ابن عمهِ وانهُ احقُّ من غيره بارث سلاحهِ فصم ابوك على حرمانهِ منها فتذاكر مجلس اليونان بهذا الامر وحكم باتفاق الاراء ان لا تعطى هذه الاسلحة الاَّ لابيك فخنق اجاش وقتل نفسهُ ولكن قد عفا عنهُ الغفَّار فدخل الى هنا فلا تدنو منهُ لانهُ ينظر الينا شذرًا من

شدة الغضب ويأوي الى رياض الجنان · والذي في الجهة الاخرى هقطور بن بريام ملك تروادة فهو شجاع همام ولولم ينتصر عليهِ اخيلوس في حرب تروادة ويقتلهُ لكان اعظم رجل وانظر ايضاً اغاممنون ملك ارغوس ومسينة فانهُ يمرُّ بنا وعلى وجههِ علامة زوجتهِ الخائنة التي عشقت غيره فادَّاها العشق الى ان اتفقت مع عشيقها وقتلت هذا الملك الهمام وهذه كانت من ذرية تنتال الكافر وهي من النساء الفاجرات والذي حملها على فعل ذلك تذكرما كان حاصلاً قبلاً مع عشيرتها وعشيرة اغاممنون من العداوة التي بلغت عنان السماء فلما عاد اغاممنون من غزوة ترواده منتصراً مؤيداً جرى لهُ معها ماجرى وجميع من تشاهدهم في هذا المكان كانوا اقوياء في الحرب وتزينوا بحلل الانتصار ولكن لم يكونوا كغيرهم من اصحاب الفضائل بل كانوا مقتصرين على تادية واجبات الشجاعة فلهذا تراهم في الطبقة الثانية من النعيم دون اصحاب الفضائل فهم في الطبقة الاولى

وانظر ياولدي الملك اينا خوس الذي انشأ مدينة ارغوس في جزيرة المورة فانهُ مات هرماً وتجدهُ هنا وقوراً ذا هيبة كانهُ كان غصنهُ رطيباً وهو يمشي الهوينا شبه طائر من اجمل الطيور وبيدهِ قضيب من الخيزران يختال طرباً ويترنم بالاغاني الالهية

وسبب نيلهِ هذه المنن حبهُ راحة الرعية الذين جمعهم بعد الشتات الى مدينتهِ الحديثة ورتب لهم قوانين عادلة واحكاماً فاضلة ومن الجانب الاخر ترى بين الرياحين والازهار قيقروبس المصري اول ملوك اثينا الذي هاجر اليها من مصر واحضر معهُ شرائع مصرية هذبت اليونان وعلمتهم المعارف والعلوم وتحسين الاخلاق والفت بينهم الانس والاجتماع قد كان ملكاً عادلاً ذا رأفةٍ ومروءة كثر الخصب في ايامهِ وزادت ثروة الرعية وعلم الاقتصاد والتدبير ولم يرضَ ان يوصي بالملك بعده لاولادهِ لانهُ وجد بين الاهالي من ارباب العدالة من يصلح للملك اكثر منهم وهذا الذي تراهُ على جانب هذا الوادي الصغير هو اريختون الذي اخترع المصكوكات لرواج التجارة ثم نبَّه على ما يترتب عليها من الخلل فقال في خطاب وجَّههُ الى جميع الامم اجتهدوا ان تكثروا في بلادكم المكاسب الطبيعية بخدمة الارض بالزراعة والحراثة لتجود بالمحصولات واقتنوا الماشية لتغتذوا من البانها وتكتسوا من اصوافها فبهذا تستحيلون الى حالة حسنة لا يخشى بعدها الفقر وكلما كثر نسلكم كثر غناكم وازداد يساركم من الخيرات الزراعية بشرط ان تعوّدوا اولادكم على مداومة الاشغال والكد وخدمة المزارع لان الارض تزيد خصباً بزيادة خدمة الاهالي لها

ومن يهمل ارضهُ تشحّ عليهِ بخيرها مجازاة لهُ على كسلهِ واما النقود فلا يقام لها وزن الأَّ بقدر ما تمسُّ اليهِ الحاجة ويقتضيهِ الحال من نفقة في الحرب مع البلاد الخارجية او لجلب بضاعة من الخارج تستدعيها حالة التجارة مع ملاحظة الملك ورفض البضاعة التي تسبب الضرر المجلوبة لمحض الزينة اولمجرد حمل الانسان على البطالة واللهو مما يخلُّ بالمروَّة والانسانية · وطالما كان يقول هذا الحكيم في المجالس اني اشفق عليكم ايها الاخوان من هذه الهدية التي جاد عليَّ الدهر باختراعها من ان تحدث بينكم الشح والطمع او ينتج منها فنون وصنائع تعطل مكارم الاخلاق وتفسد آدابكم وتوجد بينكم الخصام والجدال وتخسركم بساطة العيشة الهنية وتكسبكم احتقار الزراعة التي هي معدن الخيرات ومنبع البركات ولكن الحق سبحانهُ وتعالى عليم وشهيد اني ما اطلعتكم على نتيجة هذا الاختراع الأَّ لكونها في حدّ ذاتها من النافع المفيد فهذا سرٌّ نفيس نويت بافشائهِ رواج التجارة والاعمال بالنيّات

ثمَّ لما راى هذا الحكيم ان هذه النقود افسدت الاخلاق وان ما ظنهُ قد تحقق ولم يستطع درء المفاسد تاسف على ما احدثهُ وخالطهُ الهم والغم فهاجر من بلاده وتوطن جبلاً من الجبال

الوعرة فعاش فيهِ مدة الحياة فقيرًا بعد ان كان ربّ الدراهم والدنانير وبقي نافرًا من جميع الناس حتي بلغ درجة الهرم وظهر بعدهُ بمدة يسيرة حكيم شهير يقال لهُ اطربطليموس فكان هبةً عظيمةً لامة اليونان علم فن اتقان الزراعة والحراثة وطريقة الحصاد كما ينبغي فكانت النباتات تستر ظهر الارض بصفرة تفوق لون الذهب ويخرج المحصول منها كثير الخير وليس معنى هذا ان زراعة الحبوب كان امرها مجهولاً وانما القصد ان اهل هذا الزمن كانوا يجهلون خدمة الارض خدمةً كاملة فكانوا لا يعرفون الآلات التي يزيد بواسطتها انماء النبات فسخر ربّ البركة لاهل هذا العصر هذا الحكيم وبيده محراثهُ ليرشدهم الى اتقان الزراعة وخدمة الارض كما ينبغي فتعلم اليونان شقّ الارض اخاديدا اخاديد وتخطيطها خطوطًا خطوطًا بما في المحاريث من السكك الحديدية فكانت تتمزق احشاؤها بهذه السكك ليخرج من بطونها ثمرة ما حملت بهِ وظهر في وقت الحصاد بمنجلهِ الحاد ومنشاره وقطف السنابل الصفراء المتراكمة على الاراضي المتقنة فترتب على ذلك ان الامم المتوحشة المتفرقة الشمل النقّالة في الفلوات كالمواشي لتغتذي من ثمر البلوط مالت الى التآلف والاجتماع ودخلت تحت الاحكام والقوانين وحسنت

منهـا الاخلاق والاداب وصارت صناعة الخبز مالوفة عندها وعاشت عيشة هينة وقد علم هذا الحكيم الامة اليونانية ان مسرّة الانسان من كسب يده في حالة الراحة والامنية وان شغل اليد فيهِ انبساط للنفس فبهذا بقيت مآثرهُ عند اليونان غير منسية مذكورًا بين ارباب الفضائل وكان لا يكترث بالنقود لعلمهِ انها تكون حاملة الانسان على مداومة الملذات الخطرة وانها تصرفهُ عن الشغل الحقيقي الذي فيهِ صلاحهُ لانهُ متى استولى عليها استولت عليهِ وصار عبدًا لها وقال هذا الحكيم ان الارض المخدومة خدمة صحيحة هي مخزن للعائلات وكنز لا يفنى ولكن يكون ذلك ما دامت العائلات تهوى الاقتصاد في المعيشة وما دام السلف يورث هذه الطريقة الخلف فما كان اسعد اليونان لو داموا التمسك بهذه الاصول ولكنهم تعلقوا باذيال الرفاهية والزينة والغنى المذموم واهملوا الثروة الصحيحة واستحالت بساطتهم الى زخارف قبيحة . فيابني لا بدَّ ان تتقلد يومًا ما صولجان الملك فتذكر ان تعيد الزراعة الى النسق الاول وتساعد المجتهدين فيها فانها خير صناعة واحذر ان تساعد ارباب البطالة والكسل والذين يشتغلون بالفنون النافلة واقتدِ بارتخطون واطربطلموس العاقلين اللذين حازا في الدنيا كمال الفخر والاعتبار وفي هذه

الديار الرتبة العليا التي تفوق رتبة اخيلوس واحزابه من فحول الرجال

وكان ارقسيوس يتكلم مع حفيد ولده وهذا يدير النظر الى بستان ازهار يجري في وسطهِ نهر محدق بالبنفسج والورد والرياحين الزاهيه فابصر هناك سيزوستريس ملك مصر المسمى رهمز الاكبر فعرفهُ اذ كان شاهدهُ سابقًا في مصر ورأى عليهِ من الهيبة والوقار والابهة اكثر مما كان عليهِ حين كان مستويًا على سرير الملك فقال يا ابتاه قد عرفت هنا رهمز الاكبر ملك مصر لاني كنت قد اجتمعت بهِ منذ مدة واراهُ على رفعة القدر وعلوّ الشان فقال لهُ اعتبر يا ولدي وخذ لك منهُ موعظة حسنة وانظر كيف اجزل المولى ثوابهُ لان سيرتهُ في حقّ رعاياه كانت جليلة فاضلة ولكن اقول لك ان هذه السعادة التي نالها ليست شيئًا بالنسبة الى ما كان معدًّا لهُ لو لم يرتكب في ايام عزه وسعده ما سولتهُ لهُ نفسهُ من رغم انف الصور بين نظير اساءتهم لانهُ تغلب على مملكة صور واستولى عليها فكان فتوح هذه المملكة سببًا للتعاظم حتى جعلهُ يتشبث بفتوحات اخرى فاستولى على اكثر اسيا في البلاد المشرقية ولم يدبرها بل دمرها فلما رجع الى مصر وجد اخاهُ تغلب عليها وافسد بسوء تدبيره اصول احكامها وصارت في

ايامهِ احكام مصر احكام ظلم قاسية ففتوحهُ الممالك الاجنبية لم يفدهُ الاَّ تعكير صفاء مملكتهِ فلا زال مسئولاً عن ذلك اذ لاعذر لهُ عن فعلهِ لانهُ افتخر بنفسهِ وكان اذا أسر ملكًا من الملوك الطغاة ربطهُ في مؤخر عربتهِ وسحبهُ على وجههِ وجعل الخيل تسرع ركضًا حتى يتلفهُ بهذه الفعلة الشنيعة ثمَّ اعترف بما اقترفهُ في اخر مدتهِ وتاب وندم على ما فعل وحسن منهُ المتاب ولكن قد حرم من تمام السعادة التي كانت معدة لهُ لو استمرَّ على العدل والاقتصاد. وأما ترى هنا ملكًا اخر رفيع القدر يظهر انهُ كان مجروحًا جرحًا ذريعًا فهذا ملك من ملوك قاريا يدعى ديوقليدس وهو ملك مشهور اجتهد في نصرة وطنهِ في وقعة من المواقع وفدى رعاياهُ بنفسهِ وذلك ان بعض الكهانة اخبر بانهُ تقع حرب عظيمة بين امتي القارية واللوقية يكون النصر فيها للامة التي يقتل ملكها فقاتل بقصد ان يقتل في هذه الحرب فجرح ومات وانتصرت امتهُ كما اخبر الكاهن

وانظر ياولدي هذا ملك اخر مشترع سنَّ القوانين والشرائع لبلاده حسبما يوافقها ويحدث فيها الراحة والامنية والسعادة وتهذيب الاخلاق وعاهدهم وكان قد عزم على السفر ان يتمسكوا بها حتي يعود فبايعوهُ وحلفوا الايمان والاقسام ان يحافظوا عليها

حتى يعود فاخذ البيعة عليهم وارتحل ونفى نفسهُ من وطنه وتغرَّب وأوى الى مكان مجهول والقى عصا التسيار فيهِ وبقي حتى مات على متربة في البلاد الاجنبية وبقيت رعيتهُ متمسكةً بقوانينهِ النافعة معمولاً بها الى ما شاء الله ولم تحنث ولا نقضت العهود

وهنا ملك اخر وهو نسوس ملك جزيرة بولوس من اجداد نسطور المصاحب للك في هذه الحرب فكان يحب رعاياه وحصل في مملكتهِ وبأ هلك بهِ كثيرٌ من العباد فتضرَّع الى مولاه ان تكون نفسهُ فداء شعبهِ فأستجيب دعاؤهُ ومات وانقطع الوبأ وانظر ايضًا الى هذا الشيخ المبتهج المكلل باكاليل الازهار فانهُ ذكاء ويسمى في الدنيا شمس النهار وكان ملكًا على مصر في قديم الاحقاب والازمنة الخالية وقد تزوج بزوج ولد وهي حنانة ام زرع بنت نيل ري الذي اخفى منبع مياهِ الكثير الخير فاعقبت منهُ ولدين احدهما يدعى دانيوس ولا يخفاك تاريخهُ وهجرتهُ جزيرة مورة واستيطانهُ مدينة ارغوس والولد الثاني المتولد من الحكيم ذكاء وحنانة ام زرع التي هي طينة الخصب سمى مصر عز فدعيت مصر باسمهِ وكان الحكيم ذكاء غنيًا سعيدًا بما منحهُ لرعاياه من الخصب والبركة وكان يحبهم ويحبونهُ بهذه العطايا الوافرة

مقتفيًا هذا الرفد الذي جلبهُ الى الرعية بدون ان يضرب عليهم مغارم ثقيلة فاستحق ان يحلَّ هنا بدار النعيم وان يتوج بتيجان الفخار فهذا ما شاهدتهُ في هذه المنازل حقيقةً فاسال الله ان يجعلك من الصالحين المستحقين السعادة فبادر بالذهاب من هنا قد ان الاوان وابحث عن ابيك ولا بد قبل الاجتماع بهِ ان ترى اراقة دماء كثيرة وتكسب الفخر في هذه الغزوة الايطالية فتذكر نصائح منطور النفيسة واعمل بها فانها كافية لارشادك

فقال هذا وذهب بتلماك نحو باب يتراءَى انهُ مصنوع من العاج موصل الى طريق ليس فيهِ وعثٌ ولا اعوجاج فتركهُ تلماك قائلاً ان الى ربك الرجعى وسار مسرعًا نحو معسكر المتعاهدين وفي اثناء مسيره اجتمع بالاثنين الذي خلَّفهما عند باب الكهف وظنَّا ان لا تلاقيا فلما اجتمعا بهِ فرحا اذ رأياهُ حيًا باقيًا ثم استيقظ تلماك من سنتهِ وعاد الى صحوتهِ وفارقتهُ الهواتف والخيالات فوجد ما رآهُ مسطورًا في لوح حافظتهِ فتذكر ان هذه كانت من حركة الهواتف فدخل المعسكر وكان وجههُ متهللاً

المقالة العشرون

وكان روساء العساكر مدة غيبة تلماك قد عقدوا مجلساً للمذاكرة في شان مدينة وهنوزة فيما اذا كان يليق الاستيلاء عليها وضمّها الى مملكة اصحابها او ينظر لها صورة اخرى مستحسنة وهذه المدينة الحصينة كان ادرستة قد تغلب عليها قهرًا واخذها من يد الابولية المجاورين لهُ ولكي يسكن غضب هذه الامة جعل هذه المدينة تحت يد اللوقانية وديعة على سبيل الامانة ثمّ رشى المحافظين عليها وتداخل في امورها وصارت كانها تحت سلطته ولم يعد للابولية سلطة حقيقية عليها ولما كانت هذه الامة قد دخلت في المعاهدة مع هولاء الملوك التمست منهم الانصاف من ادرستة وفي اثناء هذه المذاكرة كان قد حضر من اهل المدينة رجلاً يدعى ديوفنطة وعرض على المجلس بانهُ يسلم لهم ليلاً ابواب هذه المدينة ليستولوا عليها وكانت هذه الصورة من خير الامور لو تمّ عليها الحال كما ارتضاهُ المجلس لان ادرستة كان قد وضع جميع مهماتهِ الحربية في برج قريب من هذه المدينة فلو اخذت على هذه الصورة لما امكنهُ ان يدافع عن نفسهِ فيما بعد وكان قد استحسن هذا الامر جميع روساء العساكر واغتروا

بسهولة هذا المشروع فلما حضر تلماك صدهم عن هذا القصد واجتهد في منع استلام المدينة على هذا الوجه

وقال لا اجهل انهُ لو جاز الغدر وصحة الخيانة لكان ادرستة اولى الناس بذلك لانهُ طالما غدر وخان ونقض العهود وحنث بالاقسام واظن انكم ان اخذتم هذه المدينة غدرًا لاتكونون قد فعلتم امرًا منكرًا الا انكم تملكتم مدينة لم تزل في ايديكم اذ هي ملك الابولية وهم متعاهدون معكم وامر اخذها هين ولكم فيهِ حقًا اكثر من ادرستة ولم ترتكبوا الاَّ دون ما ارتكبهُ لانهُ جعلها امانة ثمَّ رشى المحافظين ليسلموها اليهِ متى اراد الدخول اليها بغتةً فانا اعلم انكم اذا اخذتموها تملكتم حالاً برج المهمات الحربية وبعد يومين ينتهي امر الحرب وان لم توخذ تطول المدة ولكن نرجع ونقول الهلاك ولا النصر بهذه الطريقة فهل يجوز دفع الغدر والخيانة بالغدر والخيانة والا يقال ان جميع هولاء الملوك الذين تعاهدوا على ادرستة المكابر هم مثلهُ في المكر والخداع فاذا صحَّ لنا ان نفعل كما فعل هذا الخناس فلا يقال انهُ غادر ولا وجه لنا في حربهِ وتاديبهِ ولا يعد ذلك من الاصول فهل تعجز الامم اليونانية الناجعة الى هذه البلاد المشهورة بشجاعة الرجال ومضاء السيوف عن دفع غدر هذا الخائن من غير ان

تقتدي بهِ لا اظن

وامرٌ معلوم ان الامة الابولية قد حلفت وعاهدت ادرستة ان تبقي مدينة و ينوزة امانة تحت يد اللوقانية وهي محالفة لكم ومعاهدة معكم فكانكم جميعكم قد اقسمتم معها بكل ما هو مبارك ومقدس ثم قلتم ان ادرستة رشى المحافظين وانا اصادق على قولكم ولكن اقول ان هولاء المحافظين لا زالوا في خدمة اللوقانية تحت الطاعة ولم يظهر منهم ميلٌ ظاهر نحو ادرستة ولا دخل في عسكره هذه المدينة فبهذا تكون الشروط باقية على حالها وكذلك عهودكم واقسامكم على عدم الخيانة فهل ينقض الانسان عهدهُ ويخلف وعدهُ لمجرد اسباب غير ظاهرة وهل يسوغ لهُ انهُ متى وجد فرصة للخيانة خان ومتى لقي منفعة في الحنث حنث لا قائل بذلك من الفضلاء فاذا كان حبُّ الفضيلة واجتناب الرذيلة ومخافة المولى من الامور الهينة يستخف بها الانسان بلا شهود ولا دليل فلا اقلّ من ان لا تستخفوا بشرف انفسكم وشهرتكم ورواج مصالحكم فاذا اظهرتم عدم الوفاء لمن عاهدكم وسالمكم وحنثتم بالايمان للفرار من اطالة مدة الحرب فكم من حروب بهذا السلوك تثيرونها عليكم واي مملكة في جواركم لا تاخذ منكم الحذر ومن الذي يثق بكم من الان فصاعدًا بعد سماع ذلك

ويأتمنكم ولو اصفيتم له النية فاخذ المدينة بالخيانة يقدح في حق عصبتكم ويورثكم الاحتقار ويحل عقد جمعيتكم ويغنم عدوكم فرصة شهرتكم بالخيانة وينتصر عليكم لغدركم

فعند ذلك هاجت الجمعية وسالوه كيف تحكم بهذا الحكم في هذه القضية وكيف تعتقد ان الامر الذي تترتب عليه النصرة المحققة للامم المتعاهدة يخل بشروط العهد ويحل ربط المحالفة . فاجاب كيف يمكن ان يعتمد بعضكم بعضاً ويأتمن كل صاحبه بعد نقض العهد واخلاف الوعد فاذا نقضتم عهد الجمعية ولو مرة واحدة ورفضتم الامانة التي هي قطب رحى العهود ينتج من ذلك ان نقض اصول مكارم الاخلاق هو عين الصواب فاذن من منكم يعود يعتمد على الاخر في احدى المصالح فاذا وجد احدكم مصلحة نفسه في الخُلف مع صاحبه فما المانع من ذلك فهل يسوغ له هذا وما يصنع الاخر مقابلة لذلك سوى ما يراهُ لنفسه من الاصلاح فتسهل حينئذٍ مقابلة الخيانة والخُلف بمثلها ويترتب على ذلك الخلل والشقاق بينكم ويأول الامر الى تدمير بعضكم بعضاً ولا تحوجون ادرستة الى تدميركم

فيا ايها الملوك الحكماء ازكياء العقول لا تأنفوا من سماع نصائح شاب صغير ولا تحتقروا رأيهُ فانكم اذا وقعتم في مهاوي

الحروب يعسر عليكم الخلاص منها فتمسكوا بالفضيلة والاستقامة فهو الشجاعة الحقيقية وقوام العدل فاذا خسرتم هذا الشرف تفقدون صفة الاستئمان اللازمة للمصالح المهمة ويعسر عليكم ان تعيدوا الناس ثانيةً الى التمسك بالفضائل ومعها لا تخافون عدم النصر على هولاء الاعداء فان ما عندكم من الشجاعة يكفي بدون غش ولا خداع فالاولى لنا ان نحارب ونناول لما ان ننتصر ونسلم او ينتصر علينا ونعدم وهو خيرٌ لنا من النصرة بارتكاب الخداع والخيانة

فلما فرغ تليماك من خطابهِ ادرك ان اقامة الادلة بفصيح كلامهِ سرت الى صميم افئدة السامعين وعلامة ذلك صميف ارباب الجمعية لان كلاً منهم صار يتامل في تناسق التصورات والتصديقات وترتيبها على اشكال منتجة المقصود ثم سمع من الجميع اصواتًا خفيفة انتشرت بين الحاضرين كانها لسان حال ناطق بالاستحسان وصار كل ينظر الى صاحبهِ متعجبًا مستحسنًا فكر تليماك ولا يستطيع ان يبتدئ مع من بجانبهِ بالكلام بل كلهم منتظر ابتدار رؤساء الجنود بابكار عرائس القول ليكشف المرام ولا يبرح الحال على هذا المنوال حتى جدّ نسطور في جادة الجدّ على عادتهِ وقال

يا نجل عولس الذي تأ هل ان يخلف اباه قد انطقك مولاك بالحق والحق حبيب الله وما الهمتهُ الحكمة لابيك المرة بعد المرة قد منحتك جميعهُ في هذا الاوان لانك تفضلت علينا بالنصائح الحسنة والراي السديد الثابت بالبرهان فلا ننظر الى كونك شابًا ولا الى انك لم تجرّب الوقائع مثلنـــا وانما ننظر الى جودة منطقك بالحكمة وفصل الخطاب وان جميع ما قلتهُ هو عين الحق والصواب فوجب علينا ابقاء مدينة وبنوزة بين ايدي اللوقانية امانة وان نحفظ العهود والمحالفة ونتتصر على ادرستة في ميدان الحروب فاستحسنت الجمعية كلامهُ وكلٌّ اظهر ان هذا هو الصواب

ثمَّ جرت مذاكرة اخرى في الجمعية ظهر فيها فخر تلماك ايضًا وذلك ان ادرستة رشى رجلاً من عسكرهِ اسمهُ اكانتة وارسلهُ ليسمّ جميع رؤساء العساكر وحرّضهُ بالاكثر على قتل تلماك لانهُ كان قد القى الرعب في قلوب الدونية فحضر اكانتة الى تلماك وتصنع عندهُ واخبرهُ قضية افترائية وهي انهُ اجتمع بابيهِ عولس في جزيرة صقلية وقد كان تلماك متصفًا بصفاء الباطن وخلوص النية فكان يجهل قدرهُ ان يخطر ببالهِ اعتقاد الخيانة بانسان فرحب بهِ واحبهُ وصار يسمع منهُ اخبارًا وقصصًا

عن ابيهِ جلية ووقائع لا تصدر الاعن صناديد الابطال وكان آكاتتة قد اشاع بين العموم ان فرارهُ من ادرستة كان بسبب خداع هذا الملك واساءتهِ واسرّ فعل الشرّ وفي اثناء ذلك حضر من اصحاب ادرستة رجل آخر يدعى اريون وتظاهر انهُ فارّ من المعسكر ثم فرّ من معسكر المتعاهدين وقصد الرجوع الى جيش ملكهِ فقبض عليهِ وتبين انهُ جاسوس تجسّس المعسكر وعاد ليخبر ادرستة ان آكاتتة غداة غد يفعل فعلتهُ فكان القبض عليهِ سبب اظهار تلك الخيانة لكونهِ قد اقرّ بها لما اتهم ان لهُ اشتراكًا مع آكاتتة لما بينهما من الوداد والاتصال فظهرت الحقيقة وكان آكاتتة جسورًا مداهنًا من الدهاة الكبار فلما سئل عن ذلك انكر وتمادى في الانكار ولم يكن ثمَّ بينة على اثبات ذلك وانما دلّت قرائن الاحوال على انهُ شريك ادرستة في الاثم فاقتضى راي عدة ملوك اذاقتهُ كاس المنية

فلما سمع تلنماك هذا الراي المصدق عليهِ من وجوه الملوك والرؤساء شنّع عليهِ وقال ما معنى هذا القرار المخالف قوانين المروّة والانسانية وما فائدة هذه الاحكام المنابذة نواميس الملوك فكيف يصدر عنكم حكم مثل هذا وانتم رعاة الرعايا المسلطين من طرف المولى فعلى رايكم ان الجناية تثبت بالتهمة

وان جزاء الشبهة القتل فبهذا تكون نفس اهل البراءة وخلوص الذمة عرضة لسعاية الوشاة وليس لسفك الدماء من قيمة فمتى قويت الشبهة عندكم حلّ القتل بدون تحقيق ولا برهان وهذا فتح باب عظيم يكثر فيه سفك الدماء

ثم كان تلماك يتكلم بحماسة مظهراً الامارة فقرع كلامهُ المسامع واخذ بمجامع القلوب واخجل اصحاب ذلك الراي ثمَّ قال انا لا احسب الحياة على هذه الحالة متي كانت قيمة النفوس كالعدم فاحبُّ اليَّ ان لرى اكانتة قبيحًا خبيثًا من ان اكون متصفًا بحكمي بالغدر وافضل ان يقتلني بالخيانة على ان اتسبب بقتلهِ بلا حق فلا ارضى ان انسب الى الظلم والجور في الاكتفاء في عادة القتل بالشبهة والظن بلا دليل ولا اثبات ولكن يا ايها الملوك انتم في المعنى قضاة الرعية تعدلون في الاحكام بالاصول فدعوني احقق لكم هذه القضية ليكون الحكم فيها بموجب العدل

فشرع يحقق على موجب قوانين الشريعة وكرر الاسئلة على اكانتة واظهر لهُ انهُ يريد ارسالهُ الى ادرستة ليعاقبهُ على فراره لعلهُ يرتعب فلم يجد ذلك نفعًا ولا خاف من الارسال فاستبان لتلماك انهُ غير بريء مما اتهم بهِ وانما لم يتحقق منهُ ذلك لانهُ بقي مصرًا على انكاره فقال لهُ اعطني خاتمك لارسلهُ الى

ادرستة مع رسول مخصوص من اللوقانية يدعى بولوطرويس وانت تعرف هذا الرسول لنفيده انهُ مرسل من طرفك فلا بدَّ ان الملك يعتمد عليهِ في الارسالية فاذا اتضح لنا بهذه الطريقة انك جاسوس من طرف هذا الطاغية عاقبناك اشدَّ العقاب واما اذا اعترفت بذنبك وافدتنا حقيقة الامر صفحنا عنك واقتصرنا في الجزاء على نفيك الى احدى الجزائر وكفيناك المؤونة فعند ذلك اقرَّ بما كان مصمماً على فعلهِ فالتمس لهُ تلماك العفو من ارباب الجمعية ايفاء لوعدهِ وأُرسل الى احدى جزائر اخنيادة ثمَّ بعد مدة وجيزة حضر الى المعسكر رجلٌ دونيٌّ من رعية ادرستة يدعى ديوسقورس وعرض على الملوك انهُ يذبح ملكهُ ادرستة على غفلة وهو في خيمتهِ وقال اني لا اهاب الموت اذا قتلت هذا الفاجر واني على ثقة من نفسي في خطف روحهِ واظهر انهُ مصمم على قتلهِ جزاء فعلة فعلها معهُ وهي انهُ سلب منهُ زوجتهُ لانفرادها في الجمال فعزم هذا الرجل لراحة نفسهِ على شيئين اما ان يقتل ادرستة او يقتل نفسهُ ويرتاح وكان بينهُ وبين حرس ادرستة اتفاقات سرّية فرخصوا لهُ ان يدخل ليلاً خيمة الملك وانهم يساعدونهُ على قتلهِ ولكن راى ان لا باس بكون الملوك المتعاهدين يشدُّون إزره بهجومهم ليلاً على هذا العدوّ ليغتنم

فرصة الازدحام ويتمكن من الفرار بزوجتهِ وقال في نفسهِ ان لم يمكن تخليصها والفرار بها فلا اقلّ من امكان قتل ادرستة وازالة المنكر

فلما اظهر هذا الرجل ما في ضميره الى الملوك والروساء احالوا بثّ القول على تلماك فاجاب يامعشر الامم اليونانية ان المولى تبارك وتعالى نجانا من مكايد ارباب الخيانة في هذه الغزوة فكانهُ فرض علينا ان نجتنبهم ولا نطلب منهم معونة فكيف يجوز لنا ان نستغيث بهم ولو فرضنا ان اتصافنا بالاستقامة لايمنعنا عن بعض الخيانة فان مصلحتنا الخصوصية ومنافعنا الملكية وحفظ الشرف والناموس تستدعي رفضها لاننا متى رخصناها لانفسنا نكون كاننا قد آذنا للغير ان يقتدي بافعالنا فبهذا نصير مستحقين ان يفعل بنا نظير ما فعلناه بالغير وايضاً ما المانع من نجاة ادرستة بتدبيره من هذه المكيدة وتدبير مكيدة لنا يهلكنا جميعاً فهجومنا عليهِ بهذه الصورة التي رغب فيها هذا الراغب لا يكون حرباً جائزة بل هو مجرّد خيانة وغدر ولا بدّ ان يعود علينا بالضرّ فالصواب ان يرسل هذا الخائن الى ادرستة ويسلّم اليهِ نعم ان هذا الامر لا يستحق مثل هذا الاعتناء ولا يجب علينا لهذا الملك الوفاء بالذمام ولكن لما كانت عيون اهل

ايطاليا واليونان ملتفتة الى صنيعنا وحسن سلوكنا كان من الواجب علينا ان نسلك مسلك كرم النفس لنحوز حسن الصيت والاعتبار

حينئذٍ ارسلوا ديوسقوروس الى ادرستة يفعل بهِ ما يريد فلما علم ذلك ارتعدت فرائصهُ مما كان سيحصل لهُ من الخطر ولم يعجب من مكارم اخلاق اعدائهِ ولا شكر صنيعهم بل كانت نفسهُ كارهة قبول هذا الصنيع لان اقرارهُ على صدور هذه المكرمة يذكرهُ قبيح افعالهِ ولما كان لا يستطيع ان يشتهر بما اشتهر بهِ اعداؤهُ من مكارم الاخلاق حاول ان يشتهر عليهم بالحرب فاشهر السلاح و بادر الى الكفاح

فلما جاء يوم النزال تقلد تلماك السلاح الذي خصتهُ بهِ الحكمة وسار امام جميع الملوك والرؤساء وكلٌّ منهم ممتثل امرهُ لان صفات الغيرة والحسد والمنافسة لهذا الشجاع انتفت من بينهم فصار يرتب العساكر احسن ترتيب لا يحير في امر من الامور واذا وقع خطأ من احدٍ عفا وان حدث خللٌ تدارك واصلح لا يكلف احدًا فوق طاقتهِ ويرخص للابطال المجربين بكل رخصةٍ فكان يعتمد في هذه الواقعة على الجميع وكلٌّ يقوم بما فرض عليهِ وكان اذا اصدر امرًا سلك فيهِ مسلك الافادة والبيان مع

الايجاز واذا اقتضت الحال تكريرهُ كرّرهُ لافادة اجرائهِ وكان
ينظر هيئة المامور ويتعرف من منظره هل فهم كما ينبغي فمتى
ادرك من هذا الانسان تادية المامورية تادية حسنة لا يدعهُ
يذهب الا بعد اظهاره لهُ علامات الاعتبار ودلائل الاعتماد عليهِ
والثقة بهِ فبهذا كان كل مأمور من طرفهِ يبذل الجهد في اداء
واجباتهِ . فعندما صبغت الغزالة اديم الافق بعندمها امتلات
البرور والسواحل من ضجيج الناس وقعقعة الاسلحة وصهيل
الخيل ودويّ العربات الحربية وابتدأت الهيجاء فاثارت في
النفوس قوة عصبية وحدة غضبية وبثت في القلوب العنفوان
واخرجت العقول عن حد الانسانية فتساوى الانسان والوحوش
الكاسرة واستعر ميدان الحرب بالاسنة والصفاح وتراسلت المزاريق
والنبال وعلا الغبار في الجوّ حتى حجب وجه السماء والتحمت
الصفوف وحام على الرؤوس طائر المنية وفرّت طيور الشفقة
والمرحمة وفرت قلوب بني ادم النصال والنبال حينئذٍ رفع
تلياك طرفهُ نحو السماء ومدّ اكفّ الضراعة مبتهلاً وملتجئاً
الى مولاه

وقال اللهمّ ربّ السماء والارض اننا لا نخجل من طلب
العدل منك والاحسان بقلب سليم وسؤال الصلح والسلم

والانصاف وانتنا ما سلكنا سبيل الحرب الا مكرهين اذ لا سبيل لنا الى ردع هذا العدوّ سواه وكنا نشتهي الصلح حقنًا للدماء ولا نبغض هذا الطاغي لذاتهِ بل لتماديهِ على الغدر والخيانة والكفر والاشراك فانت العليم البصير فاحكم بيننا وبينهُ يا احكم الحاكمين . فلما فرغ من هذه الاستغاثة التي نطق بها من صميم الفواد هجم بخيلهِ على مقدمة صفوف الاعداء وكانت مستعدة للهجوم والاستقبال فالتقى تلماك في طريقهِ مع بريا ندروس لابسًا جلد الاسد الذي قتلهُ حين كان سائحًا في بلاد القرمان ولهُ سلاح كسلاح هرقولس وكان بطلاً شجاعًا طويل القامة ضخم الجثة فلما وقع بصره على تلماك ازدرى بهِ لحداثة سنهِ وقال لهُ ايها الشاب الظريف المتصف بصفات ربات الحجال امثلك ينازل ويناضل ويظاهر على مثلنا في حومة الميدان فاذهب عنا الى ملاعب الصبيان فقال هذه الكلمات ورفع دبوسهُ الثقيل الهائل المنظر وصدم تلماك صدمة عنيفة قصد اهلاكهِ فحاد وانقضَّ على بريا ندروس انقضاض العقاب وطعنهُ بالرمح في صدرهِ طلع يلمع من قفاه فوقع على الارض يتخبط بدمائهِ فاخذت تلماك الشفقة عليهِ وسلَّم جثتهُ الى احد اعوانهِ وابقى لهُ الدبوس وجلد الاسد تذكارًا لهذه النصرة .

ثم اخذ تلماك يتطلب ادرستة في ميدان القتال لينازلهُ
وكان ادرستة مختلطًا بالجنود لا يستدل عليهِ بعلامات الاعلام
يفتك بمن يصادفهُ و ينازلهُ من فحول الرجال حتي اذاق جمًا
غفيرًا كاس المنون فمن هلك فيمن هلك هيلة الشهير وكان
راكبًا عربة مسحوبة بالخيول التي كانت ترعى في مرج نهر اوفيدة
وهي تختال في هذا الشجاع كالغزلان ومنهم دومليون الصقلي
الشجاع الباسل واقرنطوس الذي كان مصاحبًا هرقولس حين
مروره بايطاليا وقتلهِ المسخوط قاقوس الذي كان من ابناء
بركان نصفهُ انسان والنصف الاخر حيوان ينفث من فيهِ لهيب
نار على حكاية جاهلية اليونان ومنهم مانقراطس المضارع بولوش
في فن المناضلة والمصارعة ومنهم هو بوقون السلبياني الفارس
الذي كان يقلد في ركوب الخيل قسطور همام الفوارس واورو ميدس
وهو صياد شهير كان يداوم الصيد في جبال ايطاليا وكانت جاهلية
اليونان تعتقد انهُ سمير القمر وحليف الغابات وان ربّة الصيد
ديانة القمرية علمتهُ تفويق السهام ونيقوسطراطس الذي قيل
في جاهلية اليونان انهُ قتل ماردًا في جبال غرغان كان يخرج
من فمهِ موادًا نارية ومنهم فلياتة وهو بطل مشهور وفتىً جسور
ومن حكاياتهِ الخرافية انهُ كان موعودًا بزواج شابة بديعة الجمال

تسمى فلوة كان ابوها رئيسًا على نهر يدعى نهر ليريس وكان
يقال لهذه الشابة بنت النهر لملازمتها اياهُ لان اباها كان رئيسهُ
وسبب وعدهِ بزواجها ان بعض الكهانة اخبر اباها بحكاية ظنها
صحيحة وهي انهُ قريبًا يفتضها تنين عظيم طيار ذو جناحين
يظهر على شاطيء هذا النهر فوعد ابوها بزواجها لمن يقتلهُ
فتصدَّى لذلك هذا الشاب وكان مولعًا بحبها فلما نجح بقتلهِ خاب
املهُ ولم ينل ثمرة نصره اذ انهُ في اثناء ذلك خرجت الملوك المتعاهدة
الى حرب ادرستة فاخذ ابوها فليانتة معهُ ليشد بهِ ازرهُ ولما بلغ
محبوبتهُ خبر قتلهِ صارت تنتحب وتذرف الدموع الغزيرة وحلقت
شعر راسها واستمرَّت على هذه الحالة مدة ايام وليال حتى قضت
اسىً وفقدها النهر معنى وحسًّا

وقيل في رموز الخرافات انها لكثرة ما كانت تفيضهُ من
الدمع الغزير استحالت نفسها دفعةً واحدة الى عين ماء
جارية تصبُّ في هذا النهر الذي يقال انها بنتهُ وكان تلماك من
جهة ثانية قد اتلف جند ادرستة والقى في قلوبهم الرعب
وشردهم مثنى وثلاث ورباع فبادر الى لقائهِ بعد ان انتقى ثلاثين
بطلاً من شجعان قومهِ ووعدهم بالانعامات ان قتلوا تلماك باي
قتلة كانت ولا شك ان هذا العدد لو صادف تلماك لاحاط

بعربتهِ وسدَّ عليهِ الطرق وتمكن ادرستة من الهجوم عليهِ ولكن اقتضت الحكمة الالهية تاخير الوعد فاضلَّتهم عن سواء السبيل

ثمَّ بعد مدة سمع ادرستة ومن معهُ صوتًا يشبه صوت تلماك في سهل متسع قرب سفح جبل فهرول للقائهِ والانتقام منهُ ولما وصل وجدهُ انهُ نسطور يرمي بالنبال ويدهُ ترتعش لشيخوختهِ فلا يصيب الغرض فاراد ادرستة ان يفوق نحو هذا الشيخ نبلهُ ويطعنهُ فاحدق بهِ رجالهُ ونصروهُ وكفوهُ شرَّ هذا الطاغي واشتدَّت حينئذٍ الاهوال وكثر الطعن والضرب وفتك ادرستة بجماعة نسطور وجندل منهم عددًا مثل أصطيسلاس المشهور بالعدو واوطفرون الشهير بالظرافة والجمال البارع وبطرلاس الذي صحب نسطور في غزوة تروادة وشهد لهُ بالشجاعة والقوة وارسطوجيون الذي كان يتشكل باي شكل كان فلما وجد نسطور ان ادرستة فتك بجماعتهِ الشجعان نسي الخطر المحدق بهِ وهان عليهِ الموت وتجرَّد من التعقل والتدبير ولم يلتفت الاَّ الى مراقبة ابنهِ لانهُ خاف عليهِ اكثر من خوفهِ على روحهِ وكان ابنهُ المدعو بيزسطراطس شهمًا هامًا يقاوم القوم ويصادمهم قصد دفع الخطر عن والده واظهار شجاعتهِ

في وقائع الحرب ولكن كان قد آن الهلاك اشعاراً لنسطور بما احس به من انهُ خاف على ابنهِ وترك الذب عن نفسهِ ولم يخف على روحهِ وذلك ان بيزسطراطس حمل على ادرستة حملة عنيفة وطعنهُ في الرمح بجدة فمال عنهُ وتباعد ففقد بيزسطراطس الموازنة لقوة ضربتهِ التي خابت وانثنى يعدل رمحهُ ليحمل ثانية على خصمهِ فتمكن منهُ ادرستة وطعنهُ بالسنان فخرجت احشاؤهُ من جوفهِ وجرى دمهُ وتغيّر لونهُ وذبل غصنهُ وكان قريباً منهُ مؤدبهُ المسمى القيس فضمهُ اليهِ ودنا بهِ من ابيهِ فاراد ان يودع اباهُ بالكلام ولما فتح فاهُ خرجت روحهُ واورث والدهُ الحزن واما فيلوقطاطس فكان مشغولاً باهلاك عساكر ادرستة ومنعهم عن التقدم واكراههم على الانكسار فحضن نسطور جثة ولدهِ واخذ يبكي وينوح من قلب جريح حتى ملأ تلك الارض بالصراخ وكلّ بصره عن الرؤية وكان يندب مصابهُ ويشكو ما اصابهُ قائلاً ما اشقى الوالد الذي يفقد ولدهُ وما امرّ فسحة الاجل بعدهُ فيا ايها الابن العزيز قد فجعت قبلك باخيك انطيلوقس فخلفتهُ وبك تسليت وهان تصبري والان بمن اتسلّى والى من انظر فكل شيء قد فرغ حتى الرجاء الذي لا يخفف الاحزان سواه فهو رأس مال العاجز الكسير الجناح فيا ايها

الولدان الاعزان اللذان فجعت بهما فموت الاخير منكما قد فتح الدمّل الذي رباهُ في الحشاء الاول فوااسفــاه ما عدت اراكما طال العمر او قصر ولا اجد من يغمض عينيَّ عند موتي بعدكما

ثمَّ همَّ ان يطعن صدرهُ بسنانهِ فقبض الحاضرون على يده ونزعوا جثة ابنهِ من حضنهِ فخرَّ على وجههِ مغشيًا عليهِ وحمل الى خيامهِ فلما افاق وعادة اليهِ درجة شهامتهِ قصد الذهاب الى الميدان فحجزوهُ كرهًا عن حضور الواقعة ومشاهدة الشجعان . وفي اثناء ذلك كان كلٌّ من ادرستة وفيلوقطاطيس يبحث عن صاحبهِ في ساحة القتال تلوح عليهما علامة الغضب الوحشية وشدة الانتقام فالتقيا في سهل واسع على شطوط نهر قياسطرة واخذ كلٌّ منهما يفوق السهام على صاحبهِ وصار المتقاتلون ينظرون اليهما نظر الخائف ويتاملون تامل المروَّع القلب المنصدعهُ فلما دنا كلٌّ منهما من صاحبهِ كان بيد فيلوقطاطيس سهامهُ الهرقولوسية التي لاتخطئ ولكن كان ادرستة جبارًا عنيدًا مساعدًا بتجلي الطوالع المريخية القاهرة المدبرة ادمان القتال حتى يكثر سفك الدماء

فلما حمل فيلوقطاطيس على ادرستة صودف انهُ جرح

بطعنة رمح من يد انفيماقوس اللوقياني وكان هذا الطاعن شاباً ظريفاً جميل الصورة فائق الجمال فارتدَّ اليهِ فيلوقطاطيس ورماهُ بسهمهِ فمزق بطنهُ واطفأ نور شجرتهِ وغاب جمال وجههِ البديع وظهرت عليهِ علامات الاموات وفارق الدنيا ولما انهى فيلوقطاطيس قتل طاعنهِ صار مجبوراً على ترك الميدان لان دم جرحهِ ييس وهدّت قواهُ وهاج عليهِ جرحهُ القديم فاخرجهُ من الميدان ارخيدامس المشهور بالخبرة والدهاء لانهُ علم انهُ اذا التقى فيلوقطاطيس بادرستة وهو على هذه الحالة يدوسهُ تحت رجليهِ لانهُ كان قد فتك بالجم الغفير من عساكر المتعاهدين وهزمهم شرَّ هزيمة ولم يكن من يقاومهُ

فسمع تلماك على بعد اصوات الغالبين اصوات تهليل وفرح وابصر جندهُ مولين الادبار امام جند الاعداء فتكدَّر من ذلك وترك المحل الذي كان يقاتل فيهِ فائزاً على الاعداء وسعى مسرعاً لاعانة اصحابهِ وصاح على الاعداء من بعيد صيحة هائلة سمعها كلٌّ من الجندين على اتساع ميادينهم فاحيا بهذا الصوت قلوب احزابهِ والقى الرعب في قلوب الاعداء ولما سمع ادرستة اضطرب وارتعدت فرائصهُ وايقن بالهلاك فصار يقدم رجلاً ويؤخر اخرى متردداً في الاقدام والاحجام ولكن اظهر

الجلد واخفى الكمد وصار يتطلب تلماك للمبارزة ولما وقع بصرهُ عليهِ كان كمن تفتحت عليهِ ابواب جهنم وراى عذابهُ بعينيهِ فبادر ورمى تلماك برمحهِ ويدهُ ترتعش واما تلماك فقد توكل على المولى واسرع الى وقاية نفسهِ ودفع رمح خصمهِ الذي رماهُ بهِ بدرعهِ والقت الحكمة عليهِ الامن منهُ فلما راى ادرستة ان طعنتهُ خابت انتضى سيفهِ من غمده وهجم على تلماك ولكن كان تلماك انتضى سيفهُ ايضًا اسرع من البرق وضرب صفحًا عن هزّ الرماح لان السيف اعجل من السنان في القضاء

فلما راى المتقاتلون حصول المبارزة من هذين البطلين تقاعسوا عن القتال وتوقعوا النصر لمن يكون فصار لمعان السيفين كالبرق الساطع وصوتهما على الدرق والدروع كالرعد القاصف واخذا بالميل والاعتدال والانخفاض والارتفاع اسرع من لمح البصر حتى انتهت الحال الى الاشتباك والالتحام وكانت قوة ادرستة الى هذا الوقت لم تضعف من التناوش واما قوة تلماك فاستحالت الى درجة اخرى وحينئذٍ عجز ادرستة عن مقاومة تلماك وخاف من الموت واهوالهِ لانهُ كان كافرًا لا يعتقد الهًا ولا يعرف اركان الايمان فالتمس بدون حياء العفو من تلماك واظهر الرغبة في حبّ الحياة وتلطف اليهِ لينال منهُ الامان

فقال يا ابن عولس قد صدقت الان بوجود الالوهية وان الجزاء
بالثواب والعقاب وعلمت يقيناً اني مستحق الجزاء على افعالي
مقابلة لتفريطي والحادي فاني ملك عزيز في قومي وقد ذللت
لك فاذكر اباك عولس بما جرى لي لانك قد توليت قتلي
ووالدك بعيد عن ملكهِ وقلبك مشتاق اليهِ والله يجمعك بهِ
وكان تليماك قد اعتقلهُ والسيف يلعب على راسهِ فلما سمع ذلك
منهُ رقَّ لهُ واجاب سؤالهُ فقال لم يكن مقصدي الاَّ النصر وايجاد
الصلح باسم الامم الذين حضرت معهم للاعانة لانهم استعانوني
فاجبت دعاهم ولا احبُّ ان اتهافت على سفك الدماء فاسلم
وعش واصلح خللك وتدارك خطاءك وردَّ المظالم لاهلها واعد
على بلادك الامن والراحة والعدل وتجنب ان تلطخ السواحل
الايطالية بالقتل والسلب والخيانة والغدر والخصال الدنية
وغيِّر اخلاقك الرديئة واعلم ان المولى عزَّ وجل احكم واعدل
العادلين وتيقن ان اهل الفتن والشرور وارباب الظلم والفجور
هم اشقياء الدارين فانا قد صفحت عنك واطلقت سبيلك
ولكن استحسنت ان آخذ ابنك مطرودورس مع اثني عشر من
امراء ملتك رهائن على عقد الصلح ويكون كلٌّ منهم مراعىً
ومحروساً بعنايتنا

فعند ذلك تركهُ تلماك ومد لهُ يدهُ للمصافحة علامةً على المسالمة والمصالحة وما أوجس في نفسهِ خيفةً منهُ ولا خيانة ولكن لما نهض ادرستة وكان مستحضرًا على سهم قصير مخبئًا لا احد يعرف مكانهُ ففوق هذا السهم على من منّ عليهِ بالحياة وكان تلماك لابسًا عدتهُ المطلسمة ولولا ذلك لكان بمصادمة السهم صارت هباء منثورًا وتمزّق لابسها فنجا تلماك من هذه الطعنة وفرّ ادرستة خوفًا من هجوم خصمهِ عليهِ فصاح تلماك على الدونية قد شاهدتم اننا انتصرنا عليكم وظفرنا بكم ثم عفونا ولكن ملككم الكافر الجحود قد تمحض للخيانة ثم هرب هروب الجبان المكسور وما رام حقّ المنازلة لان من لم يخف الله تعالى خاف من الموت ومن خاف الله لم يخف من غيرهِ فلما فرغ تلماك من الكلام دنا من الدونية واومأ الى جماعة من الكريديين ان اقطعوا الطريق على هذا الكافر الخائن فاراد ادرستة ان يفرّ خوفًا من خصمهِ ولكن انقضّ عليهِ تلماك انقضاض العقاب او حلول صاعقة العذاب وتمكن منهُ واخذهُ اخذ منتقم فاراد ان يطلب العفو منهُ مرةً اخرى فما اصغى تلماك الى تزويره بل غمزه بالسيف في جنانهِ ونقلهُ من هذا العالم وارسل روحهُ الى لظى وبئس القرار وهكذا عاقبة الفجرة الكفار

المقالة الحادية والعشرون

لم يحزن الدونية قتلُ ادرستة ولا انهزامهم بل ظهرت على
وجوههم علامات البشر والطلاقة وفرحوا بخلاصهم من قبضتهِ
وطلبوا من الملوك المتعاهدة الصلح والمسالمة واجراء معاهدة معهم
واما ولد ادرستة المسمى مطر ودورس المتربي في حجر النفاق
والظلم والقساوة المتلقن الخبث من ابيهِ فلما راى قتل ابيهِ وميل
شعبهِ الى الصلح والمعاهدة فرَّ مع مملوكهِ الذي كان شريكهُ في
المفاسد ومطلعًا على اسراره وكان قد عتقهُ وانعم عليهِ انعامات
جزيلة ولم يخطر ببالهِ انهُ يخونهُ فلما فرَّ سيده تبعهُ وقطع راسهُ
واتى بهِ الى الملوك المتعاهدة فرِحًا ظنًّا منهُ انهم يسرون بهِ وينعمون
عليهِ لان الحرب قد انتهت بقتلهِ مولاهُ فحينما حضر اليهم حنقوا
منهُ واشمأزَّت نفوسهم من هذا الفعل القبيح وامروا بقتلهِ حالاً
فقتل وقد راى تليماك راس هذا الولد المغرور فتامل في وجههِ
واذا بهِ وجه شاب بديع الجمال ظريف الشكل عليهِ علامات
الكرم اصلاً وانما تغيرت اخلاقهُ الكريمة بفساد التربية فحزن
عليهِ وبكى وقال وااسفاه على اولاد الملوك يتربون في حجر

الرفعة والاحتجاب وذلك سمٌّ في دسم فهذا الشاب الوليّ عهد ابيهِ قد فارقتهُ معاليهِ لضلالهِ وغيهِ على قدر علو شانهِ فالحمد لله الذي رزقني بمنطور حتى رباني وغذاني بالبان المعارف والاَّ كنت أُشبه هذا الشاب بفساد الاطوار

فاجتمع الدونيون وطلبوا من المتعاهدين عقد الصلح بشرط ان يرخص لهم في انتخاب ملك من جنسهم يكون من اهل الصلاح والاستقامة ليمحوا ما لطخهم بهِ ادرستة من التدنيس والعار ثمَّ اقبلوا على تلماك يقبلون يديهِ اللتين تخضبتا بدم ملكهم الظالم قائلين ان هذه الوقعة لا نعدها هزيمة علينا بل هي غنيمة لنا وهكذا انتهت سطوة الدونية التي كان يخشاها جميع الممالك الايطالية فاجتمع روساء الجيوش لتعيين ملك الدونية وما كان الطف اجتماع الجيشين واتحادهما بعلامات الحب حتى صارا الجيش واحد خلاف المأمول واما نسطور فلم يحضر لفقده ولده وطعنهِ في السن وصار دأبهُ البكاء والعويل لا يذوق طعامًا ولا يلذ بمنام ولا يفتر من ذكر ولده وكان تلماك ايضًا قد ذهب ليحضر جنازة بيزسطراطس وحين وصولهُ نثر على جثتهِ الازهار وصبَّ عليها انواع العطريات الذكية وصار يبكي عليهِ ويعدد مناقبهِ برثاء ممزوج بالشفقة قائلاً

يا اعزّ الاصحاب لا انسى ابدًا رؤْيتك في جزيرة بولوس وذهابك معي الى اسبرطة ثمّ افترقنا وبعد ذلك تلاقينا في سواحل ايطاليا فافضلت عليّ بما لا يحصى من المنن وقد انست منك قوة الجاش والبسالة فلو عشت لفقت جميع مشاهير اليونان لانك بشجاعتك فتدت حياتك وهكذا كان يعدد مناقبهُ ويذكر فضائلهُ وفضائل والده

ولما فرغ من رثائهِ امر بغسل جرحهِ وتنظيفهِ من الدماء وفرش لهُ فراشًا من الحرير الارجواني ووضع تحت راسهِ وسادة وكانت عادة يونان ذلك الزمان حرق موتاهم ودفن رمادهم المخزون في اناء فلما مات عمل المتوكلون بحرقهِ تنورًا واوقدوا فيهِ نارًا اصعد لهيبها ودخانها الى السماء وكانت فرقة ابي الميت لابسة اثواب الحداد منكسة الرؤُوس والسلاح فسعت بجنازتهِ الى الموقد والقوه في النار فاحترقت الجثة ووضعوا رمادها في اناء من الذهب لكنزه وابقائهِ واعطاه تليماك لمؤدب هذا الشاب وامرهُ ان يحافظ عليهِ ويبقيهِ تحت يدهِ الى ان يستقيم حال والده الحزين ويطلبهُ فيسلمهُ اليهِ

ثمّ عاد تليماك الى الجمعية لاجل المذاكرة في المصالح الخيرية فلما دخل المجلس لزم الجميع الصمت ليستمعوا مقالهُ فعلاهُ الحياء

والخجل ولم يفه بكلمة واستنطقوهُ فلم يقدروا ان يحملوه على افتتاح
الكلام فصاروا يتحدثون وهم بسمع منهُ بمدحهِ والثناء عليهِ بما
يليق بهِ وهو يزداد حياء من ذلك وودّ لو امكنهُ ان يختفي عن
اعينهم وهذه اول مرة ظهرت عليهِ امارات الحيرة في مجلس العموم
فلما زاد بهِ الحال بهذا الخصوص التمس من ارباب المجلس ان
يصنعوا معهُ معروفًا ويضربوا صفحًا عن مدحهِ فقال لهم انا لا
ابتغي سماع المدح لا سيما من امثالكم ممن يعرف قيمة الفضائل
وقدر ارباب الاخلاق الجميلة ويمكنهُ ان يقضي في هذا المعنى
قضاء صادقًا لانهُ ربما يتمكن من نفسي حبُّ المدح من الناس
واتعوّد على الرغبة في سماعهِ ومن المعلوم انهُ يفسد الطباع ويكسب
المرء التكبر ويحمل الانسان على الادعاء بما ليس فيهِ فيجب
على المرء ان يفعل ما يستحق بهِ المدح وان يعود نفسهُ على النفور
منهُ وخير المدح انما هو الصادق الصحيح واذا بولغ فيهِ التحق بالكذب
فاذا كنتم احسنتم بي الظن فلا شك كنتم تعتقدون اني من
اهل التواضع واني متصف بصلاح الاخلاق فكان ينبغي ان
تقتصروا عن مدحي ولا تنزلوني منزلة من هو مغرم بحب المدح
فان هذا المدح هو عين الذم لان المدح الحقيقي في حق الانسان
ما كان عن ظهر غيب

فبعد ان فرغ تليماك من هذه البراعة وظهر للجمع ان المدح عندهُ غير مقبول انصرفوا عنهُ ولا سيما انهم عرفوا انهُ تأثر من ذلك وقد عرف القوم ما حصل منهُ من الشفقة على ولد نسطور وكيف اعتنى بجنازتهِ فاستحسنوا منهُ ذلك وشكروهُ وايقنوا منهُ سلامة القلب والميل الى الشفقة كما ايقنوا قبل ذلك بعلو تدبيرهِ ووفور عقلهِ وكمال شجاعتهِ مما ظهر لهم في محل الواقعة واجمعوا ان هذا الشاب مدبر عاقل وانهُ من صناديد الابطال وسيد فرسان ذلك الزمان . فلما فرغت الاقوال المدحية بادرت الجمعية الى المذاكرة في امور الصلح مع الدونية والتبصر في انتخاب ملك لهم عوضًا عن ادرستة فلما جرت المذاكرة في شان الانتخاب اختلفوا فقال الجمهور لا باس بجعل هذه المملكة غنيمة للملوك المتعاهدين وتقسيمها تقسيم البلاد الماخوذة عنوة وصرف النظر عن ابقائها مستقلة وتعيين ملك لها من اهلها ثم عينوا لتليماك اقليم اربينة وهو اقليم خصب يعطي محصولين في السنة واخذوا يرغبونهُ بقولهم ان هذه الارض تنسيك جزيرة طياكي المجذبة الوعرة فاذا اخذتها اكتفيت بها عن البحث عن والدك الذي يظهر لنا انهُ غرق في شعاب كفارة وعن امك التي لا بد ان يكون طالبوها قد تمكنوا منها وتزوجت بغير والدك لطول غيابكما

فما زالوا يتكلمون بهذا المعنى وهو لا يسمع ولا يلتفت الى اجابتهم حتى فرغت جعبتهم حينئذٍ قال لهم امَّا انا فلا اميل الى المال ولا الى نعيم الدنيا الزائل وما فائدتي من الاستيلاء على اقليم كبير ووطنٍ اعظم من وطني ومسقط راسي وما هي رغبتي في مملكة يكون اهلها اكثر من اهل بلادي فهل يصيبني من ذلك الا التعب وحمل الاثقال وكوني اسير الاشغال والمصالح وانا كاره مثل ذلك فالملك العاقل لا يكلف نفسهُ تكثير رعاياه فانا قانع بجزيرة طياكي مقرّ ملكي فهي عندي خير الاوطان ولو كانت بنفسها صغيرة فقيرة و بالنسبة الى غيرها حقيرة ولكن لا فخر لي اعظم من اقتداري على حكمها باصول العدالة والانصاف والتمسك بتقوى الله في السلوك مع رعاياها وغاية بغيتي ان اتصف بالشجاعة وقوة الغلبة على تولي الحكم عند حلول الاوان واذا تطلبت حكمها الان فهو تمني الاستيلاء معجلاً وصاحبهُ يعاقب بالحرمان فالملك لا اتمناه الان بل املي في المولى ان يمن على ابي بالخلاص من اهوال البحر والحضور سالمًا الى مملكتهِ وان يحكمها الى ما شاء الله ويعيش دهرًا طويلاً لكي اتعلم منهُ كيف يغلب الانسان نفسهُ ويضبط شهواته الخاصة ويراعي مصالح الامم ويهذب رعيتهُ ويعلمها حسن السلوك والاخلاق حتى تعيش

سعيدة هذا ما قالهُ تلماك جوابًا للجمعية

ثمَّ قال يامعاشر الملوك والامراء ومفاخر الرؤساء أنصتوا لما ابديهِ لحضراتكم مما اظن ان ذكرهُ واجب لصالح العمومي وانهُ يعود عليكم بالفائدة وبهِ تبلغون المقاصد فانكم اذا انتخبتم ملكًا عادلاً للدونية يجري الاحكام بالعدل ويعلمهم الصدق والامانة والتمسك بالعهود واجتناب الجور على الممالك المجاورة ويرتق ما فتقهُ الملك السالف الجائر فلا يتوقع خوفًا منهُ ولا من هذه الامة ويعترفون لكم بالفضل ويشكرون صنيعكم معهم بهذه الوسيلة لانكم اتحفتموهم بملك عادل ينعم عليهم بالراحة والامن بخلاف ما اذا اردتم تقسيم بلادهم بينكم فانهُ يترتب على ذلك ما لا يقدر من الاهوال ويصيبكم من المصائب والنكبات ما هو امرُّ من حلاوة تلك الاضافات لان الدونيين حينئذٍ يجدون انفسهم في ياس من حكم بلادهم بملك عادل من عشائرهم ويفقدون الرجاء فيعودون الى قتالكم بلا خوف وتكون حربهم لاسترداد حقوقهم شرعية لا ذنب عليهم فيها ولا ملام لدفعهم الظلم عن انفسهم والمولى عزَّ وجلّ ينتقم للمظلوم من الظالم ولا بدَّ حينئذٍ من هلاككم وذهاب دولتكم فان الرب القدير ينزع من قلوب عقلائكم انوار المعارف النافعة وحسن التبصر في

الامور بما قام بكم من الحقد وينزع من عساكركم الشجاعة والثبات ومن ارضكم الخير والبركة وتصيرون من ارباب النفاق وينعدم الصدق منكم وتقعون في المهالك والخطر وفوق ذلك فانهُ يترتب على هذه المقاسمة تعصب جميع الامم المجاورة عليكم للقتال حتى ان معاهدتكم هذه التي انعقدت لخلاص الامم الايطالية من ظلم ادرستة فانها وان سرت بمدحها الركبان واستحسنها الجميع تنقلب عليكم مذمة وينفر منكم الجميع وينسبونكم الى التعدي والظلم وقصد الاستيلاء على جميع الممالك

ثم فرضنا انكم غلبتم الدونيين وانتصرتم عليهم وانكم تغلبون جميع الامم الباقية فنقول ان هذا النصر العام هو الذي يفضي بكم الى ذهاب دولتكم وزوال سلطتكم لان التصدي للمقاسمة يشتت شملكم ويفرّق هيئتكم ولا تتفق لكم كلمة لان قسمة ملك الغير تجرُّ المفسدة بين الشركاء لانها ليست مبنية على العدل ولا ضابط لها يضبط تسهيمها ليحصل التوزيع على قدر استحقاق كل واحد لانها في الاصل محض اغتصاب فكل ملك من المتعاهدين يلتمس ان يكون سهمهُ على مقدار شوكتهِ ولا بدَّ حينئذٍ من قاسم يكون صاحب نفوذ واقتدار يوزع السهام بالعدل والامانة حتى يرضي الجميع وينفذ عليهم احكام التوزيع

والحال انهُ لا احد فيكم مستجمع هذه الصفات برضى الباقين
فهذا يكون مبدأ الخصام بينكم والفشل فيطول امر المقاسمة ولا
تتم بين الشركاء بل تبقى بدون اتمام ويجري فيها الفشل بعدكم لابنائكم
بل ربما استمرت المخاصمة بين احفادكم واعقابكم الى يوم الحساب
فالاحسن سلوك طريق العدل والانصاف والحيادة عن سبيل
الطمع واجراء الصلح التام الذي تحسن معهُ الراحة والوفاق على
ممرّ الايام وانا يا ايها الملوك لا غرض لي في هذا ولا منفعة فلولا
صداقتي معكم ما ناقضت اراءكم ولا عارضت ما صدقت عليهِ
جمعيتكم ولا تعرضت لاخطار ما لا تاباه نفوسكم وهو قول
الصدق واظهار الحق بالبرهان واملي ان يكون قرين
الاستصواب

فبينما كان تليماك يتكلم على هذا المنوال ويسلك مسلك
الحماسة والقوة في الخطابة والملوك ورؤساء العساكر متعجبون
من مقالهِ وهم باهتون ومستحسنون اراءهُ اذ حصل هرج في
المعسكر وسرى الى مجلس الجمعية ثم انكشف الحال عن ذلك
وقيل ان شخصاً اجنبياً اقبل على السواحل وصحبتهُ فرقة حربية
فاراد اهالي السواحل والمحافظون ان يطردوهُ في بادية الامر ظنًا
منهم انهُ مغيرٌ عليهم فلما راى منهم ذلك جرَّد حسامهُ واراهم

شجاعتهُ وقال لهم اني احسن المدافعة عن نفسي اذا طلبتم القتال ولكن انا لا ابغي الا المسالمة واطلب منكم اضرام نار القرى لا نار الحرب ثم رفع بيده غصناً من شجر الزيتون علامة على الامان فاجابوهُ الى استدعائهِ بخلوص قلب فطلب منهم ان يمثل بين ايدي ارباب الحكومة فاحضروه الى الجمعية ليبين مقاصدهُ

وكان تلماك قد فرغ من كلامهِ فدخل هذا الرجل المنكر وعلى وجههِ لوائح الحرمة والوقار ما ادهش ارباب الجمعية فلما استقرَّ اخذ يتكلم بهذا المقال فقال يارعاة الامم المجتمعين هنا اما لحماية الوطن من الاعداء او لاحياء القوانين المرعية الاجراء والاحكام اصغوا الى مقال انسان خانهُ الدهر وجار عليهِ الزمان عافاكم الله من ذلك فان صاحبكم الذي سعد بمقابلتكم الان هو ديوميدس ملك ايطوليا من كبار المالك اليونانية ومعلومكم جميعاً اني في غزوة تروادة ادميت الزهرة ربة الجمال فلا زالت تقفو اثري للانتقام وتتبعني الى اي جهة سرت اليها وهي كما يقال متولدة من زبد البحر فلهذا سلطت عليَّ ربَّ البحر فياض المياه وهو اغرى عليَّ الارياح والامواج حتى كسرت سفينتي عدة مرات ودفعت مراكبي على الصخور والشعاب وقاسيت ما قاسيت

ولايخفى ان الزهرة قاسية القلب وهي السبب في قطع املي من رؤية مملكتي واجتماعي باهلي وعيالي فقد احرمتني من الوطن الذي حُجبت عني انوارهُ الساطعة وعجزت عن الوصول اليهِ فالان قد صرفت النظر عن ذلك بعد ان بذلت الجهد فيهِ وجرى لي ما جرى من تكسر السفن والغرق ورسوت هنا بهذه السواحل المجهولة عندي لابحث عن ارض حرّة اتخذها مقرًّا الجأ اليهِ وآمن على نفسي فان كنتم تخافون مولاكم وعندكم التقوى والمراقبة ولديكم يكرم الضيف وفيكم الشفقة على عباد الله فلا تمنعوني الاحتماء في محل من هذه الاراضي الواسعة ودعوني اعش بقطعة ارض خصبة صالحة للزارعة واقيم فيها مدينة عوضًا عن المدينة التي فقدت من يدي ونعقد بيني وبينكم محالفة ومعاهدة لا ننقضها ابدًا ونعيش معكم على الصلح والسلم عيشة سعيدة من والاكم واليناه ومن عاداكم عاديناه واغراضكم اغراضنا واعراضكم اعراضنا وانما نمتاز عنكم في أن تاذنوا لنا ان نجري اصول بلادنا وقوانين ملتنا واحكامنا

وفي أثناء تكلم ديوميدس كانت عين تلماك تشخص اليهِ وتظهر على وجههِ علامات التاثر والانفعالات ورثى لحالهِ وتذكر ما وقع لهُ ولابيهِ من مكاره الزمن ومكايد الدهر فجرى دمعهُ على

خديهِ دمع فرح وسرور ممزوجًا بالتاسف والشكوى من صروف الدهر ثم اقبل على ديميدس يحييهُ بقولهِ انا ابن عولس الذي عرفتهُ وقد اعانك في قضية خيول رهسوس الشهيرة وقد فعل بهِ الدهر ما فعل بك وعلى مقتضى كلام كهان ايربية ان صحت الكهانة لم يزل حيًا ولكن لسوء الحظ ليست حياتهُ كحياة الملوك ارباب الولايات ولا هو ملك في اوطانهِ وقد ارتحلت من طيا كي للبحث عنهُ والان لا استطيع العود الى وطني ولا وجدت والدي على وجه الارض فكيف لا اشفق عليك وقد جرى لك مثل ما جرى لي من النكبات المؤلمة فمن منافع مصائب الانسان ان يعذر اخاهُ عند المصائب واما انا فغريب في هذه البلاد وعابر سبيل فيا ايها الانسان العظيم الجليل لا يخفى عليّ اعتبارك فاني ولو قاسيت ما قاسيت من الصغر الى الان لكن تربيت تربيةً شافية واختبرت الدهر فيمن اختبر وتأهّلت لمعرفة اقدار الناس الذين هم مثلك فكيف لا اعينك يا ايها البطل الهمام الذي لا نظير لهُ بعد اخيلوس وهولاء الملوك الذين تراهم امامك هم اصحاب مروة وهمة يعرفون مقامك ويعلمون ان لا شيء افضل من مكارم الاخلاق والشجاعةُ الحقيقية والفخر الصحيح هي مناقب جميلة ولكنها بدون المروءة ليس لها مقدارٌ ومن قاسى مثلك الاهوال رثت لهُ قلوب المتصفين

بالفضائل فالان وجب علينا ان نعزّيك ونكرّم نزلك ونعدُّ
قدومك علينا احسن مقدم وانهُ نعمة انعم علينا المولى بها فنتيقن
اننا نرى انفسنا من اهل السعادة بوجودك معنا ويتكامل
سعدنا اذا اجبناك لتخفيف الامك وبلغناك ما تطلبهُ من الامال

وفي مدة خطابتهِ كان ديوميدس يرمقهُ متعجبًا من فصاحتهِ
ولطفهِ ثم تعانقا كانهما محبان قديمان ودودان وقال يا ابن عولس
انت ابن ابيك حقًا وانك لجديرٌ بان تخلفهُ فقد بان لي في وجهك
ما كنت ادركهُ في وجه ابيك من الطلاقة والبشر ووجدت في
كلامك الحلاوة والطلاوة كما هي صفات ابيك وفيك منهُ
الفصاحة والبلاغة وابتكار الافكار النادرة وترتيبها باحسن
انشاء ثمَّ اقبل فيلوقطاطيس على ديوميدس بن طودس المذكور
وعانقهُ وشرعا يتحدثان فيما جرى لهما في زمانهما القديم ثمَّ قال لهُ
لا شك انك مشتاق الى نسطور وانك تودُّ الاجتماع بهِ لتجديد
الصحبة فهو مسكين قد فقد آخر اولاده ولا حيلة لهُ غير انسكاب
الدمع فاذهب اليهِ لتعزيهُ على مصابهِ فذهب الى خيمة نسطور
فعرفهُ بعد التامل لان الحزن قد اضرَّ بعقلهِ فبكى معهُ ديوميدس
وشاركهُ في احزانهِ ثم شرع في تخفيف همهِ وتسكين حزنهِ تدريجًا
لان اجتماع الاحباب ومحادثتهم في ذكر ما وقع لهم من الوقائع

تنتج بينهم لذة انبساط للنفوس بذكر ما عاينوهُ من المشاق فيتسلون وينسون الاحزان وهكذا كانت حالة هذين الرجلين لان كلاً تسلى بصاحبهِ

وفي مدة هذه المحادثة كان الملوك المجتمعون مع تلماك آخذين بالمذاكرة في انتخاب ملك للدونية طبق المراد فاشار تلماك على المجلس ان يعطى ديوميدس اقليم اربينة على سبيل التمليك وان يقام بولوداماس ملكاً على الدونية لانهُ من ملتهم وكان بولوداماس قائداً كبيراً من روساء الجنود فكان يحقد عليهِ ادرستة ويحسده ولا يحب استخدامهُ في عظائم الامور خشية أن ينسب اليهِ الفخر في الوقائع وكان بولوداماس يخلو بهِ سرًّا ويفيدهُ حقيقة حال المملكة وانها يخشى عليها من خطرٍ عظيم وان ذلك ناشئٌ من افعالهِ وحروبهِ وتعديهِ على الغير ويشير عليهِ بان يسلك طريقة حسنة يتجنب فيها العدوان ويحسن حالهُ مع جيرانهِ ولكن كان ادرستة من الملوك المبغضين كلمة الحق لا يلتفت الى مقالهِ بل يطرحهُ في زوايا الاهمال وكان ينتصر على اعدائهِ بغدره وظلمهِ ولا يتجنب ما يحذرهُ منهُ بولوداماس لانهُ لم يترتب عليهِ خطر البتة وكان يسخر بهِ وبكلامهِ ويعدّ نصيحتهُ من قبيل الفضول فانتهى حال بولوداماس الى العزلة

وعاش عيشة الفقر

فكان بولوداماس اولاً متكارهاً في نفسهِ البعد عن المناصب متضرّراً من غضب الملك عليهِ ولكن فيما بعد شعر بانهُ لا باس بالانزواء والخمول لانهُ عرف بذلك ان الظهور امرهُ هائل وارتهُ التجارب ان المناصب تغرُّ صاحبها وتفضي بهِ الى البلية فبهذا تحقق ان الحكمة والتدبير هما في التجرد عن المناصب وصار مسروراً بعزلتهِ واستحسن ان يعيش بالقناعة وان يثبت نفسهُ على الصدق ويتمسك بمكارم الاخلاق ويجري فضائلها في خاصة نفسهِ وسياستها المنزلية واحبَّ ان يعتزل عن معاشرة الناس فسكن بسفح جبل يقال لهُ جبل غرغان في ثغر خالٍ من الانس وصحبةُ من خدمهِ عبدان فدخل في كوَّة الجبل وجعل مقامهُ فيها وقنع بشرب ماء ينبع هناك وجعل قوتهُ من اثمار الاشجار البرّية واستخدم العبدين في زراعة قطعة ارض هناك وشاركهما في الاشغال فكانت الارض تعطي محصولاً يفي بالخدمة والعمل ولا يحتاج الى شيء آخر في العيشة الهنية وتكاثرت عندهُ الثمار والبقول والازهار وانما كان يتاسف على الامة الدونية ويطلب من الله ان يعامل ادرستة بعدلهِ ويجازيهِ نظير ما صنعهُ في رعاياه فلما بلغهُ انقطاع حبل ادرستة بسيف اعدائهِ لم يظهر عليهِ

الفرح لكونهِ اخبر بهِ قبل وقوعهِ وانما بكى على الامة خوفاً من ان تقع تحت رق العبودية

فهذه كانت مناقب هذا الانسان الذي كان تلماك يلتمس من الجمعية ان تقلدهُ زمام مملكة الدونية وكان تلماك يعرف شجاعتهُ واتصافهُ بالفضائل اذ كان متمسكاً بوصايا منطور ومداوماً البحث عن ارباب المناقب الحسنة كما انهُ كان لا يهمل البحث عن المتصفين بضدها فكان عندهُ علم تام بجميع مشاهير الرجال ممن يحسن الادارة او يسيء التدبير سواء كان من حزبهِ ام من اعدائهِ فلما قرَّر صلاحية بولوداماس للنصب الملوكي وعرضهُ على مجلس المتعاهدين لعلهُ يحوز القبول نفرت نفوس ارباب الجمعية اولاً وتعللوا بانهُ اذا اقيم للامة الدونية ملك يحب الحرب ويحسن ادارة الغزوات يحصل منهُ خطر على الممالك المجاورة وقد تبين ان بولوداماس يحسن تدبير الحروب ولكنهُ يميل بالطبع الى المسالمة ومن المعلوم ان الناس يتطلبون واحداً من شيئين الاول وجود ملك يعرف بالتجربة عواقب الحرب ومصائبها وشدة خطرها فمثل هذا لهُ قدرة على اجتنابها والحذر من وقوعها فهو اولى من انسان اخر لا تجربة لهُ ولا يصرف الى المحظورات تبصرهُ وقد توفرت شروط الاقتدار على منع

الحرب في بولوداماس فانهُ نفر من ادرستة ولم يوافق تعديهُ وتصديهُ للحرب وقد فهم العواقب الوخيمة التي ترتبت على فعل ادرستة قبل وقوعها ولم يدخل في هذا المشروع . الشيء الثاني الذي يبحث عنهُ الناس وجود ملك ضعيف العقل عاجز عن التدبير لا يبصر الامور الاّ ببصر وزيرٍ يتخذهُ ظهيرًا لقبولهِ عندهُ بالميل الى هواه او لتملقهِ ونفاقهِ والسعي في ارضائهِ ولا يخالفهُ خوفًا من سقوطهِ من عينهِ او طمعًا بالعزّ والجاه فهذا الملك المعتمد على مثل هذا الوزير هو اعمى البصيرة فلا يدرك الاشياء ادراك خبير فقد يدخل الحرب قهرًا ولا يكون لهُ فيها ادنى اختيار بل محمول عليها فلا تعرف حقيقة حالهِ ولا يوثق بقولهِ لانهُ غير واثق بنفسهِ ولا متبصر في عاقبة امره فاذا وعد اخلف واذا عاهد نقض فيكلف رعيتهُ ما لا يطاق وينزع منهم المجد والشرف ويحملهم اثقال الظلم فاذن انفع الاشياء واقربها للامن والعدالة ان نكافيء الدونية على ما لهم علينا من الحقوق بان نمنحهم ملكًا فيهِ الاهلية لسياسة مملكتهم فلما برهن تليماك على حسن تولي بولوداماس واقنع ارباب الجمعية بالادلة اجابوا الى ذلك بالاستصواب واستقرّ رايهم ان يرسلوا الى الدونية هذا القرار لينظروا ماذا يقولون وكانوا منتظرين الجواب ومتوقعين قرار

المجلس فلما قرع اسم بولوداماس الاذان وانهُ يملك عليهم اجابوا
بالتشكر قائلين قد فهمنا الان صفاء قلوب الملوك المتعاهدين
وحسن خلوص طويتهم من جهتنا وانهم قد سلكوا معنا سلوك
الصدق والامانة وان مقصدهم دوام السلم والوفاق فانعموا علينا
برجل مستقيم حسن الاخلاق فيهِ اهلية واصلاح يسلك في
تدبيرنا طريق الصلاح فلو عرضوا علينا انتخاب ملك جبان
ضعيف العقل والراي لاعتقدنا ان قصدهم خراب بلادنا
واتلاف حكومتنا فكنا نحقد عليهم حقدًا لا يزول ولكن انتخاب
بولوداماس دلنا على خلوص نيتهم لنا فلا شك انهم قد احسنوا
الظنّ بنا كلّ الاحسان فلا يتوقعون منا الا سلوك العدل
ومكارم الاخلاق فالان نبتهل الى المولى الكريم ان يديم المحبة
بيننا وبينهم ما دامت الايام

ثمّ التمس تلماك من الدونية ان يهبوا ديوميدس ومن
معهُ اقليم اربينة ليسكنوا فيهِ واظهر لهم لياقة ذلك بالبراهين اذ
قال لهم ان امة ديوميدس الذي تنزل في هذا الاقليم يكون لكم
عليها الفضل وهذه الاراضي هي برّية خالية من الاهل لا زراعة
لكم فيها ولا عمارة فلا تنسوا ان الانسان يميل طبعًا الى الموانسة
والمعاشرة ويحب التالف والوداد وان ارض الله واسعة لا يقدر

جميع الناس ان يملاوها وان لا بد للتآنس من جيران وهولاء قد هاجر ملكهم من بلاده فلا يقتدر ان يعود اليها فمن منكم لا تاخذهُ الرافة عليهِ فانهُ اذا انضمَّ الى الملك بولوداماس وعرف كلٌ منهما حقَّ الجوار يرشدانكم الى الصلح التام ويجعلان مملكتكم ذات شوكة وصولة وتكون لكم اليد العليا على من جاوركم فاذا تاملتم يا ايها الدونيون الى حسن ما فعلناه معكم علمتم اننا منحنا بلادكم ملكاً متأهلاً لان يحمي بلادكم ويعلي منار فخاركم فاعطونا ما سالناكم لذاك الملك فليس هو الا ارضاً لا نفع لكم منها وبالتبرُّع بها على هذا الملك تعود منفعتها عليكم وعليهِ

فاجاب الدونيون لا نمنع شيئًا اقتضى اعطاءهُ نظر تلماك فصارت ارض اربينة ملكاً لديوميدس فسلموها اليهِ وذهبوا ليبحثون عن ملكهم الجديد في الصحارى والقفار ليقلدوهُ المنصب الملوكي ففرح الملوك المتعاهدون بذلك لان هذه القبيلة اليونانية تعينهم عند الاقتضاء اذا عادت الامة الدونية الى شنّ الاغارة كما جرى في ايام ادرستة ولا عجب من ذلك . . . ثمَّ بعد هذا شرع الملوك المتعاهدون في الافتراق والعود الى ديارهم فسار تلماك مصحوبًا بجنوده الذين حضروا معهُ من سلانتة بعد توديع ديوميدس الشيخ الجليل ونسطور الحكيم الذي فقد الصبر

والجلد بعد فقدهِ ولدهُ وفيلوقطاطيس المشهور بالفخار الوارث سهام هرقوليس وذهب كلٌّ منهم في طريقهِ

المقالة الثانية والعشرون

ثمّ ان تليماك كان قليل الصبر على فراق منطور فجد السير ليصل اليهِ باقرب وقت ويسير معهُ الى جزيرة طياكي ليطفئ نار التياعهِ برؤية والده لانهُ كان يؤمل انهُ وصل اليها فلما دنا من مدينة سلانتة داخلهُ العجب لانهُ رأى ما حولها من المزارع والارياف مما تركهُ مواتًا صار محروثًا مغروسًا كثير الخلائق فعلم من ذلك ان هذا كلهُ جرى بعناية منطور وحسن تدبيره ولما دخل المدينة وجدان الصناع الذين كانوا يشتغلون بصنائع الزينة والزخرفة فقد قلّ عددهم كما قلت الزينة والزخرفة من البلد فتاثر من ذلك بدون ان يسال عن السبب لانهُ كان يميل طبعًا الى الرونق والبهجة ثم اقبل ليهِ من بعيد ايدومينوس ومنطور فالهاه هذا عن التامل في تلك المسالة وامتلأ فوأده سرورًا ولكن خشي من ان يكون منطور ليس مسرورًا منهُ وان يكن قد انتصر على ادرستة وانهُ ربما يلومهُ على شيءٍ لم يخطر ببالهِ وصار كلما دنا منهُ يتامل في عينيهِ ليفهم ما في

نفسهِ من المدح او القدح فلما تقابلوا جميعًا اقبل ايدومينوس على تلماك وقبلهُ بين عينيهِ وعانقهُ كانهُ ابنهُ ثم اقبل تلماك على منطور ولثم يديهِ واحتضنهُ وبكى حتى بلهُ بدموعهِ فقال لهُ منطور اني راضٍ عنك كلَّ الرضى وان تكن قد صنعت خللاً عظيماً واخطأت خطأً كبيرًا ولكن قد انتفعت بخطائك لانهُ الهمك الصواب وعلمك ان لا تثق بنفسك فقد ينتفع الانسان بثمرات الهفوات اكثر من انتفاعهِ بحميد الافعال لان فعل الافعال الحميدة ربما ادخل في النفس الكبر والدعوى الطويلة العريضة واما الخطأ الواقع من الانسان فقد يعترف بهِ ويرجع على نفسهِ بالملامة ويسد خللهُ ويصلح ما افسدهُ بتدبيره فليس عليك الا ان تحمد مولاك على ما الهمك من الصواب واياك ترضى ان يمدحك الخلق على ما فعلت من الصالحات نعم انك انت الفاعل في الظاهر لهذه الافعال الحسنة ولكن في باطن الامر لست الا مسخرًا الان تكون على يدك لان الفاعل الحقيقي هو المولى القدير فاسال نفسك هل احسست بان مثل هذا الفعل العجيب يصدر عنها بالسرعة اما شعرت عند الشروع في هذه الافعال ان الحكمة الالهية اودعت فيك سرَّ القدرة على الفعل ففعلت ما فعلتهُ مما هو فوق طاقتك وقد رزقك الحكيم الخبير التوفيق للصواب

فحينما كان منطور يخاطب تلماك بما تقدم كان ايدومينوس
يستفهم من الكريديين القادمين مع هذا الشاب عن حال الغزوة
فاغتنم تلماك الفرصة وسال استاذهُ عما حصل في المدينة من
التغيير والتبديل لانهُ كان ينظر الى جميع جهات المدينة نظر
المتعجب وقال لا افهم لهذا التغيير سبباً الا ان تكون يد الدهر
قد جارت عليها ومحت ما كنت اعهدهُ من البهجة والزينة في
المساكن والملابس . فتبسم منطور من قولهِ واجابهُ هل نظرت
يا تلماك عمران الخلاء والريف حول المدينة فقال نعم رايت
الحرث والغرس في جميع المحال وعمارة الارض بالزرع على احسن
حال فقال منطور ايّ احسن المدينة المحتفة بانواع الزينة من
النقدين وحولها اراضٍ خربة مهملة عديمة المحصول ام الاراضي
والارياف المزروعة الكثيرة الخير والبركة المشتملة
على مدينة متوسطة الحال معتدلة المساكن مستقيمة اخلاق
اهلها تقدم فيها الادب والتربية والمآثر الحميدة وتزينت بمكارم
الاخلاق والصنائع المفيدة فلا بدَّ انك تقول انها انفع من الاولى
أوَ ليس ان المدينة العظيمة اذا كثر اهلها وكانوا ارباب صنائع
مستظرفة يحسنون التمويه والنقش بانواع الزينة يشتغلون بهدم
الاخلاق الحميدة وافساد مكارم الاخلاق واما ما حولها فيكون

اهلهُ فقراءُ الحال ارباب ذلّ ومسكنة فلا يحسنون خدمة الاراضي فالمملكة التي تكون هذه صفتها تشبه مدينتها الحسنة واريافها القبيحة المنظر انسانًا قبيح الخلقة مسخوط الجثة راسهُ عظيمٌ جدًّا بالغ الحد في الغلظ والسمن وبنية جسده نحيفة غثة فلا تناسب بين الراس والجسد

فان شوكة المملكة وثروتها بكثرة اهلها وغزارة غذائها لكثرة خصب الارض بالغرس والزرع والنماء في الماشية فالان قد صار عند ايدومينوس رعية لاتحصى يحسنون حراثة الارض وخدمتها فتخرج محصولات تفي بحاجة البلاد فبلادهُ الآن معمورة ومملكتهُ كمدينة واحدة فاخرة وانما مدينة سلانتة هي المركز الاعظم فتخت الملك مدينة في الظاهر والخارج والمدينة الحقيقية هي المملكة بتمامها لتساوي اجزائها في العمران وطريقة ما صنعناهُ لعمرانها اننا نقلنا ما يستغنى عنهُ من المدينة ممن كانوا آلات معدة لاظهار البهجة والزينة الى الضواحي والارياف ليتفع بكلٍّ منهم في الزراعة وتجرد المدينة من الزوائد ممن يزحمها من ارباب هذه الصناعة وقد استعنا على عمرانها بجلب اناس من القبائل الاجنبية واستملناهم بالتشويق والتاليف وجذبناهم بالراحة والطانينة ورفعنا عنهم ما لا يطاق من التكليف فبهذا كثر

محصول الارض وحسنت الزراعة في اقرب وقت فهذه الزيادة الناتجة عن الرفق والعدالة وسّعت دائرة مملكة ايدومينوس وصيرتها معمورة اكثر مما يحصل من توسيع الحدود بالحروب والفتوحات ولم يهمل من الصنائع الا التي نفعها قليل بل تلهي الفقراء ان يلتفتوا الى حراثة الارض لينجحوا فانهم مع هذه الصنائع قل ان يحصلوا على القوت الضروري وكذلك هذه الصنائع اذا تغافلت عنها الحكومة تفسد الاغنياء الاغبياء بالزخارف والزينات وايضاً لم نفعل ما يخل بميزان الصنائع النافعة المقبولة ولا اجحفنا باصحاب العقول المشتغلين بها فبهذا يا تليماك تجد ان ايدومينوس قد صار الان قوي الحكومة شديد الباس زيادة عما كان عليه قبلاً . فقد شاهدتهُ الان على حالة حقيقية صادقة فليس هو الان كما كنت تمدحهُ قبلاً بمناظر العزّ والابّهة والتفاخر بالزينة فهو الان حريٌّ بالمدح لسلوكهِ سبيل الفخر الحقيقي . فكانت بهجة الزهو والزخرفة ساترة عجزه وفقره وكانت المملكة صورية لا حقيقية فانقلبت الان حتى صارت عكس الاول وتمسك الملك باسباب العمران فكثرت الاهالي وازدادت الجنود حتى صارت المملكة تقتدر في جميع اوقاتها على القيام باحتياجات الجنود بدون مشقة ولا تعب وتعود اهلها على الكدّ والاجتهاد وعلى

احتقار الزينة وانكبوا على التمسك بالاصول المستقيمة ورفضوا الكسل وصار لهم قدرة على الغزو والمدافعة عن اوطانهم وقريبًا تصير هذه المملكة عروس ممالك ايطاليا بعد ان كان يظنُّ فيها انها مشرفة على الهلاك

ولا تنسَ يا تليماك انهُ في معاملة الرعايا بالاحكام وتصرف الولاة عليهم والحكام لا يخلو الحال من وجود امرين مضرين أحدهما الشوكة الظالمة والثاني الزينة والزخرفة مما عمت بهِ البلوى وهو سبب افساد اخلاق الملوك والرعايا وآفة مسلطة على الجميع

اما تعلم ان الملوك اذا اعتادوا ان يجروا الاحكام حسب ارادتهم السنية وفعلوا ما تسوّلهُ لهم انفسهم وتجاوزوا الحدود في الشرائع والقوانين تنهدم شوكتهم وتفقد سطوتهم وتميل اعوانهم الى الموالسة والنفاق ويجعلون رعاياهم عبيدًا اذلاء يتناقصون على تداول الايام فقد كان ايدومينوس فاسد القلب لان احكامهُ كانت مبنية على النفاق فكان حكمهُ قد تلاشى وكاد يسقط عن سرير ملكهِ ولم يكن من ينصح لهُ ويعرفهُ حقيقة حالهِ واساءة تدبيره فمن سعده سخرنا الاله لتقويم عزه ومجده بمنعهِ من تجاوز الحدود في الاحكام وندربيهِ في سلوك طريق الاصلاح فهذا

ايضاح ما يخص الضرر الاول وهو مجاوزة الحدود التي ابطلناها هنا

واما الضرر الثاني وهو الزينة والزخرفة والتعوّد على الملاهي في اجراء المملكة فهو داء من قبيل العضال فكما ان اتساع دائرة التصرّف في الملوك سمٌّ قاتل كذلك وصف الزينة اللازمة بتمامها سمٌّ مهلك فان قيل كيف ذلك ومن فوائد الزينة عيشةُ الفقراء الصناع من مال الاغنياء قلنا هل انحصرت عيشة الفقراء في هذه الصناعة أَفما يمكنهم التعيش بطريقة نافعة كخدمة الارض والتعوّد على الزراعة بدون ان يكونوا سببًا في ارتخاء الاغنياء بتلطيف امتعة اللذات واثارة الشهوات وضياع الاموال في امور تافهة فانهُ ما دامت الزينة في المملكة لا بد ان يعتاد اهلها على اعتقاد ان ذلك من لوازم المعيشة اعتقادًا يفضي بهم الى المهالك لانهُ كلما تجددت اشياء مبتدعة وظهرت اصناف زائدة عن الحاجة مخترعة عدت من اللوازم المستحدثة الجديدة واضيفت الى ما هو موجود من الزوائد فيصير الجميع مجبورين على عدم الاستغناء عن الاشياء التي كانوا لا يعرفون اسمها وربما قالوا انها زيُّ اليوم وشكل الوقت الحاضر وهو في الحقيقة عيب من عيوب الايام ظاهر في منظر المحاسن لعمي البصائر وهو داءٌ وبائيٌّ

يسري من الملوك الى الروساء والامراء ومنهم الى الرعايا والرعاع والفقراء فان الملك متى لبس ملابس الزينة وزخرف قصره اقتدى بهِ اقاربهُ واتخاذ المملكة ووجوه الناس وبهولاء الاصاغر فكل انسان من ارباب هذه الرتب المختلفة يحمل نفسهُ فوق طاقتها من التبرج بالزينة والسعي في تميم ادوات التحسين والزخرفة والبعض بخجل من فقد ذلك عنده فيعاني ما يعاني لتحصيلهِ حتى لا يخجل من تجرده عن هذه النخوة ويريد ستر الفقر والمسكنة بالزخرفة والزينة حتى ان العقلاء العارفين بان الزينة من باب الخلل ويذمونها لا يقدرون على ابطالها حتى يقتدي بهم غيرهم بل لا يزال عندهم النوع الجديد والمتجدد في المآكل والملبس والمسكن وهذا عين الاسراف الذي يفضي باهل المملكة الى الفقر وايضاً بهذا الزيّ تختلط درجاتهم ومراتبهم ولا يتميز السادة من غيرهم ولا الفقراء والمساكين من ارباب الثروة والسعادة وكذلك الزينة تفسد النفوس الزكية اذ لا بحث لرب الزينة الّا ان يتظاهر بزيّ الاغنياء ليكون لهُ قدر وقدرٌ لا سيما ان صفة الفقر معدودة من الذل والعار لا يمحوها الا الزينة اذ لا تدركها الابصار فالانسان المجرّد عن الزينة يكون محتقراً بين الناس فبناء على ذلك يكون من لا ثروة عندهُ مجبوراً على

التجمل والزينة فيقترض من غيره ويضرّ نفسهُ بالسلف ليتوصل
الى جمع اموال تضيعها في الزينة يد الضياع فالزينة داءٌ تمكن
من جميع الناس بغير احتياج ولا دواء لشفائهِ الاان يتغير
ذوق الجميع بوضع قوانين جديدة ومن الذي يتصدى لهذا
الامر الاان يكون ملكاً صاحب همة اواميراً اوسلطاناً ربّ
عقل وحكمة متصفاً بالزهد والقناعة مدبراً مصالح الجمهور احسن
تدبير يجري ذلك اولاً في منزلهِ وخاصّة نفسهِ لتقتدي بهِ الرعية
ويعيشوا عيشة الفضلاء بالزهد والقناعة فكأنّ تليماك حين
سماعهِ هذا الكلام استيقظ . وادرك صحة هذا المقال فانتعشت
روحهُ ولم يتكلم بشيءٍ بل صار يتفكر ربما اوتيهِ مرشده من الحكمة
ويردد نظره فيما شاهده من التغييرات البسيطة النافعة التي هي
من اعظم المحسنات فقال لمنطور بعد ذلك

قد ادبت أيدومينوس وهذّبت اخلاقهُ وجعلتهُ اعقل
الملوك واكملهم تدبيراً وصدقاً حتى صرت لا اعرفهُ بهذه الاوصاف
وكذلك استحسنت حال رعيتهِ فانهُ الان معترف بان ما فعلتهُ
في هذه المدينة اقوى وانفع مما فعلناه من النصر والفتوح لان فخر
الانتصار بين الامراء والجنود واما تدبيرك فهو خاص بك صادرٌ
عن زكاء عقلك وقوة جاشك حتى غلبت هذا الملك وتلك الرعية

واصلحت حالهم وهذبت اخلاقهم وايضاً نجاح الحرب بسفك الدماء والمهلكات واما اصلاح المملكة فهو صنع العقل الرحماني مصحوب بالرفق واللين

فحصل لمنطور غاية السرور اذ راى تواضع تلميذه وان نصرهُ لم يورثهُ غروراً بل زادهُ كمالاً ثم قال لتليماك نعم ان ما تشاهدهُ هنا الان حسن وممدوح ولكن اقول لك ان هذا الامر قابل للتحسين والاكمال اكثر الاَّ ان ايدومينوس ولو قدر ان يغلب نفسهُ وهواه وان يسلك مسلك العدل في حكمهِ لا زال يرتكب خللاً خفيفاً ناشئاً عن الخلق القديم فهذا مانع كمال التحسين لان الانسان متى شرع في اجتناب السوء يتراءى لهُ ان السوء لا زال يتبعهُ زمناً طويلاً لان تارك السوء يبقى عنده ما تمكن منهُ من العوائد الرديئة لضعف طبيعتهِ فما اسعد من كان طالعهُ مقروناً بالرشد من اول امره فانهُ يقتدر على فعل الخير على وجه اكمل ويسلك سبيل العدل احسن مسلك فانت يا تليماك قد فضَّلك مولاك على ايدومينوس من بدء نشاتك لانهُ تولاك بالعصمة فقد استهللت بمعرفة الحق ولازمت الصدق من شبيبتك ولم تغرَّك الرفاهية والزخرفة ولا شانتك الزينة واما هذا الملك فقد غرتهُ اللذات والشهوات من صباهُ ومن شبَّ

على خلق شاب عليهِ

نعم ان هذا الملك عاقل صاحب معرفة ولكن فيهِ مزية تخل بالمناصب الملوكية وهي انهُ يشغل نفسهُ كثيراً بجزئيات المصالح ومفرداتها ولا يتفكر في كلياتها ومجملاتها بان يستحضرها بقانون عام ولا يفرغها بقالب الانتظام ومن المعلوم ان حذاقة الملك عبارة عن كونهِ ينظر الى كليات المصالح دون جزئياتها ومن الضلال البيّن ان يعتقد الانسان انهُ يقتدر ان يقف وحدهُ على كليات الامور وجزئياتها فكانهُ يريد ان يري العموم انهُ قادر على فعل كل شيء في ادارة الملك فمن خواص الملك الذي يحسن السياسة ان ينتخب الروساء العظام للمصالح الجسيمة وان يدبر اشغالهم ويجري اعمالهم على صورة ادارة حسنة فلا يجب عليهِ ان يشتغل بطفيف الامور لان هذه وظيفة الروساء وانما يطلب منهم صورة ما فعلوه ليطّلع عليهِ ان كان يوافق الاصول والقوانين ام لا ومن واجباتهِ ايضاً ان يكون كفوءاً لمناظرة الامور والوكلاء وهذا اجمل وانفع من البحث عن المفردات بنفسهِ واجراء الكليات بلا تفكر لان افضل الملوك الذي يحكم من هم تحت يده من ارباب السياسة ويلاحظ اعمالهم واطوارهم حق الملاحظة ويجعلهم خاضعين لمعارفهِ وآرائهِ الحقيقية ليقتدوا بهِ

واما تصديهُ لمفردات المصالح الجزئية فهو دليل على عدم ثقتهِ بروسائهِ كما هو دليل على دناءة الهمة والتعلق بمحتقرات الامور التي لا تليق باولياء النعمة ولا ينظر الاَّ الى الحالة الحاضرة صارفًا النظر عن المستقبل والانسان لا يحكم في الاشياء حكماً حقيقيًا الاَّ اذا تصوَّرهُ قبل التصديق وركَّبهُ على مقدمات واشكال منتجة نتائج صحيحة فاذا اختلت هذه القاعدة صارت الحكومة اشبه شيء بالموسيقى المفرَّقة الاصوات فانها لا ينتج عنها لحن لطيف مطرب فمن هنا تيقنا ان وظيفة الملك الكبير ان يتفكر في مهمات الامور وكليات السياسة والاَّ يتصدى الى المقاصد الجسيمة وان يحسن انتخاب من ينجز مقاصده من ارباب الفطنة ممن لهُ قدر وقيمة ينفذ ذلك تحت رياسة هذا الملك الذي يعمل النظر في عظائم الامور

فاجابهُ تلماك بقولهِ يظهر لي اني قد فهمت كلامك وادركت معانيهُ ولكن ما دام الملك لا يدخل في مفصلات الامور ولا يقف على جزئياتها فاظن انهُ لا يزال يدخل عليهِ تحيلات وغش من ارباب الخسة اذ لا يباشر بنفسهِ المفردات ولا يمعن النظر في الفروع الجزئية . فاجابهُ منطور بقولهِ قد داخل فكرك في فهم ذلك التباس اما تعلم ان اتقان الامور بقانون كلي واحسان

ادارة الحكومة يمنع عن الملك دخول الغش والتحيل في اجراء الاصول

ثمَّ انتهت المحاورة في هذه المصالح فقال منطور لتلماك يا ايها الشاب الذي احبهُ مولاه فلا شك انهُ يمنحك مملكة حكومتها عادلة وقوانينها فاضلة كاملة فكل ما تشاهدهُ هنا من المحاسن والمعالي قد سخره لك المولى لتستفيد منهُ التعليم والترتيب والتهذيب ووجود ذلك امامك في مدينة ايدومينوس هو صورة ومنظر من المناظر الحكمية منحها المولى لهذا الملك على ايدينا لتراها وتعزَّ بها فابشر فان جميع هذه الابنية العامرة والمنافع الحلوية الزاهرة الزاهية في مدينة سلانتة هي صورة لما ستفعلهُ من الامور المحققة المفيدة وستبرز على يدك الى صورة الوجود ذات يوم في جزيرتك لانك موعود بذلك ولا بد ان تجري في مملكة ابائك قوانين امرك ونهيك وعدلك وانصافك بشرط ان تستمر على التجمل بحلل الفضائل فقد اعدك المولى عزَّ وجل لمعالي الأمور فقم بنا للرحيل فقد جهز لنا هذا الملك سفينة للعود الى الاوطان وقد حان الاجتماع بالاهل والخلان

فلما سمع تلماك كلمة الرحيل أفشى لمؤدبهِ اسرارهُ المكتومة واعلن تعلقهُ بمدينة سلانتة لامور كانت مجهولة واظهر ان هناك

شيئاً يجعلهُ ان يتاسف على فراق هذه المدينة اذ قال لهُ ايها
المرشد عساك ان لا تلومني قبل امعان النظر على ميلي الى
الاقامة في الاماكن التي كنا نمر عليها والوقوف في اثناء الطريق
وتعشقي بها أما كنت اعشقهُ من ربات الجمال فبهذا كنت افعل
الواجب عليَّ من الكتمان وان لا ابوح باسم من احبهُ ولكن
اذا كتمت عنك حب انطيوبة بنت ايدومينوس لا يطاوعني
قلبي الذي تعلق بها ولا ترضى نفسي اخفاء عشقها لانها لا تميل
الى غيرها وارى الكتمان عنك من اكبر الاثام لاسيما ان حبي
لهذه الاميرة ليس حباً شهوانياً ولا يشبه تعشقي في جزيرة كاليبسة
الذي كان داء عزيز الدواء وقد عالجتهُ بطبك حتى زال الم
الوجد والنوى وقد علمت قوة جرح العشق بقلبي من ولوعي
باوخاريس والحمد لله قد شفي واذا ذكرتها وتذكرت ما سبق
لي يقفُّ شعر راسي واتندم على ما مضى وانما اقول ذاك شيء
مضى فالتجربة علمتني ان لا آمن على نفسي ولا أتشبث بمثل ذلك
العشق الذي يفضي الى الندامة واما عشق انطيوبة وما احسهُ
من الوجد والغرام فلا يشبه ما سبق وانما هو عبارة عن محبة
لمحاسن الذات وميل الى صفات هذه المحبوبة الجميلة الاخلاق
الكاملة اوصاف الحسن فالتعلق بها اشعار روحاني بان الحصول

عليها بالروابط الصحيحة يطفىء نار الالتياع فاذا اراد الباري
تبارك وتعالى ان يجمعني بوالدي واذن لي بالزواج فلا ابغي
بها بديلاً ولا ارضى عروساً سواها وما تخيرتها دون غيرها من
بديعات الجمال الا لما اختصت بهِ من جميل الخصال وما حازتهُ
من جليل الشمائل كالصمت والتواضع والعزلة عن غيرها
والاحتشام وكثرة مواظبتها على الاشغال اللائقة للنسوة مثل
صناعة المشغولات من الاصواف والحرير والتطريز دائماً وحسن
ادارة منزل ابيها وحفظ المنزل بجميع ما فيهِ مع التدقيق والمداومة
على القيام بالواجبات المنزلية من حين وفاة امها واحتقارها
التبرّج بالزينة والازدراء بالتحلي بالحلية وعدم التفاتهـا الى ما
فيها من الحسن والجمال وترك الخفر والدلال فكانها تجهل
كونها بديعة الجمال ولم يخطر ببالها افراط حسنها وظرافة شكلها
فاذا اذن لها ابوها بالرقص مع العذارى الاتراب الحسان على
عادة الابكار ترقص معهن كانها الزهرة حولها الكواكب الزواهر
واذا ذهبت مع ابيها الى الصيد والقنص اكتست ثوب الهيبة
والوقار ولبست دلاص الشجاعة واذا زارت معبداً قلت هي
من العابدات الصالحات واذا رايتها مع صويحباتها و بيدها ابرة
التطريز تراها تحثهنّ على الشغل وتحذرهن من ضياع الزمان

واذا ضجرن سلتهن بالغناء المطرب بما يشرح الصدر وينعش الكسلان وما احلى صوتها اللذيذ ونغمها الحسن الايقاع وهي تطرز بانامها العندمية وما اسعد الانسان الذي يكون لها بعلاً فانهُ يعيش معها مدى الايام في ظلال النعيم .

فيامربي الجسم والروح ومغذي النفس بالحكمة اشهدك على ما اشهد المولى بهِ عزّ وجلّ انني متجهّز للرحيل وانا محب لتلك المحبوبة وضنين بهجرها ولكن لا أؤجل السفر من اجلها ولا دقيقة بل ارتحل الى جزيرتي وارجوان يكون الى وصالها بالعقد عليها سبيل واما اذا التمسها غيري يكون ما اعيشهُ من الاعوام من جملة الهموم فانا الان راحلٌ واعلم ان رحيلي يخرجها من يدي الى الابد وانهُ لا بد ان يتمتع بها غيري ولا ارضى ان ابثّ اليها عشقي ولا ان اذكر لابيها قصدي وانما اطلعتك على سرّي فقط وان بقيت بلا زواج الى ان يظهر ابي اطلعتهُ على هذا السر لعلهُ يرضى بعقدي عليها فبهذا تعلم ان عشقي لهذه الاميرة عشق حلال وشتان بينهُ وبين ما مضى من عشق اوخاريس فهذا لا لوم فيهِ ولا عتاب

فقال لهُ منطور نعم ان الفرق بينهما ظاهر وان عشق انطيوبة منتظم في سلك المباح لانها صبيحة الوجه مليحة الاخلاق

عاقلة مدبرة لاتحتقر يدها الاشغال متبصرة في العواقب سديدة الرأي اعمالها متوالية بالتأني واوقاتها مرتبة واحبُّ الاشياء اليها تدبير منزل ابيها فكانهُ هو الحلية والزينة التي ترشح حسنها وجمالها تباشر كل شيء بنفسها وتسلك سبيل الصدق وعليها مدار الترتيب والتدريب في الاقتصاد والتوفير والتوسط في الامور ومع ان هذا يجعل النساء غالبًا مكروهات عند الخدم والحاشية فهي محبوبة عند الجميع بكونها مواسية متلطفة لانها مجرَّدة عن هوى النفس والعناد والطيش والغضب مما هو موجود في النساء ومن صفاتها انها تفيد قصدها لخدمها بالايماء والاشارة فكلٌّ يخشى ان يفعل ما تكرههُ نفسها اذ هي ربّة الامر واذا امرت بشيء اوضحتهُ نصًا ولا تكلف الخادم ما لا يطاق واذا لامت صاحب الهفوة اصحبت الملامة بالرفق واللين واتبعت الترهيب بالترغيب في حقّ الخادم الامين فوالدها دائمًا مطمئنُّ البال لانهُ احال عليها ادارة المنزل وتفرغ لادارة الجمهور فالحقُّ معك ايها التلميذ فانها جوهرة نفيسة ومن العجب ان جوهر عقلها كجوهر بدنها ومع انها قوية الادراك وقّادة الفكرة قد خصّت بعدم التفكر الا في معالي الامور فلا يخطر ببالها تصور الامور الفاسدة ولا لها دخل في الفضول لا تتكلم الاَّ لحاجة ضرورية ولا تنطق

الاَّ بالحق باحسن لفظ يؤدي المعنى فهي دائمًا متلطفة بالخطاب ناطقة بالصواب

فهل تذكر يا تلماك حين دعاها ابوها ذات يوم واحضرها امامنا فجاءت غضيضة الطرف ملثمة وجلست بين ايدينا ولم تفه بكلمة الاَّ حين غضب ابوها على عبده وشتمهُ واراد ان يوجعهُ ضربًا فاسكنت غضبهُ حتى عفا عن عبده وذلك انها صدقت على قول ابيها اول الامر حتى تسكن حدة الغضب واظهرت انها تعتقد ان العبد مذنب ثم طلبت لهُ الصفح واعتذرت عنهُ وبلغت القصد ولم تظهر لابيها انهُ تعدى على عبده بل جعلتهُ بالحلم يعود الى صوابهِ فحبك اياها يا تلماك لا لوم فيهِ فبمنهِ تعالى تكون من نصيبك عن قريب اذ انت مولع بها فالامل ان يزوجها لك والدك عند الاجتماع والحقّ معك في كتمان حبها فهذا مما تمدح بهِ فلو عرضت لها ذلك واظهرت عشقك لكنت تسقط من عينيها لانها لا تقبل خطبة نفسها بنفسها بل مفوضة امرها الى ابيها ولكن لا ترضى ان يزوجها الا بمن عندهُ تقوى الله والتخلق بمكارم الاخلاق وقد لمحنا منها انها من حين رجوعك من الحرب اذا قابلتك خجلت اكثر من السابق لما حزتهُ من الشهرة لانها عرفت جميع ما وقع منك من غرائب الحروب

وانتصارك على الاعداء وهي لا تجهل ايضاً نسبك الرفيع ولا ما وقع لك من الاخطار التي يزداد بها المرء شرفاً ولا ما منحهُ لك المولى من حسن الشمائل فالان ينبغي ان نستعد للرحيل لنصل الى طيا كي باقرب وقت فلم يبقَ عليَّ الاَّ ان اجمعك بابيك واتوسط لك بزواج هذه الحسناء لكي تهنأ معها في ايام سعدك واقبالك

المقالة الثالثة والعشرون

وكان ايدومينوس يخشى ارتحال الضيفين فلذا كان يبدي ما يعوقهما عن السفر فمن ذلك ما قالهُ لمنطور يا ايها الحكيم ارجوك حلّ قضية قد احيل اليَّ حلُّها ولا تحلّ الاَّ بمعرفتك وهي انهُ وقع اختلاف وحصل جدال وخصام بين كاهن المشتري وكاهن الشمس في شأن زجر الطيور والعيافة والتيمن او التشاؤم باحشاء الطيور المذبوحة نذراً

فقال لهُ منطور لا معنى لتداخلك في القضايا الدينية لان فصل خصومتها وحلّ مشكلها يناط بالامة الاظرورية فان عندهم في شانها اخباراً قديمة وروايات عن اسلافهم فهم ارباب الخبرة بما يتعلق بالكهانة واحكام النجوم واستخراج المغيبات وانما عليك

ايضاً ان تنفذ الحكم الذي يقضي بهِ ارباب المعرفة ويجبر من
يتوقف منهم على الطاعة واعلم ايها الملك ان من كان مثلك
ربَّ السطوة عليهِ ان يمتثل احكام ملتهِ وان يكون حامي الشريعة
ولا يتداخل في ترتيبها لان هذا مختص بامناء الدين فدع ايها
الملك قضايا الدين لامناء الدين فهي عندهم وديعة وامانة
لتكون الشرائع محفوظة في بلادك ولا تتشبث الا بتاديب من لا
يمتثل المجمل عليهِ من الاحكام والمخالف لراي مذهبهِ الذي صار
عليهِ القرار

فلما فرغ منطور من وصيتهِ للملك فيما يتعلق بالعقائد الدينية
قال لهُ الملك انني في حيرة من تراكم قضايا جزئية تخص الافراد
فشاركني في النظر فيها فقال لهُ منطور احكم بنفسك في وقائع
الاحوال طبق القانون العام ليصير حكمك قانوناً عاماً يقاس
عليهِ و يتجدد عندك ضوابط كلية تكون دستوراً للاعمال وذلك
اما باجتهادك او بالحمل والقياس على حكم محقق ولكن لا تتشبث
بالحكم في الوقائع الجزئية ولا تفصل المنازعات الواقعة بين الافراد
فانهُ يزدحم على ابوابك الخاصة والعامة ويثقلون عليك حتى
تصير قاضياً عمومياً للجميع ويكون توظيف من هم تحت يدك
من الحكام والقضاة الافاضل بلا فائده فاحذر ايها الملك ان

ترتكب هذا الامر الذي يفتح عليك ابواب الازدحام ويسدّ ابواب المنافع بل اترك الحكم في الجزئيات على المتوظفين وباشر الاحكام الكلية

قال الملك ايها الحكيم ان بعض الشبان الذي صحبوني في الحروب التمسوا مني المكافأة بتزويجهم من بنات الاغنياء واحبّ ان اكافئهم بذلك ولا كلفة عليّ بهذا الا اصدار الامر بزواج فلانة بفلان فالامر يتم حالاً

فقال منطور نعم لا قيمة لمثل هذا الزواج الا كلمة من مولانا الملك لكن هذه الكلمة ثقيلة في ميزان الزواج يترتب عليها ما يترتب من المفاسد فكيف لا وقد سلبت حقوق الاباء والامهات ولم تدعهم ان يتخيروا لبنيهم وبناتهم من يوافق المصاهرة فهذا الانعام عين السلب لانك قد ادخلت ابناء وبنات الرعية بهذه المصاهرة تحت رقّ العبودية فجميع ما يقع في العائلات من الخلل تكون انت السبب فيه الا تعلم ان امر الزواج في ذاته خطير فكيف اذا كان بالاجبار والاكراه فمكافاة المستخدمين الصادقين تكون بالانعام عليهم باعطاء اراضٍ ليحيوها او رتب عالية واذا اقتضى الحال الى بعض مواساة مالية فليعطوا من الاموال الزائدة فالمكافأة ليست الا دينًا في ذمة الملك

فوفاؤه بالانعام ببنات الاغنياء بلا رضى اوليائهن ليس فيه لياقة . . ثم انتقل الملك من سوال الى اخر ليتعرّف من منطور الحكم القانوني فقال ان حكومة السيبيريطة تدعي علينا اننا اغتصبنا ارضها واعطيناها للغرباء في حكومتنا واجناها لم يجيوها فاذا اجبنا سوالها تجاسرت بقية الامم على الادعاء بمثل ذلك وتواترت المرافعات وظن كلّ ان يعطي مدعاه بمجرّد شكواه

فقال منطور لا يصح ان يحكم للسبيريطيين بمجرد دعواهم كما لا يصح ان يقال بمجرّد سماع قولك انك محق وهم مبطلون فقال ومن هو صاحب الحقّ فقال منطور لا يصح الاخذ بكلام احد الخصمين وانما في مثل هذا المعنى يوءخذ بقول اهل الخبرة فينبغي تحكيم امة مجاورة لكاخلية الاغراض كالامة الاسبونطية التي لا تفضل جاراً على جار فقال ايدومينوس كيف اكون مجبوراً على الاخذ بقول بعض الامم وانا ملك مستقل . فقال منطور اذا اردت ان تجحد ما لهم من الحقوق في هذه الاراضي ولا تسلم لهم بشيء فكانك تزعم انك انت الصادق وكانك قد حكمت لنفسك وقضيت ان الحقّ معك وانهم لا حق لهم في دعواهم وكذلك هذه الامة لا ترضى ابداً بترك شيء من املاكها

لاعتمادها ان حقها ثابت لها واغتصابك لا يزيل حق تملكها فقد اختلفت الاراء وتناقضت الاقوال فلا بد من وجود احد شيئين لفصل هذه القضية اما تحكيم امة مجاورة برضى المدعي والمدعى عليه تصلح بينهما بما تراهُ موافقًا للاحكام او الفصل بالحرب والنزال وليس طريق ثالث لمثل ذلك الا ترى انك لو دخلت في مملكة من الممالك الاجنبية ووجدتها جمهورًا خاليًا عن القضاة والحكام قبائلها متفرقة كلُّ عشيرة تاخذ ما تدعيهِ من الاخرى بطريق القهر لرثيت لحالة هذه المملكة اذ لا عدل فيها ولا احكام شرعية بل كل قبيلة تاخذ حقوقها بالسلاح وكل عشيرة تنتصف لنفسها من غيرها بالقتال فلا تعتقد ان هذا الامر لا يسخط المولى فاذا كانت الدنيا بتمامها التي هي عبارة عن جمهور واحد يوجد بين اجزائها عدم الارتباط وكل امة تاخذ حقها بيدها ممن جاورها معتقدة ان الحق لها يكون هذا امرٌ عجيب وحالهُ غريب اما تعلم ان الانسان الذي يرث ارضًا عن ابيهِ وهي في حوزة يده لا يمكّنهُ منها المفتي الفقيه الا بحكم شرعيّ يقول فيهِ حكمت لهُ بالملكية وصححت لهُ الانتقال بالارث بنص الشريعة ومنعت عن التعرُّض لهُ كلَّ معارض والحاكم السياسي يقتصُّ لهُ من المتعدي ومع ذلك فواضع اليد صاحب الحق الصحيح لا يمنع الغاصب بقولهِ

وليس لهُ الحق في دفعهِ الا بواسطة الحكومة فالحكومة هي التي ترفع يد الغاصب وطالب الحق لا يدفع عن نفسهِ بنفسهِ ولو كانت قوتهُ متينة وحقوقهُ صائبة . فلما سمع ذلك ايدومينوس اتعظ واستيقظ الى توسيط بعض الملوك في الصلح

ثم لما راى الملك انهُ لا يمكن حجز منطور وتلماك في مدينتهِ وانهُ لا بد من ارتحالهما قريبًا وان الوسائط التي استعملها للحمل على الاقامة لا تجدي نفعًا شرع في مشروع اخر توسم فيهِ النجاح وذلك انهُ كان قد لمح ان تلماك يميل الى ابنتهِ انطيوبة البديعة فظن انهُ يصيدهُ بها فجعل يامرها بالاغاني في الولائم وهي تمتثل اوامرهُ ولكن كانت تبذل جهدها في اظهار الحشمة فتغني بادب ولا تظهر انها فرحة بذلك بل محض امتثال لاوامر ابيها ولا زال ابوها يحثها ان تغني بحروب الدونية والنصرة على ادرستة ولكن لم تذكر ما يخص تلماك ولا يستطيع ابوها ان يكلفها بذلك لانهُ يخل بمقام الادب فكانت انغامها الحسنة وصوتها المطرب تؤثر في قلب ابن عولس وكان الملك دائمًا يحدّق اليهِ بالنظر فيعهد من تلماك الانشراح فيسرّ بذلك وكان لا يخفى على تلماك ما في نفس الملك فاستحسن منهُ ذلك ولكن كان عقلهُ غالبًا على هواه وقد ادّبهُ ما حصل لهُ في جزيرة كاليبسة فكان مدة غنائه

انطيوبة ساكتًا متفرغًا لادراك النغمات ومتى فرغت بادر الى المحادثة بقصة اجنبية بمعزل عن الاغاني

فلما وجد الملك ان هذه الطريقة لم تجذب قلب هذا الشاب عزم على الذهاب الى الصيد والقنص لنزهة ابنتهِ لكنها لم تستحسن ذلك وانما انفاذًا لامر ابيهــا ذهبت راكبة فرسًا جموحًا وتبعها البعض من الكواعب الاتراب راكباتٍ متون الجياد فكانت بينهنَّ تتلألأ كالبدر ليلة التمام فلما رآها تليماك على هذا الحال الجميل زاد تعجبهُ من ادبها وحشمتها وكانت كلاب الصيد وراءها فزاولت هذه الكلاب خنزيرًا بريًّا عظيم الجثة ذا منظر هائل كان الصيادون قد عجزوا عن صيده خوفًا من سطوتهِ فعدَت انطيوبة خلفهُ أسرع من مرّ النسيم ورمتهُ برمح اصابهُ بين كتفيهِ فسالت دماؤهُ فهاج وانعطف نحوها وكانت على فرسٍ شهم فكبا بها في المجال فوثب عليها هذا الوحش الخبيث والقى بثقلهِ عليها وازعجها فمال الفرس لانهُ عدم القوى فسقطت هذه الفتاة المليحة على اديم الارض وصارت عرضه لفتك هذا الوحش الثائر ولكن كان تليماك منتبهًا لهذه الحالة الخطرة فترجل حالاً عن فرسهِ وحال بين فرس انطيوبة وبين الخنزير وكان بيده رمح طويل السنان فطعن بهِ الخنزير بين اضلاعهِ فوقع طريحًا

وتقدم تلماك اسرع من لمح البصر وجزَّ ناصيتهُ وقدمها لانطيوبة
كانها هدية فتوردَّ خدَّاها عند ذلك من الخجل والتفتت الى
ابيها كانها تستأذنهُ بالاشارة كيف تعمل وكان ابوها قد خشي
عليها ثمَّ لما رآها نجت سرَّ فاومأ اليهـا بما يدل على القبول
فتناولت التحفة من يد تلماك وهي تقول قد قبلت منك هدية
اخرى اجلَّ واشرف وهي اعادة الحياة عليَّ ثم سكتت خشية
ان تكون قد اطالت المقال وغضَّت طرفها حياء فلمح تلماك
حيرتها وقال ما اسعدني بانقاذ هذه النفس النفيسة وما اكمل
عزّي اذا تيسر لي ان اقضي حياتي معها فلم تجبهُ بكلمة بل ركبت
وسارت حالاً وتبعتها الكواعب فكان اذ ذاك يسهل على ابيها
ان يخطبها الى تلماك ويوشك ان يجاب لانهُ وُجد داعٍ لذلك
ولكن اراد الملك ان يثير نيران العشق في قلبهِ ويتركهُ في التردد
والحيرة ظنًا منهُ انهُ بهذا لا يفارق مملكة هذا الملك وانما المقادير
كانت تجري على خلاف الاماني لان ما كان الملك يبديهِ من
الموانع كان سببًا لتعجيل السفر لان تلماك لما احسَّ ان العشق
تسلط على قلبهِ خاف على نفسهِ ونوى الرحيل ليخرج سالمًا

وكان منطور يحث تلماك على الارتحال الى جزيرتهِ ويلحُّ
على الملك باعادة هذا الشابّ الى وطنهِ وكانت السفينة حاضرة

وانما السفر موقوف على اذن الملك وكان منطور لا يقيم مع تلميذه
في بلدة الا بقدر تعويده على المكارم والفضائل وكان الملك
يحزن حينما يرى الضيفين عازمين على السفر فاثر فيهِ الحزن
حتى صار في حالة يرثى لها لانهما خلّصاه من الاخطار واستانس
بهما فتحجب عن اصحابهِ وقد حرم لذيذ الطعام ولطيف المنام :
وكانّ تلماك قد اخذتهُ الرافة بهِ وهو في هذه الحالة ولم يعد
يخاطبهُ في شان السفر خشية ان يزيد اشجانهُ ويكدر بالهُ وكان
يميل الى ابطاء السفر ويختار الاقامة ولكن خاطبهُ منطور بكلام
مؤلم قائلاً قد سرّني تغير حالك بالشفقة الى هذا الحد بعد ان
كنت على اصل الفطرة تميل الى الجفاء ولا تبالي باحدٍ فكان
قلبك لا يتاثر الا بما فيهِ راحة نفسك ولا تحس الا بنفعك الخصوصي
ولكن الان انتهى بك الحال حتى صرت رجلاً من اعظم الرجال
وانتفعت من تجربة اوجاعك حتى صرت ترثي لاوجاع الغير
ولولم ترزق هذه الشفقة لكنت مجرداً عن الفضائل وعرياً عن
الصلاحية لحكومة البلدان ولكن لا ينبغي الافراط في المرحمة
والشفقة كما لا ينبغي التفريط في المحبة وكان بودّي ان استاذن
الملك بشأن السفر واكفيك مؤونة ذلك حتى لا يشق عليك
ولكن ما منعني عن ذلك الاّ اني لا ارضى ان يتمكن منك الخجل

المذموم ويستولي عليك الحياء المخل فاطلب منك ان تمزج الشجاعة والثبات بالمحبة والوداد وتجعل تلطيف المشقة على قدر الامكان وتخفيف الضرر بما في طاقة الانسان فقال تلماك ان تباعدي عن فتح قضية السفر واحالتها عليك انما هو لتلطيف المشقة والضرر

فقال لهُ منطور انت غير مصيب بهذا بل انت كابناء الملوك المتربين في حجر الدلال الحاوين الحياء المذموم فانهم يحبون فعل كل شيء طبق رغبتهم وان تكون اوامرهم قرينة الايجاب ولطفهم يقتضي ان لا يشافهوا احداً بنقيض المراد وليس هذا لكونهم يكترثون بالناس ولكن لكونهم يميلون الى الراحة ولا يحبون ان يروا الوجوه العابسة ولا القلوب الموجعة فلا يشعرون بمصائب الغير ما دامت بعيدة عن عيونهم . فلا اتحمل ياتلماك ان تتصف بهذا العيب فانت الان ترق لحالة الملك ما دمت عندهُ ولا تستطيع ان تخاطبهُ حياء منهُ ومتى خرجت من مدينتهِ لا يخطر ببالك شيء مما تشعر بهِ الان فليست الامةُ هي التي اوجدت في قلبك الشفقة بل مشافهتك اياه بالكلام هي التي تشق عليك فهي شفقة غير قلبية وانما صادرة عن الحياء فاذهب الى هذا الملك وخاطبهُ بغير واسطة ولا تخشَ قطع

علاقة المودة وتعلم في هذه الفرصة الجمع بين الشفقة وثبات الجنان فافهم الملك بصريح العبارة انك متألم من فراقهِ وافدهُ بوجه قاطع لزوم السفر

فتحير تلماك من هذا الامر لانهُ كان لا يقدر ان يخالف منطور ولا يجسر ان يذهب الى الملك ويفيدهُ مقصدهُ فصار يضحك منطور اذ تفرّس فيهِ وقال لهُ قد عجبت من عدم شجاعتك على اخطار الملك هل يصدق عاقلٌ ان هازم الدونية همام زمانهِ ابن عولس فريد عصره ووحيد اليونان لا يستطيع ان يقول لايدومينوس قد عزمت على السفر فاعدني الى مملكتي لاجتمع بوالدى فيا اهل جزيرة طيا كي ما اشقاكم اذا استولى عليكم ملك جبان يخجلهُ اقلُّ الاشياء فيا ايها الفتى كيف لم تخف من سلاح ادرستة ولا من جنده وقد خفت الان من حزن ايدومينوس فهذا ما يزري بالملوك الذين انتصروا في عظائم الوقائع لانهُ يظهر انهم آخر الناس في المعاملات المعتادة

فادرك تلماك صحة قول منطور وسار نحو الملك فلما دنا من المحل المقيم فيهِ داخلهُ الخجل واعتراهُ الوجل ودخل عليهِ متغير اللون فتقابلا بالبكاء والنحيب ولم يجسر احدهما ان يبتدر الاخر بالعبارات الدالة على الفراق ثمّ انتهى الحال ان قال الملك

ما اقسى قلوب ارباب الفضائل اذا هجروا من عودوهُ احسانهم فانا لا شك راجع الى حالتي القديمة لانهُ قد ظهر عجزي وزالت قدرتي ولا من يدبر مملكتي تدبير خبير وقد فارقني من كنت اعتمد عليهِ فالى اين تذهب يا تلماك وتتركني حزينًا فلا باس بالاقامة هنا لان والدك الآن لا اثر لهُ في الوجود ولا شك ان جزيرة طياكي صارت غنيمة لاعدائك ولا بد ان يكون احدهم قد تزوج بوالدتك فاقِم عندي حتى اصاهرك على بنتي واجعلك ولي عهدي ووارث ملكي بعد موتي بل اصيرك في حياتي مطلق التصرُّف في الاحكام فانت عندي موتمن فلا مانع من ان تمسك زمام الملك من هذا الوقت وان تكون صاحب العقد والحلّ واذا لم ترض الاقامة في هذا الديار وابيت المصاهرة فلا اقلّ من ان تترك صاحبك منطور يقيم عندي ليقوى بهِ جاشي ويعينني على تدبير مملكتي فلما سمع تلماك ذلك لم يفه بنفي ولا اثبات فقال لهُ الملك لا يكن قلبك قاسيًا عليَّ اجبني وافصح وارحم عبرات محب شديد الوجد فلم يزل تلماك صامتًا فقال اراك امسكت عن الكلام ولم تنطق بما يزيل الهم . فقد علمت ان ارباب التدبير والتصريف قلوبهم قاسية عليَّ قد قدموني في مفاوز المخاوف ورموني ببلية اشد من بلايا كريد حيث قتلت

ولدي وخرجت منها ذليلاً حقيراً بعد عزّي ومجدي

حينئذٍ قال تليماك بصوت منخفض مقرون بالرعشة والحياء لست انا مالكَ امرٍ فقد حكمت المقادير بعودي الى الاوطان ودعاني مرشدي وساعدت العناية الالهية على ذلك ولا استطيع المخالفة . وهل يسوغ لي ان اصرف النظر عن الابوين واضيع حقوقهما ولا البي داعي الوطن العزيز بالاجابة وانا منسوب الى اكبر الامراء ومتأهل لان اكون ملكاً على تلك البلاد نعم ان مملكتك اغنى واقوى من مملكة والدي ولكن من الواجب ان افضل عليها ما اورثهُ لي المولى من الملك وما كان اسعدني لو تزوجت بانطيوبة بدون وراثة ولا ولاية عهد ولكن لكي اكون اهلاً للعقد عليها ينبغي ان اسافر الى وطني واجتمع بوالدي وهو الذي يخطبها لي من جنابك السامي واذ وعدتني باعادتي الى وطني فانا معتمد على وعدك وهو كان الباعث لي على دخولي في حزب المتعاهدين والحرب مع ادرستة والان قد آن اوان الوفاء وكذلك لا ترضى ان اترك منطور عندك لان المولى قد وهبني اياه لاصلاح احوالي وكلانا شاكر نعمتهُ وليس لي الان ابٌ ولا امٌ ولا وطن متيقن في هذه الدنيا ولا وسيلة الا هذا الرجل العاقل فكيف احرم صحبتهُ فالموت عندي اهون من فراقه

فلما اوغل تلماك في الكلام تقوى صوتهُ وفارقهُ الحياء والخجل وداخلتهُ شهامة الرجال فافحم الملك بحجتهِ القاطعة حتى صار لا يدري ماذا يقول فاستبان منهُ انهُ متحير متفكر ولا يستطيع ان يفوه بكلمة وفيما هو على هذه الحالة اذ دخل منطور وجعل يتكلم بمقالة قاطعة حبال التعلل . فقال لا تحزن ايها الملك على فراقنا ولا يهمك سفرنا وكما اجتمعنا على وجهٍ حسن كذلك نفترق واذا فارقناك فالله معك والحكمة الالهية تساعدك فاشكر المولى الذي سخرنا لك للاعانة ويسَّر لنا خلاص مملكتك من الاعداء فانت سعيدٌ اذ هديناك الى الصواب وقد اعدنا اليك فيلوقليس فهو يخدمك خدمةً صادقة لانهُ رجل يخاف الله ويحب الفضيلة والعدل فاستشرهُ دائمًا واسمع نصائحهُ وفوّض تدبير الحكومة وامر الادارة اليهِ ولا تمنعهُ من ان يوقفك على ما يصدر منك من الهفوات وان يرشدك الى الطريق الاسدّ فاذا تعوَّدت على تحمل اطلاعك على عيوبك التي تصدر منك عمدًا او سهوًا ممن يكون صادقًا في خدمتك فلا يضرُّك فراقنا بل تعيش سعيدًا واما اذا دبَّ في قلبك ثعبان الملق وبعثك على استخانة اهل الصداقة فانك تهلك وتخسر فدع اهل النفاق والملق كيلا تندم ولا تترك نفسك عرضة للهم والغم وغالب الدهر

وانتصر عليهِ وابذل الجهد في اصابة الفضيلة واستخدم ارباب الصدق وانا قد افهمت فيلوقليس ما يلزم لتلطيف حالك ووصيتهُ ان لا يتعدى حدود وظيفتهِ وانا كفيلةٌ بذلك فقد سخرهُ المولى لك كما سخرني لتلماك فاقبل هذه الهدية وارض بما جرت بهِ المقادير وطب نفساً وقرَّ عيناً واذا احتجت الى مساعدني بعد ان اجمع تلماك بوالده ووطنهِ تجدني عندك نصب عينيك اذ لا مانع يمنعني عن الحضور الى مساعدتك

فلما سمع الملك هذه الكلمات اطمأنَّ بالهُ وسكن اضطراب فؤادهِ ولم يبقَ عندهُ الا تاثير قليل ثمَّ قال لمنطور قد خرجتما الان من يدي ولا وسيلة الى ابقاء احد منكما عندي فالامل منك ايها الحكيم ان تذكرني متى وصلت الى طياكي المعمورة وحصلت على مقصدك العالي بتدبير حكمتك ولا تنسَ ان مدينة سلانتة هي صنعك واعلم انك تركت ملكاً فيها قليل الحظ لا عشم لهُ الاَّ مساعدتك وانت يا ابن عولس المستحق ان يكون ملكاً على ملك ابيهِ لا امنعك من السفر ولا ارضى ان اعصى المولى الكريم الذي وهبنا هدية عارية وردَّها على اهلها وليصحبك مرشدك الذي هو اعقل الحكماء وافضل الفضلاء فادهبا معاً بسلام ودعاني اتنفس الصعداء على فراقكما واعذراني على ذلك اذ لم يبقَ عندي

شيءٌ من الدنيا الذّ بهِ الاَّ ان اتذكر اقامتكما عندي مع الانس فما كان اسعد تلك الايام واهنأها فوا اسفي على تلك الاوقات التي زالت سريعًا فتكاد لا تعود

فاغتنم منطور الوقت المساعد للسفر وعانق فيلوقليس الذي كان يبكي على الفراق وسار هو وتليماك ومعهما الملك الى الشاطيء ويدهُ بيديهما ليقضي سنة الوداع ولما نظرهم الملاحون شدوا الحبال ونشروا الشراع فامتلأ من الريح الموافقة السفر وجرت الدموع من اعين تليماك ومنطور وهما يودعان الملك وهو قابض على يديهما ومصافح لهما باكيًا ثمَّ تركهما والعين ترصدهما على بعدٍ وهكذا عقب الاجتماع يكون الفراق

المقالة الرابعة والعشرون

ثم بعد ذلك جرت السفينة وغاب البرُّ عن العيون وشاهد الربَّان على بعد جبل لوقاط المغطاة ذروتهُ بالسحاب الكثيف والثلوج كما كانت تشاهد جبال روم ايلي الشامخة التي تتساقط عليها الصواعق والرعود كتساقط المطر وفي اثناء السفر قال تليماك لمنطور قد فهمت الان ما اوردتهُ لي من الاصول والقواعد

نعم انها ظهرت في بدء الامر كاضغاث احلام ثم صارت تنكشف لي غوامضها واتدبر حقائقها فتحققت ان الغرض الاصلي من حسن ادارة الحكومة هو اعمال النظر بانتخاب المستخدمين وتقليدهم الوظائف حسب درجات معارفهم ولكن كيف التوصل الى معرفة درجات الرجال والوقوف على حقيقة معارفهم

فاجاب منطور ينبغي اختبار الرجال بالتجربة وذلك يتم بالمخالصة والمعاشرة فيجب على الملوك العظام التكلم مع رجال الرعية ومشاركتهم بالراي والمذاكرة وتكليفهم ببعض اغراض هينة والتنبيه عليهم بحسن قضائها ليعرفوا ان كانوا اهلاً لتقليد المناصب ام لا . اما توصلت الى معرفة الخيول في طياكي بكثرة رؤيتها واحسان الفروسية ووقفت على معرفة العيوب والمحاسن وميزت اجناسها وكان ذلك بمخالطة جهابذة الفرسان والاتحاد بارباب الخبرة فكذلك ينبغي ان نتحدث كثيراً عن صفات مشاهير الرجال وان نتذاكر في محامدهم ومذامهم مع غيرهم من اولي النهى والكمال ممن خالطهم امداً مديداً وعرف طباعهم حق المعرفة فتتضح لك حقيقة حالهم بما وقع لهم من الحوادث والوقائع وهل وصلت الى التمييز بين طبقات الشعراء في فصاحة الكلام وبلاغة المعاني وبديع الانسجام الا من كثرة المطالعة

والدرس والمراجعة واستصحاب اصحاب الذوق السليم في العلوم الادبية وهل ميزت بين نغمات الالحان ومحاسن الايقاع الاّ من تعلّقك بار باب الآلات فكيف يأتمن الانسان على وظائف الحكومة اناساً لم تكن احوالهم معلومة لديهِ وكيف يتوصل الى معرفتهم واهليتهم الاّ بالمعاشرة مدة طويلة وليس المراد بالمعاشرة مجرّد المشاهدة في الاندية العمومية والجمعيات الاهلية المتحدث فيها بامور لا اهمّية لها بل المراد مناظرتهم في المجالس الخصوصية واستخراج ما اكتنهُ صدورهم فلا بدّ قبل القول في حقهم من صحيح و باطل ان يتحقق الانسان من اتصف منهم بالفضيلة وحسن الاخلاق وكانت بهِ اللياقة للوظيفة

فالناس لا زالوا يلهجون بمدح الفضائل والفضل وجميعهم يجهل حقيقة هاتين الصفتين بل هما عند اكثر الناس المتمسكين بالشرف اسمان مستظرفان على انهُ ينبغي للانسان ان يكون صادقاً عادلاً متصفاً بتمام العقل وعندهُ ملكة جيدة حتى يميز العاقل الفاضل فالمتصف بالاوصاف الحميدة يتبع مثلهُ من اربابها ولا يعرف الفاضل الاّ الفاضلُ الكاملُ كما لا يعرف ربّ الفضيلة الا المتصف بالفضائل وهكذا يقال ان معرفة قواعد الحكومة المبنية على الاستقامة وحسن التدبير لا تكون

الاَّ ممن كان متحليًا بهذه الصفات خبيرًا باجرائها فهذا يعرف من
لهُ خبرة بهذه الاصول يميزهُ ويزنهُ بميزان العقل فان قياس جملة
اجرام غير معلومة القياس لا بدَّ من اجرائها على قياس معلوم
فكذلك الحكومة لا بد ان تكون على اصول مضبوطة تتفرَّع
عليها جميع الاحكام فينبغي لنا ان نعرف صريحًا ما هو الغرض
من حياة الانسان وما هي واجباتهُ اذا وليَ الاحكام وجواب
ذلك ان الغرض الاصلي من وجودهِ هو ان لا يتطلب الا العدل
والاحسان يعني ان لا يطلب لنفسهِ صولة ولا رفعة لان هذا لا
يؤَدي الى الغرض الحسن بل يفضي الى الكبر والتعالي المذموم
ويترتب عليهِ الظلم .. واذ كان الملوك غالبًا يجهلون حقيقة
الفضيلة ولا يبحثون عمَّن اتَّصف بها كانوا يجدونها مرة المذاق
وان المتصف بها صعب المراس فينزعجون منهُ ويرغبون في
ارباب المداهنة فيحرمون حينئذٍ من الصداقة والفضيلة وينهضون
لتطلب الفخر الباطل فيجعلهم ليس اهلاً للشرف الحقيقي ويعتادون
على اعتقاد عدم وجود الفضيلة في الدنيا لان الاخيار يعرفون
حقيقة الاشرار بخلاف الاشرار فانهم لا يقتدرون على تمييز
الاخيار بل يعتقدون ان لا وجود لاحد من خيار الناس
فيحترسون من الجميع ولا يظنون بهم الا سوءا فيحتجبون عن

العموم وتلحقهم الحيرة والارتياب ويتباعدون عن اهل المعارف
ويتظاهرون بالتصنع والتكليف خلافًا لحالتهم الطبيعية ولا
تخفى احوالم على الرعايا واما احوال الرعايا فتخفي عليهم وهولاء
الملوك تكون عيشتهم بالابهة الخشنة والرفعة التي ليست بمالوفة
للطباع يخافون الغش والخيانة وهم واقعون فيهما فاختبر
يا تلماك الناس وجربهم تجربة خبير وسل البعض عن البعض
وانتقدهم ولا تركن لاحد منهم الا بعد الاختبار واذا اخطات في
حكمك فراجع ذلك بميزان التجارب ولا تعجل بالتصوُّر والتصديق
بل تأنَّ بالحكم واعلم ان زلاتك السابقة تجعلك في المستقبل
على بصيرة فاياك والوقوع في مثلها فانك اغتنمت منها الرجوع
الى الصواب وان عثرت على رجل من اولى الفضل فثق بهِ
واركن اليهِ لان ارباب المعروف يحبون دائمًا ان يعرفوا
بالصلاح والاستقامة واياك ان تفسد اخلاق الصادقين بالرخصة
المجاوزة الحدود وباطلاق التصرُّف فان الانسان المشهود لهُ
بالفضل قد لا يبقى على فضلهِ اذا أُبيح لهُ التصرف المطلق لا سيما
اذا انعم عليهِ الملك بالاموال الجزيلة

فقال تلماك هل يجوز استخدام الاشرار في المملكة كما سمعت
انهم يستخدمون اذا كانوا من اهل الاستعداد فاجابهُ منطور

قد تمس الحاجة الى استخدامهم للضرورة فانك تجد عند بعض الدول المختلّة النظام كثيرًا من اهل الجور متقلدين الوظائف بل تجدهم ارباب الرتب العالية ولا يمكن خلعهم خوفًا من شرّهم لانهم استمالوا قلوب كثيرين من وجوه الدولة وصاروا ارباب شوكة فوجب احترامهم ومداراتهم خشية ايقادهم نار الفتنة في المملكة فينبغي تقليدهم المناصب وقتيًا وانتزاعها منهم بالتدريج واخفاء اسرار المملكة عنهم ومتى وجد غيرهم من ذوي الافهام يستغني عنهم شيئًا فشيئًا بهولاء ولكن لا تقطع عنهم ما اعتادوا عليهِ من المعروف وعاملهم معاملة حسنة اذ لا يجوز العدول ولو في حقّ الاشرار الى الغدر والخيانة . ولا تقتصر على الموجود عندك من ذوي الاخلاق الحميدة بل يجب عليك تربية وتعليم غيرهم حتى يقوم عند الاقتضاء الجديد مقام القديم فقال تلماك ان في ذلك مشقة كبيرة كيف احصل على تعليم فتيان يصلون الى درجة الرجال العظام في تدبير الامور فاجابهُ منطور ليس الامر كذلك فان حسن التفاتك الى اهل الفضل والزكاء يشوّق جميع اهل الشجاعة والمعارف ان يلوذوا بك ويجتهدوا ليكونوا على وفق المراد فاذا ميزت النبلاء واصحاب المعارف بانواع المكافأة ورقيتهم الى الرتب العالية فقد رغبت كثيرين

في التعليم من تلقاء انفسهم

وبينما كان منطور وتلماك يتحادثان اذ شاهدا سفينة من جزيرة كورفو قد رست على جزيرة صغيرة عبارة عن صخرة مخيفة يخشى منها على السفن ولكن كانت الرياح ساكنة والخطر مأمون حتى كأن النسيم كان مقطوع الانفاس وسطح الماء كالمراءة المصقولة وارتخت الاشرعة حتى صارت السفينة لا تستطيع المسير وحركة المجاذيف لا تجدي نفعاً فاضطر الملاحون ان يرسوا على هذه الجزيرة الخطرة · فكان كلٌ من ارباب السفينتين ينتظر بضجر هبوب الرياح ليخرج منها سالماً فاقبل تلماك نحو السفينة الكورفوية من اعلى الشاطئ وسال عن ابيهِ اول انسان وقع بصرهُ عليهِ قائلاً هل رايت عواس ملك طياكي في منزل الملك القينيوس وقد اتفق ان المسئول لم يكن كورفوياً بل غريب مجهول البلاد وكانت سمة الوقار تلوح على وجههِ الاَّ انهُ كان متغير اللون والحزن مستولٍ على فؤادهِ وكأنما هو غريق في بحر من الافكار فلم يجب الا بعد الالحاح مراراً فقال لتلماك نعم كان نزيلاً عند الملك المذكور وقد رحل الان فاذا فتشت عليهِ عندهُ لم تجدهُ لانهُ سافر الى حزيرة طياكي ليشاهد وطنهُ

فلما فرغ هذا الرجل من كلامهِ الذي نطق بهِ بلسان

الحزن انطلق الى رابية هناك وجلس تحت اشجار ملتفة يرصد البحر معتزلاً عن كل انيس وجليس مظهرًا القلق والضجر من الاقامة ومنتظرًا تيسير الارتحال. وكان تلماك يديم النظر اليهِ وكلما رمقهُ ازدادت بهِ الحيرة والدهشة واعتراه الاضطراب فقال لمنطور ان هذا الرجل الغريب اجابني عن سؤالي وهو مفتكر ومشغول البال لم يصرف ذهنهُ الى سماع ما يحكى لهُ وقلبهُ مملوءٌ من الهمّ والغم فقد رقَّ لهُ قلبي وحنَّ اليهِ فؤَادي وملت بجملتي اليهِ ولم ادرِ ما سبب ذلك مع انني لم اجد منهُ القبول ولا اجابني عن خطابي الاَّ بعد الجهد فارجو المولى ان ينقذهُ من المصائب ويخلصهُ من نكبات الدهر

فتبسم منطور من هذا المقال واجابهُ بقولهِ هذه فائدة المصائب في الدنيا فانها تهذّب اخلاق الملوك وتوجد الشفقة في قلوبهم فانهم لو لم يذوقوا في حياتهم الا لذة التنعم لتأ لهوا وما كانوا يرون الناس الاَّ كالذباب ويريدون ان تكون الدنيا باجمعها تحت طاعتهم واذا سمعوا احدًا يتكلم في شان المكايد لا يدرون ما هي ويعدونها اضغاث احلام ولا يفقهون القبيح من الحسن ولا يميزون بين السرور والحزن لان الشدة هي التي تعلمهم المروَّة والانسانية وتلين قلوبهم القاسية حتى يعرفوا انفسهم

انهم كغيرهم من البشر فان كانت رؤية هذا الرجل الغريب قد اوجدت عندك الشفقة عليهِ لكونهِ هائمًا مثلك في فيافي الاغتراب فكيف تكون رافتك على اهل وطنك حين تراهم في شدة وحالة صعبة اما لاعجابك او لعدم تبصرك في العواقب فان الرعية لا تقع في الشدائد الاّ من تقصير الملك وعدم اجتهاده في ابعاد الاخطار عن البلاد

وفي اثناء هذا الكلام كان تلماك غريقًا في بحور الاحزان فاجاب منطور بقولهِ اذا كان الامر كما تقول فلا يكون للملك نصيب في الحرية بل هو عبدٌ لجميع من هم في الظاهر تحت يدهِ لان توليتهُ عليهم انما هي للقيام بمصالحهم فيجب عليهِ ان يرفق بالمسكين والضعيف ويقوم بتربية الهزيل والنحيف ويسعى في تعليمهم واسعادهم ولا يقدر ان يسعى لنفسهِ بما يوجب لها الفخار بل ان صولتهُ ليست الا صولة القوانين والشرائع وهو بهذا اقل حرّية من جميع الاهالي

فقال لهُ منطور نعم ان الملك وجد لحفظ الرعية كالراعي الذي يحفظ الماشية وكالأب العائلة المتكفل بحفظ عائلتهِ اتظنُّ يا تلماك ان وجود مفاتيح الخيرات ومقاليد الراحة وامن الرعية بيد الملك امرٌ قليلٌ عليهِ فكيف يكون قليل الحظ اذا كان

مدار الحكومة عليهِ وهو المخاطب بعقاب الاشرار والمطالَب بمكافأة الاخيار وكيف لا يكون سعيداً وهو خليفة الله على عباده ولا يكون لهُ الفخر السامي اذا دعا رعاياه الى رعاية القوانين والشرائع واما اذا تطلب العلو على الشرائع والاحكام فيكون فخره باطلاً يورثهُ البغض والاحتقار فالملك اما ان يكون ظالماً او عادلاً جاهلاً او عاقلاً ففي صورة الظلم والجهالة لا حظَّ لهُ في الفخار لانهُ لا يجد الراحة في نفسهِ وفي صورة ما اذا كان عادلاً عاقلاً فانهُ يحظى بلذة مجرَّدة عن شوائب الاكدار تفوق ما عداها من اللذات وهذه اللذة هي بذل السعي المشكور في ارشاد الرعية الى الفضيلة وبهذا يستحقُّ جزاء مخلَّداً ونعمة من المولى جزيلة

فعند ذلك جاشت نفس تليماك بما لحقهُ من العناء واظهر انهُ لم يفهم هذه الحكم النفيسة التي طالما علمها غيرهُ من الناس وقد انطوت عليها سريرتهُ وانما استنكرها لما اعتراهُ من الغضب وصار يناقض منطور تصنعاً بادلَّة اقناعيَّة وهي عدم الصداقة في الناس وعقوق الرعية ويقول عجباً كيف الانسان يتعب نفسهُ طمعاً في محبة الخلق مع ان بغضهم لهُ قد انطوت عليهِ سرائرهم وكيف المرء يسعى في صنع المعروف مع اللئام وهم يقابلون معروفهُ بالانكار فاجابهُ منطور نعم يجب ان تعرف انَّ انكار الجميل قد

يكون وقد لا يكون ومع ذلك لا نقصر في فعل الخير لوجه الله تعالى فانهُ لا يضيع اجر المحسنين فاذا كان كثيرون من الناس ليس عندهم شكر النعم فكثيرون منهم يعترفون بالمعروف والكرم لمولى المعروف والكرم والذين يقابلون النعمة بالكفران لا دوام لهم على حال فلا بدَّ ذات يوم ان يقابلوها بالشكر فالمعروف يضوع عرفهُ ولا يضيع

فلما انتهى الحديث نهض تليماك وسار نحو الكورفويين الموجودين في السفينة وسال شيخًا منهم من اين اقبلوا والى اين ذاهبون وهل رأوا عولس فاجابهُ بعضهم اننا قادمون من جزيرة كورفو التي هي بلدتنا وذاهبون الى روم ايلي لجلب بضائع تجارية واما عولس فقد مرَّ بهذه الجزيرة كما قيل لك سابقًا ثمَّ رحل منها ليذهب الى بلاده فسال ثانية عن هذا الرجل الكئيب الذي اعتزل عن الناس والتزم الجلوس وحدهُ في محل لا انيس فيهِ ينتظر هبوب الرياح للرحيل وما شانهُ فقيل إنهُ رجلٌ غريب الدار لا يعرف لهُ ماوى وانما يقال ان اسمهُ اقليمونس ولد في مملكة افريجية من الاناضول وان امهُ وهي حامل بهِ جاءها هاتف من الكهانة واخبرها انهُ يصير ملكًا ولكن على غير بلاده بشرط ان لا يقيم في وطنهِ والا غضب المولى على اهل مملكة

افريجية ان اقام فيها واهلكهم بالطاعون فلما وضعتهُ سلمتهُ الى بعض الملاحين فسار وا بهِ واودعوهُ في جزيرة متلينة فتربى هناك فلما بلغ رشدهُ شمَّر عن ساعد الجد والاجتهاد وكان ذا فطنة وزكاء فاكتسب مقدارًا جسيماً من العلوم والفنون الا انهُ لا يقبلهُ احد في مدينة او بلدةٍ لان خبرهُ قد شاع في جميع الاقطار وخشي منهُ الملوك لان جميعهم وقف على ما قالهُ الكاهن فلهذا تراهُ هائمًا لا يستقرُّ في مكان وما دخل مدينة الا عرفهُ اهلها وكان يريد اخفاء نفسهِ ويعيش في اي محلٍّ كان عيشة الخمول ولكن معارفهُ الادبية الحربية واستعدادهُ للصالح الجسيمة تظهرهُ عند ارباب الدراية حين الاقتضاء فبعد تنكيره يصير معرفة عند كل انسان ففضلهُ هو سبب شقائهِ وهذا ما بلغني عن هذا الغريب الذي تسالني عن امره

ولم يزل تليماك مدَّة هذه الحكاية مرسلاً طرفهُ الى جهة الامواج وقد ابتدأَت بالاضطراب فعند ذلك قال لهُ الشخص المسئول انا راحل عنك الان لان رفقائي لا يستطيعون انتظارى اكثر من ذلك فذهب وركب هو ومن معهُ السفينة فلما هبت الريح كانما نشطوا من عقال وشرعوا في السفر

وفي مدة وقوف هذه السفينة كان الرجل الغريب كالهائم

يسعى ويرتقي اعلى الصخور كانهُ يرقب الجهات ويرصد اتساع البحور وكان يتراآى منهُ انهُ على غاية من التأسف والتحسر وكان تلماك يرسل طرفهُ وراءهُ وكلما انتقل اقتفى اثرهُ لان فؤادهُ قد احسّ بالرافة بهِ وصار يقول في نفسهِ ان امري بالنسبة الى هذا الرجل امرٌ هين لاني مؤمل ان ارى وطني واما هو فهيهات ان يرى وطنهُ ومسقط راسهُ فحالهُ هوّن عليّ ما لاقيتهُ من المتاعب ثم ان هذا الرجل لما راى سفينتهُ تأهبت للسفر نزل بسرعةٍ ونشاط من اعلى الصخور وركب السفينة فسارت في اللجج وغابت عن البرور

فتغلب على تلماك حينئذٍ الحزن وازداد بهِ الشوق والهيام ولم يدر ما هي الدواعي والاسباب وفاضت عبراتهُ وما كان يلذ لهُ الاَّ البكاء والنحيب ثم لاحت منهُ التفاتة نحو الساحل فراى جميع الملاحين الذين معهُ مضطجعين على الرياض وكلٌ مستغرق في النوم فعجب اذ راى استيلاء الغفلة والفتور على ملاحي سفينتهِ خلافًا لاولئك فانهم كانوا في نشاط وشعور وانتهزوا فرصة الوقت المساعد للرحيل ولولا التفات تلماك الى تلك السفينة التي سافرت بالشخص المجهول لكان ايقظهم . ولما راهُ منطور على هذه الحالة وان العبرات لم تزل تفيض من

مقلتيهِ قال لهُ لا استغرب بكاءك لاني عارف سبب حزنك وان كنت انت تجهل من نفسك السبب فقد افصح عنهُ خفيّ غريزتك فانَّ الغريب الذي حنَّ قلبك اليهِ عند رويتهِ ومال فوَادك بالشفقة عليهِ هو ابوك فالنسبة بينكما محققة وما قصهُ عليك الكورفويّ في شانهِ هو محض افك وبهتان ليستر عنك وجودهُ حيًا فاعلم انهُ سافر من هنا قاصدًا الجزيرة التي يرى فيها سرير ملكهِ وهو الان قريب الوصول اليها وسيشاهد الوطن العزيز وقد رايتهُ بعينك حكم ما بُشّرت بهِ قبلاً الا انك لم تعرفهُ مع انهُ ادرك بنوَّتهُ وعرفك وقريبًا تراهُ ويقع التعارف بينكما وستشكر مولاك بمشاهدتهِ في جزيرة طياكي ولا بدَّ انهُ حين رآك على غير ميعاد احسَّ قلبهُ بما احس بهِ قلبك وانما من وفور عقلهِ وثبات جنانهِ لم يرد ان يعرّفك بنفسهِ الا في وطنهِ فلا عجبٌ ان يعرَف في مكان لا يكاد يسلم فيهِ من الغدر ممن يتطلب زوجتهُ ويبحث عن هلاكهِ فان اباك اشد الناس فطنة وزكاء وفوَادهُ خزانة الاسرار لا يفشي سرَّهُ لاحد ولو كان احبَّ الناس اليهِ وقد ختمت الحكمة على شفتيهِ بطابعها فصان فمهُ عن لغو الكلام . ولا تستطيع يا تليماك ان تدرك ما حصل في قلبهِ من الحنو حينما وجَّه خطابهُ اليك واجابك بما اجاب ولا

كيف امكنهُ الصبر والجلد ولم يعرّفك بنفسهِ ولا بما قاساهُ من الم الفراق فهذا سبب كثرة حزنهِ وكآبتهِ

فلما سمع تليماك ذلك تأثر وتكدَّر بالهُ ولم يقدر على امساك الدمع واعتراه الحزن وتغلب عليهِ الزفير والشهيق وقال لمنطور لماذا لم تعلمني قبل سفره انهُ والدي ولاي شيء تركتهُ يرتحل ولم تخاطبهُ ليزول عني الهم ولماذا لم تظهر انك تعرفهُ فلا بدَّ لك من سبب فوا اسفاه هل اعيش دائمًا منكود الحظ متحيرًا في امري مغضوبًا عليَّ من المولى وليت شعري هل من سبيل الى اللقاء بعد هذا الفراق فقد يمكن ان لا اشاهدهُ بعد ذلك لان طلاَّب والدتي ربما يهلكونهُ حين وصولهِ فياليتني كنت اتبعهُ لاموت معهُ فلماذا يا ايها الصديق حسدتني على هذه النعمة وحرمتني بلوغ وطري ونوال مرادي فلو عرفتهُ لكنت الان في ثغر طياكي وكنت اساعدهُ على قتل اعدائنا

فتبسَّم منطور وقال لهُ تامل يا تليماك في حالة الانسان فانهُ قلَّ ان يميز بين الاساءة والاحسان فانت اليوم كئيب حزين لانك رايت اباك ولم تعرفهُ انهُ هو ولا يسرُّ لك الاله الاجتماع بهِ وكنت قد اخبرتك قبلاً انهُ لم يزل حيًّا ولم تصدق وقد ظهرت لك الان حياتهُ وتاكدتها فبدلاً عن ان تفرح وتسرَّ زاد وجدك

وتراكم عليك الغم فالانسان ضعيف الفؤاد لا يعرف قيمة ما كان يتمناه بعد حصولهِ عليهِ ويتطلّب دائمًا ما لم تملكهُ يدهُ . وقد اراد الله تبارك وتعالى ان يبلو عزمك بانواع الحيرة لتعتاد على الصبر والجلد وتسهل عليك الخطوب فلا تحسبنَّ هذا الزمان ضائعًا بل هو اعظم اوقات حياتك منهُ نفعًا لان هذه المتاعب ترشدك الى العادة على الصبر وذلك اعظم جميع فضائل الانسان فيجب عليك ان تكون صبورًا على نفسك لان الجزع الذي يظهر انهُ قوة نفسية وشجاعة ذاتية ليس هو الا ضعفًا وعجزًا عن حمل المشاق فمن لم يذق طعم الصبر ولا عرف التأني في الامور فهو كمن لا يستطيع كتمان السر وحفظهُ في صدره فالجزوع والمفشي الاسرار كلاهما لا يقتدر على حفظ نفسهِ ولا ضبط زمام هواه عن اجتناب المخاطر فقد امتحنك المولى بمشاهدة ما تمناهُ مرأى العين ثم غيبهُ عنك ليخبرك بالفراق وتعتاد على التأني والصبر واعلم انهُ لو كان والدك ملازمك في جميع الازمان وباذلاً همتهُ في تعليمك ما تعلمهُ الاباء بنيهم لما افادك جزء ما اكتسبتهُ مدة غيبتهِ الطويلة من الفوائد الجمة

ثم ان منطور اراد ان يمتحن تليماك بتجربة حسيمة وهي آخر التجارب التي يذوقها في هذه السفرة فبينما كان تليماك مسرعًا لحث

الملاحين على الرحيل منعهُ منطور وامرهُ ان يقرب القربان لمولى الحكمة شكراً لهُ على ما اولاهُ من الفضل فاجاب امرهُ بالسمع والطاعة وجمع الملاحين على الشاطئ ونصبوا محرابين واطلقوا البخور في كلّ منهما وذبحوا الذبائح المنذورة وقرّبوا القرابين وبسط تليماك اكفّ الضراعة نحو السماء واعترف ليد الحكمة الالهية بكمال القدرة لكونها اصحبتهُ برشده واوقفتهُ على دقائق الامور

وبعد نهاية ذلك ذهب منطور بتليماك الى غابة صغيرة مظلمة كثيفة الاشجار ضيقة المسالك فراى تليماك على حين غفلة ان وجه صاحبهِ تشكل بصورة جديدة على وجه لم يرَ مثلهُ قط اذ انمحى تقطيب جبينهِ وتبدلت عيناهُ الغائرتان بمقلتين سودا وين تدلان على النخوة والفتوة كانّ انوارهما سماوية وقد تجرّد من لحيتهِ السنجابية الطويلة الشعر المسترسلة فلاح لتليماك محيا جميل الصورة كبدر التمّ قد كمَّل المولى جمالهُ بالنور فكان وجه فتاة بديعة الجمال تلوح عليهِ نضرة النعيم والبهاء قد امتزج بياض نرجسهِ بحمرة ورده وكان شعر هذه الفتاة يموج على كتفيها وبانتشاره ينشر عبير العنبر في تلك الارجاء وعليها حلل لازوردية عسجدية زاهية كلون السماء حين تحلى بانوار

الشمس وقت طلوعها فكانت هذه الحسناء لا تطأُ الارض ابداً
بل كانت تطير في الهواء كطائر يخفق بجناحهِ بخفة وكان صوتها
لطيفًا رخيماً لذيذ النغم فكانت تتكلم مع تليماك فيقع كلامها من
قلبهِ موقع السهام الاَّ انهُ كان يحسُّ بلذة لا يقدر على تكييفها
بكيفية وانما هي عبارة عن الآم لذيذة تجلُّ عن الوصف وكانت
لابسة درعها وعليها صورة الطير الحزين وهي شعار الحكمة في
اثينا وعلى صدرها الدرقة ذات المهابة فلما راى تليماك هذه
العلامات استجمع عقلهُ وصوابهُ وادرك ان المولى سبحانهُ قد
اصحبهُ بالحكمة على صورة منطور الذي صحب اباهُ وانهُ لما
ناهز الوصول الى وطنهِ تشكلت هذه الصورة بشكل عروسة
حسناء على شكل صورة الحكمة في اثينا لتقيم لهُ البرهان على
سعادتهِ

فقال يا ايتها الحكمة الالهية انت قد تفضلت على ابن عولس
بالهدى والارشاد حبًا بابيهِ واراد ان يزيد على ذلك من الكلام
فلم يقدر ان ينطق بشيء مما فكرهُ في ذهنهِ وصوَّرهُ في عقلهِ لان
الحكمة امسكت لسانهُ وختمت على فمهِ فكان كمن يرى اضغاث
احلام وقالت لهُ اصغِ يا ابن عولس الى مقالي وهذا آخر كلامي
معك فتلقهُ بالقبول اعلم اني الى الان ما اعتنيت بتعليم احد من

البشر كما اعتنيت بتعليمك وقد نجيتك من هول الغرق ومن مخاوف الاراضي المجهولة ووقائع الحروب الشديدة ومواقع الخطوب الجسيمة التي يمتحن بها قلب الانسان لتعود عليهِ بالمنافع واطلعتك بالتجارب الباهرة والبراهين الواضحة على معرفة الحق والباطل وتمييز المتحلي بالمعارف من المتجرّد منها وعلى العاطل من الاصول والقواعد التي تبنى عليها الاحكام فكم اغتنمت من الوقوع في الهفوات وكم اجتنيت من ثمرات الاخطار ومن الذي يحكم بالعدل والانصاف اذا لم يقاس الشدائد بنفسهِ ولم يذق حرارة الظلم والجور ولم يتعظ من الاخطار التي اوقعهُ فيها خطاؤُهُ

وقد ملأت مثل ابيك البرور والبحار بوقائعك الصعبة وصرت الان جديرًا بالشرف والنخوة فاتخذ ابيك قدوة لك فلم يبقَ عليك الا مسافة قصيرة لوصولك الى وطنك واجتماعك باهلك وقد وصل ابوك الى الجزيرة فاجمع شملك بهِ وساعدهُ في حروب اهل الجنايات واطعهُ كآحاد الرعية ولا بدَّ ان يزوجك بانطيوبة بنت ملك سلالته البديعة الجمال العاقلة ومتى جلست على العرش الملوكي فاجعل كمال فخرك في احياء عصر العز والسعادة واصغِ الى مقال الرجال ذوي العقل

والرؤية واستشر اهل النصح والصدق ولا تستقلّ برايك واحذر ان يغشك احدٌ من اهل الغش والخيانة ولا تخجل من اظهار الغش اذا وقعت فيهِ من اربابهِ حتى تداوي هذا الداء بالحصول على الصواب . وعليك بحب اهل الوطن ولا تترك شيئًا من المودة لهم وان لم تؤثر فيهم المودة فعليك بالتخويف والتهديد وانما لا تسلك هذا الطريق الا عند الضرورة واعلم ان الشجاعة الحقيقية هي التبصر في العواقب وعدم المبالاة بالاخطار عند حلول المصائب واجتنب الترفه والزينة والاسراف فانها تخل بالمجد والشرف ولا تبتغ الفضل والمحامد الا بترك ما ذكر فالتنزه عنهُ زينة وحلية فاجعل ملبسك ومسكنك محل البساطة الممدوحة وكن قدوة للرعية في استعمال لوازم الامور التي لا بدَّ منها واياك والغضب فانهُ عدوٌّ مبين وعليك بتقوى الله والمراقبة فانها اعظم كنز انطوي عليهِ قلب المرء فان مخافة الله راس الحكمة واساس العدل وبها حفظ النعمة ومسرة القلب وبلوغ المنى وصيانة الحرية الحقيقية

وانا قد عزمت الآن على مفارقتك ولكن لا تزال محفوظًا بالعناية الالهية بشرط ان تعتقد ان لا حول لك ولا قوة بدونها وهي التي اودعت فيك الهيبة والسطوة فقد آن لك ان تكون مرشدًا

نفسك ومدبرًا امورك وما بعدت عنك في مصر السعيدة ولا فارقتك في مدينة سلانتة الا لتعتاد على البين وتتعهد امور نفسك فكاني قد فطمتك كما تُفْطَمَ الاطفال عن الثديّ ويغتذون بالاغذية الجامدة المقومة الابدان . فلما فرغت من الوعظ والتوصية ارتفعت في الجوّ وحجبتها سحابة لازوردية فغابت عن الاعين فتنفس تلماك الصعداء وعجب مما ابصرهُ وخرَّ ساجدًا لله علامة الشكر ورفع يديهِ نحو السماء بالصلاة والتضرُّع ثم ذهب وايقظ الملاحين فركب معهم السفينة وسار الى جزيرة طياكي وعرف اباهُ واجتمع بهِ وبامهِ وخدمهِ الامناء واستقرَّ تحت عناية المولى الامين

تمّ

اصلاح غلط

وجه	سطر	غلط	صواب
٤	٦	وتبدلها	وتبدّل
٥	٩	رسيت	ارسيت
٦	٤	السئية	السيّئة
٧	٥	الزكيّة	الذكيّة
٧	٨	وخرير عيون المياه	وخرير مياه العيون
٨	٦	الحظوظ	المسرّات
٨	٨و٩	تسلطُن نتسلطن	تسلُّط نتسلَّط
٨و٢٩	١٦و٢	لكلام	الى كلام
٩	١	الحظ	الفرح
١٠	٤	تولُّعهُ	ولوعهُ
١٣	١	اباك	ابوك
١٣	٦	لما قالهٔ	الى ما قالهٔ
١٤	٣	فرسينا	فارسينا
٢٠و٢٧و٢٦و٣٧		الاغراب	الغرباء
٢٤و٢١٥	١٢و١	مهابٌ	مهيبٌ
٢٧	١٥	مامونةً	مامونًا
٤٤	١٦	افضي	افضى
٤٨و٥٥و٦٠و٦٥و٩٧		الشبوبيّة	الشبيبة
٦٣	٦و١٦	عجلاتها والعجلان	عجلاتها والعجلان
٦٣	١	المدّ والجذر	المدّ والجزر
٦٥و٨٧	١٥و١٨	الشهيّة	الشهوة
٧١	١٧	برجاسهن	برجاسهن

وجه	سطر	غلط	صواب
٧٥و١٦٥و١٨٨		الكريدلَّية	الكريديين
٧٩	١٤و١٨	أَمتهُ	أُمتهُ
٨٦	١١	أَنكم	إِنكم
٨٨	٤	رافقهم	رافقنا
٩١	٣	الكريدية	الكريديون
١٠٢	١٧	ابتعلهُ	ابتلعهُ
١٠٦	٢	احكاهُ	حكاهُ
١٠٩	٩	الأفاك	الأفيك
١١١	١١	برجل	برجلك
١٣٨	١٣	تولع	أُلِعَ
١٣٩	٢	الصوريين	الصوريون
١٤٦	٢و١٢	عشرين . لهم	عشرون . اليهم
١٥٢	١٢	أَضلُّ	أُضلُّ
١٦٥و٢٥٥و٢٨٩		مهابًا	مهيبًا
١٧٤	٣	البنين	اليمين
١٨١	١٧	منطور	نسطور
١٨٧	٦	وفاء	ووفاء
١٨٨	١٦	التقمتم	انتقمتم
١٨٩	١٢	يعوَّل	يعوِّل
٢١١	٣	بلغلوط	بلغوط
٢١٩	٢	ورنت	ورنب
٢٢٢	٥	جزاء	جزءًا
٢٣٦	٢	صدق	واصدق

وجه	سطر	غلط	صواب
٢٤٢	١٨	لاناس	الى اناس
٢٤٥	١٨	كلّما	كلّ ما
٢٤٧	١١	مصمٌ	مصم
٢٦١	٥	تهنئةُ وتمدحهُ	يهنئونهُ ويمدحونهُ
٢٦٦	١	و ينفصْ	و ينقصْ
٢٦٧	١٢	بولة	يولة
٢٨٦	٨	ويخفاك	ولا يخفاك
٣١١	٨	شعوراً	شعورٌ
٣١٢	٦	اعزّ	اعزِّ
٣١٩	١	حيز	حيّز
٣٢١	١٢	وداد	ووداد
٣٢٢	١١	اذ قضى	اذا قضى
٣٢٤	١٠	الظمآن	الظمآن
٣٢٦	١٧	احمل	اجمل
٣٦٣	٧	وعادة	وعادت
٣٦٤	٦	سيفو	سيفهُ
٣٩٣	٤	اجراء	اجزاء
٣٩٤	١٠	يتفكرربها	يتفكر بها
٤٠٢	١٨	النصول	الفضول
٤٢٠	٧	بالمخالصة	بالمخالطة
٤٤٥	١٦	كا	كان

وقد بقي اغلاط طفيفة لا تخفى على المطالع